الشرق الأوسط الديمقراطي

فصلية فكرية تحليلية تعنى بشؤون الشرق الأوسط

العدد 50 - أيلول / سبتمبر 2020م

## ملف العدد:

# العصبيات وقضايا الشرق الأوسط

- بنية العصبيات - الفكر الاصولي والاستبداد
- العصبيّة عند ابن خلدون
- الإرهاب أحد ظواهر الاضطراب السياسي في العصر الحديث

القومية والوطنية في الفكر القومي العربي السوري

السياسة الدولية كوانتمياً

لمحة من تاريخ سوريا

### في العدد ايضا

- حول أثنوغرافية المرأة الكردية
- أكراد لبنان... مؤسسون وركن نهضة
- العلاقات الكردية الكلدو- آشورية- السريانية

# الشرق الأوسط الديمقراطي

مجلة فصلية فكرية تحليلية تعنى بشؤون الشرق الأوسط

العدد ٥٠ أيلول/سبتمبر ٢٠٢٠م

## إدارة المجلة

رئيس مجلس الإدارة

زياد محمد

رئيس التحرير

صلاح الدين مسلم

هيئة التحرير

روشن مسلم

عواس علي

أحمد دالي

مصطفى شيخ مسلم

الهيئة الاستشارية

السيد عبدالفتاح

جاسم الهويدي

حسن ظاظا

هجار شكر

الإخراج الفني

يريفان عثمان

الآراء المنشورة تعبر عن رأي أصحابها وليس بالضرورة أن تعبر عن رأي المجلة

## وسائل التواصل

يمكنكم متابعتنا والإدلاء بآرائكم ومقترحاتكم وإرسال مساهماتكم عبر وسائل التواصل التالية:

http://www.alawset.info

serqalawset@gmail.com

@AlawsetMagazine

@KovaraAlewset

@/alawsetmagazine

رقم الاعتماد
لدى نقابة الصحفيين العراقيين
١٤٨
رقم الإيداع
دار الكتب والوثائق ببغداد
٨٦٨ لسنة ٢٠٠٥

لدى وزارة الثقافة المصرية
دار الكتب والوثائق في القاهرة
رقم ٢٤٢١٧

مكتب القاهرة:
18 شارع ضريح سعد - القاهرة
ت: 27907104 / 01554349602

## محتويات العدد

العدد :50 - ايلول - 2020


| | | |
|---|---|---|
| كلمة العدد | | ٣ |
| معاهدة سيفر وآفاقها | هيئة التحرير | ٤ - ١٠ |
| حزب العمال الكردستاني وأيديولوجيا الدولتية القومية | عبدالله أوج آلان | ١١ - ١٤ |
| القومية والوطنية | صالح بوزان | ١٥ - ٢٢ |
| لمحة من تاريخ سوريا | علي عواس | ٢٣ - ٤١ |
| السياسة الدولية كوانتمياً | سردار هوشو | ٤٢ - ٥٠ |
| أكراد لبنان... مؤسسون وركن نهضة | فادي عاكوم | ٥١ - ٦٣ |
| العلاقات الكردية - الكلدو آشورية - السريانية | عبدالله شكاكي | ٦٤ - ٧٠ |
| المأساة المستمرة وتحول اليمن إلى بلد الأطلال والأشباح | عبدالله الدهمشي | ٧١ - ٧٤ |
| الإرهاب أحد ظواهر الاضطراب السياسي في العصر الحديث | د. أنمار نزار الدروبي | ٧٥ - ٩٧ |
| العصبية عند ابن خلدون | فاطمة وحمان | ٩٨ - ١٠٢ |
| بنية العصبيات-الفكر الأصولي والاستبداد | أحمد دالي | ١٠٣ - ١٠٩ |
| حول أثنوغرافية المرأة الكردية | روشن مسلم | ١١٠ - ١٢٩ |
| جغرافية جبال جنوب كردستان | دلدار ميتاني | ١٣٠ - ١٣٩ |
| بإيجاز مبسّط عن الشرق الأوسط | أحمد عاشور | ١٤٠ - ١٤٢ |

# كلمة العدد ٥٠

رئيس التحرير

## اليوبيل الذهبيّ

أضحى الشرق الأوسط يعيش في أسوأ حالاته من التشرذم والصراعات والتناحرات وعوالم الإجرام والتخبّط، وباتت مراكز الدراسات العالميّة تصبّ جام دراساتها على تحليل الشرق الأوسط من النواحي الاقتصاديّة والمناخيّة والاستراتيجيّة؛ لمعرفة كيف تعولمُ هذه المنطقة وتجرّها إلى النظام العالميّ؛ لتكون المنقذ المستقبلي للدولة التي ستسيطر عليها، أو التحالف الذي سيسيطر عليه.

لقد أضحى الصراع على هذه المنطقة الهاجسَ الأكبر للرأسمال العالميّ، وباتت الطبقات المسحوقة تتكاتف للبحث عن الخلاص من السيطرة الرأسماليّة المتوحّشة، وتفتّشُ عن سُبل الخلاص للوصول إلى المجتمع الديمقراطيّ، وما غايتنا في هذه المجلة إلّا ترسيخ الديمقراطيّة المجتمعيّة للوصول إلى شرق أوسط ديمقراطيّ يقابل نظريّة الصراع الأوسطيّ الطبقيّ التي تروّج لها مؤسّسات الحداثة الرأسمالية عبر منابرها التي تصفّق لها، وعلى خلق العصبيات والصراع الطائفي والعنفيّ الإرهابيّ.

لقد بات الترويج لمفهوم الدولة عبر قرن مضى السبب الرئيس لكلّ هذه التناحرات، فمنطقة الشرق الأوسط هي منطقة موزاييك فيها فسيفساء من كلّ الألوان، ومبدأ الديمقراطيّة المجتمعيّة لا ينفي هذه الألوان، بل يطرّزها وشماً جميلاً على جيد الشرق المبهر، فلابدّ من فهم الدولتيّة القوميّة، وعدم الوقوع في فخّها كما وقعت النظريات الثوريّة المعادية للتغوّل الرأسماليّ، من خلال تقديس الدولة القوميّة التي جرّت على شعوب الشرق الأوسط كلّ الويلات، والنكسات، والنكبات، والمجازر، وكلّ أشكال الإبادات والصهر.

بالطبع باتت العودة إلى الديمقراطيّة المجتمعيّة من خلال التخلّص من الذهنيّة التسلّطيّة؛ النتاج الذكوريّ البحت، ومن خلال بثّ الحياة في الفكر العاطفيّ المنقذ للبشريّة عبر العودة إلى الأم، وإنعاش الذهنيّة الأنثويّة المندثرة.

لذلك ركّزنا في هذا العدد على البحث عن الإرهاب، وبنية العصبيات، وأصول الفكر الأصوليّ، والعصبيّة عند ابن خلدون، ودراسة كلّ من سوريا ولبنان واليمن والعراق كنماذج شرقيّة، ودراسة معاهدة سيفر التي مرّ عليها قرن كامل، وما الأثر الذي ستخلّفه؟

لقد شارك كتّاب من اليمن ومصر ولبنان والعراق والمغرب وسوريا في إنجاح هذا العدد، ويعدّ هذا العدد اليوبيل الذهبيّ لمجلة الشرق الأوسط الديمقراطيّ، إذ نشكر كلّ من ساهم في إنجاح هذه المجلة والوصول إلى هذا الشكل، وهي عبارة عن تراكمات جهود مضنية للوصول إلى اليوبيل الذهبيّ، وساهم كتّاب من كلّ إنحاء الشرق الأوسط، سواء عرباً أو تركاً أو فرساً، فإنّنا نثني على جهودهم.

لقد كانت الأعداد الخمسون السابقة مع هذا العدد نقطة الانطلاق لترسيخ أركان هذه المجلة، التي حاولنا ومازلنا نحاول من خلالها أن نكون اللسان الناطق لشعوب منطقة الشرق الأوسط، فجمعت هذه المجلة كلّ الكتّاب الذين يناشدون ترسيخ الديمقراطيّة والتعدّدية، ونبذ التعصّب والطائفيّة والحرب، لِترسيخ السلام والمحبّة، وفضح المستبدين الظالمين والاحتكاريين الانتهازيين، وكانت لسان حال المرأة الحرّة، للوصول إلى حياة حرّة، فالسير في طريق الحرّية هو الحرّيّة بعينها.

# معاهدة سيفر وآفاقها

هيئة تحرير المجلة

## الحرب العالميّة الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨)

في 11 تشرين الثاني عام 1918م الساعة الحادية عشرة صباحاً، تم توقيع الهدنة بين المتحاربين، وأعلن وقف إطلاق النار على جميع الجبهات في تلك الحرب التي اندلعت منذ عام 1914م وحتى 1918م، والتي تسببت في معاناة ملايين البشر، ومات نحو عشرة ملايين جندي برصاص اخترق أجسادهم، أو القنابل التي مزقتهم، أو أحرقتهم، أو مات جوعاً، أو التهمتهم الفئران، أو بسبب الأوبئة التي انتشرت في الأوقات البائسة، وجرح 20 مليون آخر. إنّه الجنون الدولتي الذي أصاب دول النمسا والصرب والروس والألمان والفرنسيين ومستعمراتهم والبريطانيين وإمبراطورياتهم؟

يستطيع الإيطاليون واليابانيون والأمريكيون وغيرهم ممّن نجوا من الموت اعتبار أنفسهم محظوظين. لكن من المؤكد أن الجميع ظل يسأل سؤالاً واحداً: - **كيف صنعنا كلّ هذا الدمار والخراب والموت!!**

**ولكي نفهم أسباب نشوب الحرب العالمية الأولى لا بدّ من العودة بالتاريخ إلى سنة ١٨٧١م: الحرب السبعينية (١٩ تموز ١٨٧٠م إلى ١٠ أيار ١٨٧١م).**

الحرب الفرنسية الألمانية، أو الحرب الفرنسية البروسية: نشب الصراع المسلح ما بين الإمبراطورية الفرنسية الثانية بقيادة نابليون الثالث، والولايات الألمانية للاتحاد الألماني الشمالي بقيادة مملكة بروسيا. وكان سبب الحرب طموح بروسيا بتوحيد المدن الألمانية، وخوف فرنسا من تغيير موازين القوى الأوربية إذا نجحت بروسيا في مسعاها. يقولُ بعض المؤرّخين: إنّ المستشار البروسي (أوتو فون بسمارك) أثار عمداً هجوماً فرنسيّاً من أجل جذب الولايات الألمانية الجنوبية المستقلة دوقية بادن الكبرى، ومملكة فورتمبيرغ، ومملكة بافاريا، ودوقية هسن الكبرى، إلى تحالف مع الاتحاد الألماني الشمالي الذي تسيطر عليه بروسيا، بينما يقول آخرون: إنّ بسمارك لم يخطط لذلك، وأنّه استغل وحسب الظروف التي حدثت.

في ١٦ تموز ١٨٧٠م، صوّت البرلمان الفرنسي على إعلان الحرب على مملكة بروسيا، وبدأت الاشتباكات بعد ثلاثة أيّام. جمع التحالف الألمانيّ قوّاته بسرعة أكبر بكثير من الفرنسيين، وغزا بسرعة شمال شرق فرنسا، وكانت القوات الألمانية متفوّقة بالعدد، ولديها تدريب وقيادة أفضل، وقد سخّرت التكنولوجيا الحديثة بشكل أكثر فعّالية، خصوصاً سكك الحديد والمدفعية.

لقد حقّق الألمان والبروسيون انتصارات حاسمة في شرق فرنسا، وقد بلغت ذروتها في حصار ميتز (١٨٧٠م) وفي معركة سيدان تم أسر نابليون الثالث، وهزيمة جيش الإمبراطورية الثانية بشكل حاسم. وأعلنت حكومة الدفاع الوطني الفرنسية قيام الجمهورية الفرنسية الثالثة في ٤ أيلول من نفس السنة، واستمرت في الحرب خمسة أشهر أخرى. وقد قاتلت القوات الألمانية، وهزمت الجيوش الفرنسية الجديدة في شمال فرنسا. بعد حصار باريس، سقطت العاصمة في ٢٨ كانون الثاني ١٨٧١م، ثم قامت انتفاضة ثورية تسمى كومونة باريس، واستولت على السلطة في العاصمة لشهرين، حتى قام الجيش الفرنسي بقمعها دموياً في نهاية أيّار ١٨٧١م.

أعلنت الولايات الألمانية اتحادها وتكوين الإمبراطورية الألمانية تحت حكم الملك البروسي فيلهلم الأوّل، موحّداً ألمانيا كدولة قومية واحدة. وقد أعطت معاهدة فرانكفورت التي وقعت في ١٠ أيار ١٨٧١م ألمانيا معظم الإلزاس وبعض أجزاء اللورين، والتي أصبحتا ضمن المقاطعات الألمانية. لقد أربك الغزو الألماني فرنسا، وأربك توحيد ألمانيا ميزان القوى الأوربية الذي وجد منذ مؤتمر فيينا في ١٨١٥م. وحظي أوتو فون بسمارك بسلطة كبيرة في الشؤون الدولية لعقدين من الزمن. كان الإصرار الفرنسي على استعادة الألزاس واللورين، والخوف من حرب فرنسية ألمانية أخرى، إضافة إلى المخاوف البريطانية حول توازن القوى، من أسباب نشوب الحرب العالمية الأولى.

في سراييفو تغير قدر العالم إلى الأبد. في البوسنة التي ضمتها الإمبراطورية النمساوية الهنغارية مؤخّراً، لكنّ صربيا عارضت هذه الخطوة، ورغبت في التوسع من خلال اتحادها مع الشعوب السلافية في البلقان.

في ٢٨ من حزيران ١٩١٤م، سراييفو استطاع فرانس فرديناند وريث العرش النمساوية الهنغارية وزوجته، النجاة بصعوبة من أول

محاولة لاغتيالهم، وتوقف في دار البلدية ليحتج بشدة، وأثناء مغادرتهم المبنى بعد وقت قصير، قُتل بعدةٍ رصاصات من مواطن بوسنيٍ يدعي غافريلو برينسيب، يبلغ عمره ١٩ عاماً، وقد زوّده الصرب بالمسدس الذي استخدمه. كان لهذا الاغتيال في سراييفو عواقب لم يتخيلها أحد على الرغم من أنّ هذا النبأ في البداية لم يحظ إلا بتغطية إعلامية بسيطة، وكان السبب المباشر لاندلاع الحرب، لكنّ الأجواء كانت مهيّأة للحرب إثر صعود الدولة القوميّة، ووضع خرائط الدماء.

بدأ النمساويون بالاستعداد في ٢٣ تموز عام ١٩١٤م، وأرسلت الحكومة في فيينا لبلغراد إنذاراً أخيراً تضمّن شرطاً بأن يسمح للشرطة الإمبراطورية بإجراء تحقيقات على الأرض الصربية، وردت بلغراد أنّ صربيا ليست مقاطعة تابعة للإمبراطورية النمساوية الهنغارية، أمّا بالنسبة لبقية العالم فقد كان الأمر يعني إعلان الحرب.

جمعت الحرب جميع القوى العظمى الاقتصادية في تحالفين متعارضين؛ قوات الحلفاء؛ (الوفاق الثلاثي وهم المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا والجمهورية الفرنسية الثالثة والإمبراطورية الروسية) ضد دول المركز (الإمبراطورية الألمانية، والإمبراطورية النمساوية المجرية، والدولة العثمانية، ومملكة بلغاريا). مع أنّ إيطاليا كانت من ضمن الحلف الثلاثي مع الإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية النمساوية المجرية، إلّا أنّها لم تنضم معهما في حلف دول المركز بسبب خرق الإمبراطورية النمساوية المجرية لشروط الحلف الثلاثي. تم إعادة تنظيم هذه التحالفات وتوسيعها مع دخول المزيد من الدول إلى الحرب: إيطاليا واليابان والولايات المتحدة انضموا إلى الحلفاء، بينما انضمّت الدولة العثمانية ومملكة بلغاريا لدول المركز. بين عامي ١٩٠٨ و ١٩١٤م، كانت منطقة البلقان تعاني من عدم الاستقرار

**جمعت الحرب العالمية الأولى جميع القوى العظمى الاقتصادية في تحالفين متعارضين؛ قوات الحلفاء؛ (الوفاق الثلاثي وهم المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا والجمهورية الفرنسية الثالثة والإمبراطورية الروسية) ضد دول المركز (الإمبراطورية الألمانية، والإمبراطورية النمساوية المجرية، والدولة العثمانية، ومملكة بلغاريا). مع أنّ إيطاليا كانت من ضمن الحلف الثلاثي مع الإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية النمساوية المجرية، إلّا أنّها لم تنضم معهما في حلف دول المركز**

بسبب ضعف الدولة العثمانية، وحروب البلقان ١٩١٢-١٩١٣م، والمصالح الروسية والنمساوية المجرية المتنافسة.

كانت الاستراتيجية الألمانية للحرب على جبهتين ضد فرنسا وروسيا هي تركيز الجزء الأكبر من جيشها في الغرب على هزيمة فرنسا في غضون أربعة أسابيع، ثم تحويل القوات إلى الشرق قبل أن تتمكن روسيا من التعبئة بالكامل؛ هذه ستعرف لاحقاً بخطة شليفن. في ٢ آب، طالبت ألمانيا بالمرور الحر عبر بلجيكا، وهو عنصر أساسي في تحقيق انتصار سريع على فرنسا. عندما تم رفض ذلك، دخلت القوات الألمانية بلجيكا في وقت مبكر من صباح ٣ آب، وأعلنت الحرب على فرنسا في نفس اليوم. واستخدمت الحكومة البلجيكية معاهدة لندن (١٨٣٩) وامتثالاً لالتزاماتها بموجب المعاهدة، أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا في ٤ آب. وفي ١٢ آب، أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على النمسا - المجر. وفي ٢٣، انضمت الإمبراطورية

اليابانية إلى قوات الحلفاء، واغتنمت الفرصة لتوسيع دائرة نفوذها من خلال الاستيلاء على الممتلكات الألمانية في الصين، ومنطقة المحيط الهادي. في ٢٤ آب، حقّقت صربيا انتصاراً كبيراً على النمسا - المجر في معركة سير.

توقف التقدم الألماني إلى فرنسا في معركة مارن، وبحلول نهاية عام ١٩١٤م، استقرّت الجبهة الغربية على معركة استنزاف تميزت بسلسلة طويلة من خطوط الخنادق التي تغيّرت قليلاً حتى عام ١٩١٧م. على الجبهة الشرقية، دخل جيشان روسيان شرق بروسيا في ١٧ آب، امتثالاً لاتفاقهما مع فرنسا عام ١٩١٢م لمهاجمة ألمانيا خلال ١٥ يوماً من التعبئة. أجبر الألمان على تحويل قوات من الغرب، لكنّهم نجحوا في صد هذا الغزو بانتصارات في تانينبرغ وبحيرات ماسوريان. ومع ذلك احتل الروس مقاطعة غاليسيا الشرقية في النمسا والمجر.

في تشرين الثاني ١٩١٤م، انضمت الدولة العثمانية إلى دول المركز، وفتحت جبهات في القوقاز وبلاد الرافدين وشبه جزيرة سيناء. في عام ١٩١٥، انضمت إيطاليا إلى دول الحلفاء، وانضمّت بلغاريا إلى دول المركز. وانضمت رومانيا إلى قوات الحلفاء في عام ١٩١٦. وبعد غرق سبع سفن تجارية أمريكية بواسطة غواصات ألمانية، والكشف عن أنّ الألمان كانوا يحاولون تحريض المكسيك على شن حرب على الولايات المتحدة، أعلنت الولايات المتحدة الحرب على ألمانيا في ٦ نيسان ١٩١٧م. انهارت المقاومة العسكرية الروسية، مما سمح بنقل أعداد كبيرة من القوات الألمانية إلى الجبهة الغربية. وفي نيسان ١٩١٨م وقعت روسيا على معاهدة برست ليتوفسك مع القوى المركزية لتخرج من الحرب.

أنهت ثورة شباط ١٩١٧م في روسيا الحكم الاستبدادي القيصري، وجاءت بالحكومة المؤقتة، لكن استمرار السخط الشعبي على ثمن الحرب أدى إلى ثورة أكتوبر وإنشاء الجمهورية السوفياتية الاشتراكية. كان الهجوم الألماني في مارس ١٩١٨م ناجحًا في البداية، لكنّ الحلفاء احتشدوا ودفعوهم مرة أخرى إلى التراجع في هجوم المئة يوم؛ في ٢٨ أيلول ، طلب قادة الجيش الألماني الهدنة. في ٤ تشرين الثاني ١٩١٨م، وافقت الإمبراطورية النمساوية المجرية على هدنة فيلا غوستي. ومع حدوث ثورة في الداخل، وعدم رغبة الجيش في الاستمرار بالقتال، تخلّى القيصر فيلهلم عن العرش الألماني في ٩ نوفمبر، كما وقعت ألمانيا أيضاً هدنة في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨م، والتي عرفت فيما بعد بهدنة كومبين الأولى.

نتيجة للحرب استبدلت الإمبراطوريات الروسية والألمانية والنمساوية المجرية والعثمانية بدول جديدة قائمة على القوميات. فرضت القوى الأربع بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وإيطاليا شروطها في سلسلة من المعاهدات المتفق عليها في **مؤتمر باريس للسلام عام ١٩١٩م.** كان الهدف من تشكيل عصبة الأمم هو منع حرب عالمية أخرى، لكن لأسباب مختلفة فشلت في القيام بذلك. الشروط القاسية التي فرضتها معاهدة فرساي على ألمانيا ساهمت في صعود الحزب النازي ونشوب الحرب العالمية الثانية.

## معاهدة سيفر ونتائجها على الدولة العثمانية

مصطلح الرجل المريض لم يُطلق جزافاً على السلطنة العثمانية في أواخر عهدها, وهذا العهد الهزيل الضعيف لا يمكن حصره في بضع سنوات من حياة هذه السلطنة, وإنما كانت هذه الصفة «الرجل المريض» نتيجة طبيعية لأسباب موضوعية وُجدت في جسم وكيان الدولة العثمانية, منها اتساع رقعة الدولة وصعوبة فرض السيطرة وإحكام القبضة عليها, إلى جانب عدم التجانس ما بين الأقوام والشعوب المنضوية تحت لواء هذه

الدولة وخاصة أن النسبة الأكبر منها لم تكن منضوية بحرّية إرادتها بل كانت تابعة وهي مكرهة, أضف إلى ذلك الثورات المتتالية المناهضة لها في مختلف المناطق التي كانت خاضعة لحكمها, إما لأسباب قائمة على سوء الأحوال من جميع نواحيها, أو بسبب القمع والمظالم التي كان الولاة يمارسونها بحق الشعوب المقهورة المغلوبة على أمرها, أو لأسباب قومية عرقية, ولذا فإن بوادر الضعف ومن ثم الانهيار كانت قد ظهرت قبل عقود من انهيارها نهائياً كسلطنة أو خلافة إسلامية إثر معاهدة سيفر التي جاءت بمثابة الضربة القاضية, وأساساً كانت بهدف تقسيم تركة ذلك الرجل المريض نتيجة الهزيمة النهائية في الحرب العالمية الأولى على يد دول الحلفاء.

والإمبراطورية العثمانية بوصفها طرفاً أساسياً في تلك الحرب الطاحنة الخاسرة ـ إذ لا رابح في الحروب ـ ولكن بالنتيجة العسكرية كانت الهزيمة لدول المركز (المحور) التي كانت الدولة العثمانية تحارب في صفها, فإنها كانت في المعاهدة «سيفر» من الأطراف الكبيرة المهزومة, إذ كانت الخاسر الأكبر بعد مصادقتها على المعاهدة التي جاءت كالمسمار الأخير الذي دُقّ في نعشها, وذلك بسبب الشروط التي حملتها المعاهدة والتي لم تأتِ في مصلحة الأتراك والدولة العثمانية, ويمكن الحديث هنا عن أهم الشروط التي نصت عليها المعاهدة فيما يتعلق بالدولة العثمانية من قِبل الحلفاء:

**ـ إذ فرضت عليها التخلي عن جميع الأراضي التي لا ينطق أصحابها باللغة التركية, بمعنى: استقلال جميع تلك الشعوب غير الناطقة بالتركية عن الدولة العثمانية.**

ـ وضع مضيقي البوسفور والدردنيل تحت إدارة دولية.

ـ إخراج جزر دوديكانيسا من تحت النفوذ العثماني وإعطائها لإيطاليا والتي كانت بالفعل تحت السيطرة الإيطالية قبل الحرب العالمية الأولى.

> **لم يُطلق مصطلح الرجل المريض جزافاً على السلطنة العثمانية في أواخر عهدها, وهذا العهد الهزيل الضعيف لا يمكن حصره في بضع سنوات من حياة هذه السلطنة, وإنما نتيجة طبيعية لأسباب موضوعية وُجدت في جسم وكيان الدولة العثمانية, منها اتساع رقعة الدولة وصعوبة فرض السيطرة وإحكام القبضة عليها, إلى جانب عدم التجانس ما بين الأقوام والشعوب المنضوية تحت لواء هذه الدولة**

وعلى هذا انقضى عهد الإمبراطوريات وولّى في الشرق الأوسط, وبدأت ملامح الدولة القومية تلوح في الآفاق, وكذا الحال بالنسبة لتركيا التي أنشأت جمهوريتها على أنقاض ما تبقّى لها من تركة جدّها المريض (الإمبراطورية العثمانية).

و بالفعل استقلت الشعوب معظم الشعوب التي لا تنطق اللغة التركية عن السلطنة العثمانية التي تخلت عن أراضي تلك الشعوب, وكان من المفترض أن يسلك الشعب الكردي أيضاً طريق تقرير مصيره أسوة بباقي الشعوب التي حازت على استقلالها, وهذا هو بيت القصيد من المعاهدة فيما يتعلق بالشعب الكردي, لولا أن عاداهم القدر قبل البشر ليضيع ما جاء في «سيفر» ويصبح سراباً في «لوزان», والأمر ليس بهذه السذاجة أو كما يُقال ذهب مع الريح, فثمة ظروف موضوعية خارجة عن

**لقد استنفدت الحرب كلّ الطاقات في الشرق الأوسط، وفي سوريا على وجه الخصوص، وأيّ حرب أخرى أو إشعال فتيل أزمة أخرى، يعني عدم قدرة دول الهيمنة على ضبط الأمور، وفقدان زمام الأمور، وهذا ما لا تريده القوى العظمى، ولم تستطع تركيا - أردوغان أن تكون الحلّ المناسب لاستقرار المنطقة، بل باتت تشكّل خطراً عن الأمن العالميّ، وعلى المرحلة الثانية المرسومة للشرق الأوسط**

إرادة الكرد تمثّلت في الدول المنتصرة التي لم تنظر بجدية للقضية الكردية حينذاك, وكيف ينصفون أصحاب القضية و هم أنفسهم قد قسّموهم بين دول أربع في الأمس القريب؟

ولا يمكن التغاضي عن الظروف الذاتية للشعب الكردي وقتها, الذي لم يكن ليمتلك أدنى درجة من الجهوزية السياسية والدبلوماسية للخوض في غمار المساومات والمهادنات مع الدول الكبرى التي كانت وما زالت تمسك بزمام الأمور في جميع أصقاع الأرض.

## آفاق معاهدة سيفر

لا شكّ أنّ «معاهدة سيفر» كانت فيها ثغرات واضحة، فلم توضّح السبب في وضع خيار (تقديم الكرد القاطنين في المنطقة التي حدّدتها المادّة (٦٢) إلى عصبة الأمم عريضةً قائلين فيها: - إنّ غالبيّة سكان هذه المنطقة ينشدون الاستقلال عن تركيّا) مقارنة باستقلال أرمينيا غير المقيّد بشروط على سبيل المثال، أو استقلال سوريا والعراق... دون ذكر مادة تقديم العرب مثلاً (إنّ غالبيّة سكان هذه المنطقة (سوريا أو العراق أو شبه الجزيرة العربيّة... ينشدون فيها الاستقلال عن تركيّا) وقد مهّدت هذه المعاهدة لِنشوء الجمهورية التركيّة، وبروز التيار القومي الذي انتشر في الشرق الأوسط بشكل عام، وبروز الدولة القوميّة، وانتهاء عهد الإمبراطوريّات.

تكمن أهمية معاهدة سيفر بالنسبة للكرد لِأنّهم سيكون لهم الحق في تقرير مصيرهم أسوة بالشعوب الأخرى، وبما أنّ الكرد في شمال كردستان (الجزء التركي) يعتبرون الأكثرية الساحقة للكرد، فكان هذا سيعطي الدفع والقوّة للأجزاء المقتطعة إثر اتفاقيّة سايكس بيكو بين سوريا والعراق وإيران، أي قبل عامين من معاهدة سيفر.

**ولم تطبّق هذه معاهدة الصلح في سيفر لعوامل عدّة:**

- لم يكن الكرد حينها متطوّرين سياسياً وتنظيميّاً وعسكريّاً، فكان الكثير من الأمراء الكرد مؤيّداً للسلطان العثماني، وكذلك كان للتأثير الديني دور كبير في ذلك، وقد بدأ هذا الارتباط بالسلطان منذ وصول السلطان سليم إلى الحكم حتى سقوط الإمبراطورية العثمانية.

- لم تكن هناك نية جدّيّة للتحالف المنتصر في الحرب العالمية الأولى آنذاك (فرنسا – بريطانيا – إيطاليا – الولايات المتحدة) لاستقلال كردستان، وإنّما كانت هناك ثغرات واضحة كم أسلفنا.

- كان اليهود الصهاينة يتخوّفون من الكرد، ومن المساحة التي يشغلونها، والتي تتضارب مع مصالحهم في الحلم اليهودي من النيل إلى الفرات، إذْ رأس الوفد التركي إلى لوزان كلٌّ من (عصمت إينونو وحاخام يهودي).

- الحذر البريطانيّ الفرنسيّ من ارتماء تركيا بالكامل في حضن الاتحاد السوفيتي، كما يقلّد أردوغان نفس سياسة أتاتورك حينذاك.

- بالطبع كانت لوزان طيّاً لمعاهدة سيفر، فلم يكن هناك حينها وفدٌ كرديٌّ مستقلٌّ يمثّل الكرد في مؤتمر لوزان بعد عامين من سيفر، ولم تطرح القضية الكردية فيه.

- رغبة أوربا وأميركا في خلق شرخ ما بين الكرد والترك، فتوحّدهم يعني أمل استعادة أمجاد العثمانيين، وخطر عودتهم مرّة أخرى.

- ظلّت الشعوب (الكرديّة – التركيّة – العربيّة – الفارسيّة – الأرمنيّة) هي المسيطرة على خارطة الشرق الأوسط، وفي سبيل وضع خلل فيما بينها، وتمرير الفكر القوميّ، فكان لا بدّ من إقصاء بعض الشعوب من المعادلة، فوقع الاختيار على الكرد، ولم يهتمّ الكرد بتأسيس كيان دولتي له، ولم تكن ركائز الدولة واضحة فيها، واختصر الأرمن في وطن بعيد لهم، وأبيد وتشرذم الباقون.

لكلّ قرن دلائله ومؤشّراته، إذْ تتغيّر المفاهيم لدى الدول المؤثّرة، ونظام العالم المهيمن، وتستبدل الخطط بخطط (ب أو ج...) أو تضاف إليها بعض الخطط الإضافية، وتحذف بعض الخطط، وقد أثبت الكرد في روجآفا قدرتهم على إدارة المدن، وتنظيم المناطق التي تسود فيها الصراعات الأثنية والعرقيّة، وخاصة في بؤر التوتر، وأثبتوا أنّهم قادرون على تأسيس كيان سياسي اجتماعي عسكريّ مواكبٍ للنظام العالمي وبطرق مغايرة للنظرة الاستشراقيّة.

فكرد الآن غير كرد سيفر، ولدى دول المركز وخاصّة الولايات المتّحدة نيّة لتطبيق المعاهدات السابقة بطرق جديدة، وبرؤى جديدة، وقد بات مشروع نفي الكرد من المعادلات السياسية والاستراتيجيّة القادمة مستحيلاً، وإنّ أيّ طيّ آخر لصفحة الكرد يعني تفرّد الدول القاسمة كردستان بامتلاك زمام أمور الشرق الأوسط، وبالتالي خروج النظام العالمي رويداً رويداً من أغنى منطقة في العالم من كلّ النواحي.

إنّ رسالة معاهدة سيفر ترسل لنا رسائل عن الواقع الحالي، وكيفية حرص أردوغان لتطبيق كل الممارسات التي مورست ما بين ١٩٢٠ وعام ١٩٢٢ من خلال التحالف مع روسيا، ورفض وصول الكرد إلى جنيف وغيرها، للبحث عن حلٍّ للكرد وسوريا بشكل عام.

لقد استنفدت الحرب كلّ الطاقات في الشرق الأوسط، وفي سوريا على وجه الخصوص، وأيّ حرب أخرى أو إشعال فتيل أزمة أخرى، يعني عدم القدرة على ضبط الأمور، وفقدان لزمام الأمور، وفلتان من القدرة على ضبطها، وهذا ما لا تريده القوى العظمى، ولم تستطع تركيا أردوغان أن تكون الحلّ المناسب لاستقرار المنطقة، بل باتت تشكّل خطراً عن الأمن العالميّ، وعلى الخطط الجديدة المرسومة للشرق الأوسط، وإن كان أردوغان متحالفاً مع اليهودية الصهيونيّة، ويتماشى مع بعض خططها، لكن هناك تخوّفاً كبيراً من تصرّفاته غير المدروسة، والخارجة عن المنطق السياسيّ العام.

إنّ جنيف أو أي مكان آخر يبحث عن حلٍّ للقضيّة الكرديّة، أو يبحث عن حلٍّ لمشاكل سوريا والشرق الأوسط بشكل عام، سيكون استكمالاً لمعاهدة سيفر، فمعاهدة لوزان قد أثبتت فشلها من خلال خلق كيان تركيا التي أقضّت مضاجع أوروبا وأميركا في بعض الأحيان.

لا بدّ من أن عصر التأسيس لدول قوميّة قد ولّى، وبات العالم يبحث عن حلول بديلة للدول القوميّة في عصر العولمة، وتزعزع الهويّة الوطنيّة والدينيّة، ومن خلال الاعتماد على بدائل إداريّة أخرى، فمشروع كردستان كجغرافيّة كوموناليّة لا مركزيّة إداريّة هي الأطروحة الأقوى التي تفرض وجودها من خلال التجربة الروجآفايّة.

# حزب العمال الكردستاني وأيديولوجيا الدولتية القومية

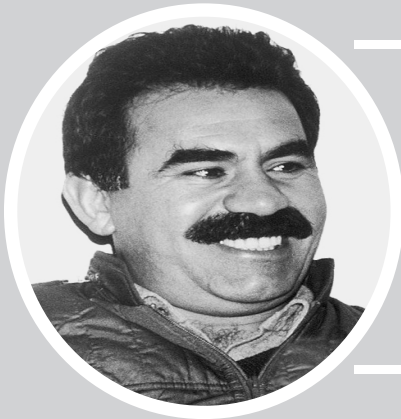

عبد الله أوجلان

إنّ المشكلةَ الأساسية المتعلقة بتكوينِ حزب العمال الكردستاني تكمنُ في غموضِه بشأنِ أيديولوجيّته الدولتيةِ القومية. فقد أثّرت فيه أطروحاتُ جوزيف ستالين فيما يتعلقُ بالقضيةِ القومية بشكلٍ خاصٍّ ، إذْ يتناولُها على أنها تعني قضيةَ تشييدِ الدولة أساساً. وقد أثّرت مقاربتُه هذه على عموم النظام الاشتراكيِّ وعلى الحركاتِ التحرريةِ الوطنيَة كافة. كما أنّ قَبولَ لينين أيضاً بهذا الحقّ، وإسقاطَه إياه إلى مستوى بناءِ الدولةِ بوصفِها حقَّ الشعوبِ في تقريرِ مصيرِها؛ كان سبباً أوّلياً لوقوعِ كلِّ الأحزابِ الشيوعيةِ والاشتراكيةِ في الغمَوضِ الأيديولوجيّ.

والنموذج الذي اعتمدَه حزب العمال الكردستاني في حلِّ القضيةِ الكرديةِ وبنى عليه انطلاقتَه، كان ذاك الذي طرحَه ستالين وصادقَ عليه لينين، أي نموذج بناءِ الدولة، وانتهاءُ غالبيةِ الحركاتِ التحرريةِ الوطنية التي بلغَت أوجَها في تلك الفترة (ما بين أعوام الخمسينيات والسبعينيات) ببناءِ الدولة، كادَ يجعلُ من هذا النموذجِ خياراً وحيداً. أي أنّ بناءَ دولةٍ منفردةٍ بذاتِها قد غدا مبدأً اشتراكياً مقدساً ومُسَلَّماً به. بمعنى آخر، فأنْ تَكونَ اشتراكياً، كان يعني أنْ تدعمَ حقَّ الشعوبِ والأممِ المسحوقةِ والمستعمَرةِ في بناءِ الدولة. والتفكيرُ المعاكسُ كان دليلاً على التجرُّدِ من كينونةِ الاشتراكية. في حقيقةِ الأمر، كان مبدأُ حقِّ الأممِ في تقريرِ مصيرِها قد طُرِحَ لأولِ مرةٍ بعدَ الحربِ العالميةِ الأولى من قِبَلِ الرئيسِ الأمريكيِّ آنذاك «ويلسون». وكان على صِلةٍ قريبةٍ بحملةِ أمريكا في بسطِ هيمنتِها. ولكيلا يتخلّفَ لينين عن مواكبةِ رَكْبِ ويلسون، ولكي يحظى بمؤازرةِ الشعوبِ المستعمَرة والأممِ المسحوقة للاتحادِ السوفييتيّ؛ فقد قام بإضفاءِ طابعٍ أكثر راديكاليةً على نفسِ المبدأ، مختزِلاً إيّاه إلى مستوى بناءِ دولةٍ مستقلة. وهكذا بدأَ سباقٌ في هذه الوجهةِ بين كِلا النظامَين. وأبرزُ مثالٍ على ذلك هو دعمُ كِلتا القوّتَين للمقاومةِ القوميةِ المبتدئةِ لتوّها في بلادِ الأناضول. وقد دامَت هذه المقاربةُ لاحقاً بين النظامَين بتصاعدٍ مستمر.

لَم يَكُن هناك موقفٌ صريحٌ في هذا الشأنِ لدى كارل ماركس وفريدريك أنجلز، اللذَين أسَّسا الاشتراكيةَ العلمية. لكنهما لَم يَنتقدا أو يعترضا أيضاً على الدولةِ القوميةِ التي نُظِّرَ لها في الفلسفةِ الهيغليةِ على أنها النموذجُ الأساسيُّ للدولة. لقد كانا مضطرَّين إلى الإقرارِ بأنّ نموذجَ الدولةِ القوميةِ هو شكلُ الدولةِ الجديدُ والطبيعيُّ والضروريُّ من أجلِ العصرِ والحداثة. فعلى سبيلِ المثال، فقد ناصَرا الحلَّ المتمثلَ في بناءِ دولةٍ قوميةٍ مركزيةٍ وطيدةٍ ومتخلصةٍ من الاتحاداتِ الفيدراليةِ المتبعثرةِ فيما يتعلّقُ بقضيةِ الوحدةِ الألمانيةِ التي كانت إحدى أهمِّ القضايا القوميةِ في عصرِهما. وكانا يدافعان عن هذا الحلِّ في وجهِ الفوضويين بصورةٍ خاصة. لكنّ التاريخَ أثبَتَ أحقّيّةَ الفوضويين في هذا المضمار. نخصُّ بالذِّكرِ آراءَ باكونين وكروبوتكين، التي ما تزالُ تحافظُ على أحقيتِها ومِصداقيتِها. فنموذجُ الدولةِ القوميةِ المتينةِ التي تعتمد على البيروقراطيةِ المركزية المفرطة، هو الذي قضى على الاشتراكيةِ العلميةِ وممارسةِ الاشتراكيةِ المشيدة. أو بالأحرى، إنه يتصدرُ الأسبابَ الرئيسيةَ التي أدت إلى تهشُّشِها وتفسُّخِها من الداخل. ذلك أن الدولةَ بوصفِها ديكتاتوريةَ البروليتاريا عموماً، والدولةَ القوميةَ التي تُعَدُّ شكلَها الأشدَّ مركزيةً والمتغلغلَ حتى أدقِّ الأوعيةِ الشّعريةِ لعروقِ المجتمعِ خصوصاً؛ هما السببُ الأساسيُّ للانهيارِ والتحلُّلِ من الداخل. بينما العواملُ الأخرى تلعبُ دوراً ثانوياً. بمعنى آخر، فالسببُ وراء قيامِ الاشتراكيةِ المشيدة، التي كلَّفَت تضحياتٍ جِساماً طيلةَ تاريخِها الذي ناهزَ مئةً وخمسين عاماً، بتعريضِ قِيَمِها للتفسخ التلقائيّ؛ هو افتقارُ الاشتراكيةِ العلميةِ لنظريتِها الخاصةِ بها بصددِ الدولةِ والديمقراطية.

عندما سما ماركس وأنجلز بالدولةِ القوميةِ الألمانيةِ المُشادةِ في مطلعِ العقدِ السابعِ من القرنِ التاسع عشر، وعندما عرَضاها كنموذجٍ مثاليّ؛ كانا قد اقترفا بذاتَيهما وبعَقلَيهما أفظعَ خطأ بحقِّ الاشتراكيةِ العلميةِ التي صَيَّراها إحدى اليوتوبياتِ المثاليةِ للبشرية. ولو أنهما أخذا الانتقاداتِ التاريخيةَ التي وجَّهَها الفوضويون (بالأخصِّ باكونين وكروبوتكين) على مَحملِ الجدّ، لَكان مصيرُ الاشتراكيةِ العلميةِ مختلفاً وناجحاً بكلِّ تأكيد، ولأصبحَت القِيَمُ الاشتراكية المُفعمةُ بالحريةِ والديمقراطيةِ والمساواةِ نظاماً بديلاً مُوفَّقاً ومُستَداماً في وجهِ الحداثةِ الرأسمالية. وبشكلٍ عامّ، كانت

ستحققُ حينها تطوراً عظيماً في إنشاءِ عناصرِ العصرانيةِ الديمقراطية تجاه عناصرِ الحداثةِ الرأسمالية. ونحن على معرفةٍ بأنّ كارل ماركس وفريدريك أنجلز انتَبَها في أواخرِ حياتَيهما لهذا الخطأِ الأوليّ. وأنهما تعلّما الكثيرَ من المجتمعِ المشاعيِّ البدائيِّ بصورةٍ خاصة. وأدرَكا عدمَ حتميةِ المرحلةِ الرأسمالية. ونظَرا بعينِ التثمينِ والتقديرِ لاختبارِ أشكالِ الاشتراكيةِ المرتكزةِ إلى المجتمعِ القديم. كان ماركس قد سعى في مؤلَّفِهِ "رأس المال" إلى إتمامِ تحليلِه بصددِ الدولة. والكلُّ يعلمُ أنّ عمرَه لَم يَكفِه لإنهاءِ ذلك. كما كان أنجلز قد أضفى بُعداً تاريخياً أعمق على الاشتراكيةِ العلميةِ في مأثورِه الشهيرِ «أصل العائلة والمُلكية الخاصة والدولة». ويكمنُ سوءُ الحظِ الأكبر لنظريةِ الاشتراكيةِ العلمية في أنْ يَقومَ برنشتاين بالتعديلِ فيها، بدلاً منهما. فتَجذّرَت الأخطاءُ بدلاً من الحقائق. ونخصُّ بالذِّكرِ أنّ التناوُلَ الليبراليَّ البورجوازيَّ لكلٍّ من برنشتاين بشأنِ الديمقراطية، ولينين وستالين بشأنِ الدولةِ والقضيةِ الوطنية؛ شَكّلَ أفظعَ انحرافٍ وأفدحَ خطأٍ في تاريخِ الاشتراكيةِ العلمية. ولَم يقتَصر الأمرُ على ارتكابِ الأخطاءِ والتحريفات، بل وأُنشِئَت أيضاً متجسدةً في هيئةِ الاشتراكيةِ المشيدةِ لتَحلَّ محلَّ الحقائقِ الأساسية.

كانت انتقاداتُ فلاديمير لينين إلى برنشتاين صحيحة. ومفادُها أنّ هذا الأخيرَ قد حوَّلَ حركةَ الديمقراطيةِ الاجتماعيةِ (كانت هذه التسميةُ تُطلَقُ حينها على الأحزابِ الاشتراكية) إلى ذيلٍ مُرفَقٍ بالليبراليةِ البورجوازيةِ وإلى امتدادٍ يساريٍّ لها. وبالأصل، فالمستجداتُ اللاحقة أكدت صحةَ رأيِه هذا. أي أنّ التحريفيةَ البرنشتاينيةَ كانت انحرافاً يمينياً ومَثّلَت أولَ ضربةٍ جادةٍ لحِقَت بالاشتراكيةِ العلمية، فغيابُ الديمقراطيةِ المجتمعية، وإحلالُ بناءِ الدولةِ القوميةِ محلّها، أفضَيا إلى تفاقُمِ تداعياتِ تلك الضربة. ألا وهما غيابُ الديمقراطيةِ المجتمعية.

**"كانت انتقاداتُ فلاديمير لينين إلى برنشتاين صحيحة. ومفادُها أنّ برنشتاين قد حوّلَ حركةَ الديمقراطيةِ الاجتماعيةِ إلى ذيلٍ مُرفَقٍ بالليبراليةِ البورجوازيةِ وإلى امتدادٍ يساريّ لها. وبالأصل، فالمستجداتُ اللاحقة أكدت صحةَ رأيِه هذا. أي أنّ التحريفيةَ البرنشتاينيةَ كانت انحرافاً يمينياً ومَثّلَت أولَ ضربةٍ جادةٍ لحِقَت بالاشتراكيةِ العلمية، فغيابُ الديمقراطيةِ المجتمعية، وإحلالُ بناءِ الدولةِ القوميةِ محلّها، أفضَيا إلى تفاقُمِ تداعياتِ تلك الضربة."**

وإحلالُ بناءِ الدولةِ القوميةِ محلَّها. هذا هو النقصُ والخطأُ الفادحَين والأساسيَّين اللذين عظَّمَا من تأثيرِ برنشتاين. فقد كان برنشتاين يسعى إلى تخطي الخطأِ بشأنِ الديكتاتوريةِ وإلى تلافي النقصانِ بشأنِ الديمقراطية، من خلالِ إبعادِ الديمقراطيةِ الاجتماعيةِ عن نظريةِ الديكتاتوريةِ والدولة، وتطويعِ الدولةِ القوميةِ الألمانيةِ صوب الدولةِ الاجتماعية. لكنّ كِلتا مُقاربتَيه كانتا مشحونتَين بالانتهازية. بالمقابل، فالانتقاداتُ الصائبةُ التي وجَّهَها إليه لينين كانت تفتقرُ إلى الحقائقِ الصائبةِ البديلة. فما اقترحَه لينين كبديلٍ للديمقراطيةِ البورجوازيةِ والديمقراطيةِ الاجتماعيةِ البرنشتاينيةِ التي هي امتدادٌ يساريٌّ للأولى، كان ديكتاتوريةَ البروليتاريا والدولةَ الاشتراكية. إذ يتخبطُ لينين هنا في مأزقٍ عقيمٍ لَم يتغلبْ عليه طيلةَ حياتِه. لقد تطلَّبَ موضوعُ ديكتاتوريةِ البروليتاريا والدولةِ الاشتراكيةِ انهماكاً مُضنياً من لينين. وقد بذَلَ جهوداً حثيثةً في هذَين

> **”اقترحَ كروبوتكين على لينين مَأسَسَةَ السوفييتات كنموذج ديمقراطيّ لتمكين استدامتها. لكنّ لينين لَم يُصْغِ كثيراً إليه. بل شكّكَ فيه، ولم يُعِرْه اهتماماً، فظهرت الأعجوبةُ المسماةُ بديكتاتوريةِ البروليتاريا التي ابتَلعَت كلّ الميولِ الثوريةِ والديمقراطيةِ والاشتراكية، مع أنّ لينين قد تلفظَ بعبارة (الطريقَ إلى الاشتراكيةِ يمرُّ من أوسع أشكالِ الديمقراطية.) لكنه قفزَ على هذه العبارة، دون التنظيرِ لها أو رسمِ معالمِ ممارستِها العملية“**

الموضوعَين. لكنه ما فتئَ عاجزاً عن بلوغ الحلِّ الصحيح. إذ لَم تَكُن ديكتاتوريةُ البروليتاريا –التي تطرقَ إليها كارل ماركس بضعةَ مراتٍ فقط على الصعيدِ الاصطلاحيِّ بمناسبةِ كومونةِ باريس (١٨٧١)– موضوعاً مدروساً أو معمولاً عليه من الناحيةِ النظرية. بل كانت قد صِيغَت مقارنةٌ فظةٌ مُستَوحاةٌ من البورجوازيةِ بالقول: ”ما دامَ للبورجوازيةِ ديكتاتوريتُها، فلِمَ لا يَكُونُ للبروليتاريا أيضاً ديكتاتوريتُها؟“.

انكبَّ لينين بعدَ التجربةِ السوفييتيةِ على الاهتمامِ بنظريةِ الدولةِ الاشتراكيةِ في مستهلِّ عشرينياتِ القرنِ العشرين. معلومٌ أنّ عُمرَه لَم يَفِهِ لإتمامِ ذلك. ومعلومٌ أيضاً أنّ كروبوتكين حينها كان قد اقترحَ شخصياً على لينين مَأسَسَةَ السوفييتاتِ كنموذجٍ ديمقراطيٍّ لتمكينِ استدامتِها. لكنّ لينين لَم يُصْغِ كثيراً إليه. بل وشكَّكَ فيه، ولَم يُعِرْه اهتماماً بسببِ شخصيةِ كروبوتكين الفوضويةِ بصورةٍ خاصة. وما حصل بَعدَ ذلك معلوم. فالأعجوبةُ المسماةُ بديكتاتوريةِ البروليتاريا، والتي يُحكِمُ ستالين قبضتَه عليها، قد ابتَلعَت كلَّ الميولِ الثوريةِ والديمقراطيةِ والاشتراكية. ثم ابتُلِعَ ستالين شخصياً بمؤامرةٍ حاكَتها هذه الأداةُ في آخرِ المآل. كان لينين قد تلفظَ بعبارةٍ مفادُها أنّ الطريقَ إلى الاشتراكيةِ تمرُّ من أوسعِ أشكالِ الديمقراطية. لكنه تمّ القفزُ على هذه العبارة، دون التنظيرِ لها أو رسمِ معالمِ ممارستِها العملية. لقد كانوا أَقنَعوا أنفسَهم باستحالةِ عيشِ البروليتاريا من دونِ ديكتاتوريةٍ أو دولة، لدرجةِ أنهم لَم يتوانَوا حتى عن تعريفِ مصطلحِ الديمقراطيةِ البروليتاريةِ على أنه ديكتاتوريةٌ وشكلُ دولة. أي إنهم اعتَبَروا الديمقراطيةَ شكلاً للديكتاتوريةِ والدولة. وهنا يكمنُ الخطأُ المِعياريّ. فانطلاقاً من التاريخ نَعلمُ جيداً أنّ الديمقراطيةَ ليست ديكتاتورية ولا شكلاً من أشكالِ الدولة. وعلى النقيض، فهي شكلُ الإدارةِ المجتمعيةِ المضادةِ أو البديلةِ للديكتاتوريةِ والدولة. والمجتمعُ الديمقراطيُّ هو اسمٌ لنظامٍ إداريٍّ تغيبُ فيه الديكتاتوريةُ أو الدولة، أو تَكُونان على وفاقٍ مع المجتمعِ بأقلِّ تقدير. إنّ ما عجزَ الاشتراكيون العلميون (بدءاً من كارل ماركس وحتى لينين) عن تطويرِه، بل وأقاموا ديكتاتوريةَ البروليتاريا والدولةَ الاشتراكيةَ بدلاً منه؛ هو المجتمعُ الديمقراطيُّ أو نظامُ الديمقراطيةِ المجتمعيةِ الذي يفيدُ بالمعنى عينِه. فغيابُ المجتمعِ الديمقراطيِّ أو النظامِ الديمقراطيِّ المجتمعيّ هو الخطأُ الفادحُ في هذا الشأن (بشأن ديكتاتورية البروليتاريا والدولة الاشتراكية)، والذي أفسحَ المجالَ أمام بروزِ التحريفيةِ البرنشتاينية.

# القومية والوطنية
# في الفكر القومي العربي السوري

صالح بوزان

لكي نستطيع أن نفهم لماذا تفجّرت سوريا بعد الثورة، لا بد من العودة إلى التاريخ المصطنع لسوريا الحديثة ولمصطلحَي القومية والوطنية اللذين صاغتهما النخب الثقافية والسياسية السورية العربية. لقد قامت الدولة السورية أساساً على مفاهيم خاطئة، وبالتالي لم تكن للثورة تلك الخلفية المعرفية لكي تستطيع تصحيح الخطأ التاريخي. فتصحيح هذا الخطأ لا يتم بإجراء تعديل عليه، وإنما وضع أسس جديدة تجسّد الواقع الحيّ لهذا الشعب المركب قومياً ودينياً وطائفياً.

حين نستعرض كتابات المثقفين العرب حول الفكر القومي والوطني في «المشرق العربي» كما يسمونه، نجد أن مرجعيتهم الأساسية تعود إلى زكي الأرسوزي (١٨٩٩-١٩٦٨) وميشيل عفلق (١٩١٠-١٩٨٩). هذان المفكران هما اللذان وضعا أسس الفكر القومي العربي لسوريا والعراق. ولم يتجاوز أي كاتب أو مفكر عربي آخر أفكارهما في القومية والوطنية حتى الآن. الغريب في الأمر أن الفكر القومي العربي تأسس في منطقة هي في الأساس منطقة تداخل شعوب عريقة، بينما ركز الكُتّاب العرب منذ بدايات فكرهم القومي على عروبة هذه المنطقة وعروبة الشعوب التي تسكن فيها. فحتى أواخر العهد العثماني لا توجد جغرافية محددة تحت اسم سوريا، ولو أعدنا النظر في التقسيمات الإدارية العثمانية؛ لوجدنا أنّ سوريا "سايكس- بيكو" غير موجودة إدارياً. يقول الكاتب وجيه كوثراني: «من زاوية التقسيم الإداري العثماني الذي اعتُمد من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لم تشكل (سوريا) "وحدة إدارية" ضمن ولاية عثمانية واحد، بل تقاسمتها الولايات الثلاث: ولاية دمشق، ولاية حلب، ولاية بيروت، إضافة إلى "متصرفيات» القدس وجبل لبنان ودير الزور. ولم يتطابق الإطار الجغرافي والسكاني الذي شملته تلك الولايات مع مناطق التي ستستقر عليها حدود "سوريا» التي خضعت للانتداب الفرنسي.(١)

لم تتطابق تحديدات المسؤولين السوريين الذين طالبوا باستقلال سوريا من الدولة العثمانية مع حدود سوريا كما هي في اتفاقية سايكس- بيكو. فقد كتب وجيه كوثراني أن المذكرة التي قدمها المؤتمر السوري إلى لجنة الاستفتاء الأمريكية في ٢ تموز ١٩١٩ تشير إلى أن المؤتمر السوري رسم حدود "سوريا» كما يلي: « شمالاً جبال طوروس، وجنوباً رفح- فالخط المارّ من جنوب الجوف إلى جنوب العقبة الشامية أو العقبة الحجازية، وشرقاً نهر الفرات، فالخابور والخط الممتد شرق (أبو كمال)، إلى شرق الجوف، وغرباً البحر المتوسط". والملاحظ هنا أن شرق الفرات لم يدخل في حساباتهم.(٢)

لا يقف الكاتب عند هذه التوثيق فقط، بل يذكر أنه ثمة استخدامات شتى تصادفنا لتعبير "سوريا» في الوثائق العائدة إلى تلك المرحلة التاريخية. «فهي تعني امتداداً جغرافياً قد يضيق أو يتسع تبعاً لوجهة النظر التي تحملها الوثيقة.(٣)

هناك حقيقة أخرى لا بد من التطرق إليها، وهي أن العرب لم يطالبوا طيلة التاريخ العثماني بصوت خاص بهم, فقد كانوا يعتبرون السلطاني العثماني هو خليفة المسلمين, وبما أنهم عرب مسلمون فهم موجودون في دولتهم وإمبراطوريتهم. لا بد من الإشارة أيضاً أن العثمانيين بدورهم لم يفكروا قومياً مثلما فكروا إسلامياً, فلم يحاولوا تتريك الأعراق الأخرى التي دخلت في نطاق إمبراطوريتهم. (٤) ولم يكن لهم معارك مع العرب. فحين سيطروا على سوريا ومصر انتزعوها من أيدي المماليك، ولم يقاومهم العرب، وإنما رحبوا بهم وأعلنوا ولاءهم للغازي العثماني.(٥) كما لم يحاول الأتراك دمج العنصر العربي أو تتريكه إلا بعد استيلاء جمعية الاتحاد والترقي على مقاليد الحكم سنة ١٩٠٨.(٦) كما لم تصطبغ لفظة "عثماني" بصبغة عرقية ذات مدلول قومي إلا في القرن التاسع عشر، وذلك تحت تأثير الفكرة الليبرالية الأوروبية.(٧)

كان الحكم العثماني يقوم أساساً على مبادئ الشرع الإسلامي بواسطة محاكم دينية يشرف عليها شيخ الإسلام الذي كانت له السلطة العليا في الأمور الدينية.(٨) وكما نعلم من خلال النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والممارسة العملية؛ أن الشريعة مقدسة ومعصومة لا تتغير, فالحكومة الإسلامية هي حكومة من الله, ومن واجب كل مسلم دينياً واجتماعياً, أن يخضع لهذا الحكم الذي يساوي بين المسلم وأخيه المسلم, وهكذا تتجسد الدولة الإسلامية في الله,

والله هو القوة العظمى التي تعمل للخير العام, فالخزينة هي خزينة الله, والجيش هو جيش الله. حتى أن الموظفين في الدولة, هم عمال عند الله. (٩)

لم يكن الفرد في الإمبراطورية العثمانية مواطناً, بل كان من رعايا السلطان, فهو يتبع السلطان كما يتبع القطيع لمالكه.

لقد شخّص القنصل الفرنسي العام في بيروت وضعية الفرد في سوريا ضمن إطار الإمبراطورية العثمانية بقوله: في هذا البلد حيث لفظة «الدين» تُعتبر مرادفاً للفظة "القومية" أو لكلمة "الوطن". (١٠) وهكذا لم يكن العرق أو القومية هما اللذان يفرّقان بين جماعة وأخرى وإنما الدين.

كانت الإمبراطورية العثمانية في أوج عزّتها تمتدّ من أبواب فيينا إلى شواطئ بحر قزوين, ومن الخليج الفارسي إلى عدن, وعبر البحر الأحمر وشمال إفريقيا إلى مقربة من شاطئ الأطلسي.

لم يتمرّد العرب خلال الحكم العثماني على السلطان, ولم يكن يختلف اعتزاز العربي بالإمبراطورية العثمانية عن اعتزاز التركي بها, بل كانت المعاناة من ظلم السلطة واحدة على جميع الأعراق والقوميات تقريباً. وكان الكرد أيضاً من بين هذه الشعوب العثمانية, لكنهم على خلاف العرب تمرّدوا مراراً وتكراراً ضد السلطان العثماني رغم أنهم أيضاً كانوا مسلمين مثل العرب.*

لم يكن التمرد العربي ضد العثمانيين بداية القرن العشرين دافعاً ذاتياً بعكس ما كان الحال بالنسبة للكرد, وإنما كان نتيجة عامل خارجي, وحصراً نتيجة التدخل الأوروبي في شؤون الإمبراطورية العثمانية وسعيها لزعزعتها.

بدأ المثقفون العرب يطّلعون على الفكر الغربي ويكتشفون أساليب التربية الغربية المخالفة للأساليب العثمانية, وهنا بدأت الأفكار السياسية والاجتماعية الغربية الحديثة تتسرّب إلى أذهانهم من خلال

**"بدأ المثقفون العرب يطّلعون على الفكر الغربي ويكتشفون أساليب التربية الغربية المخالفة للأساليب العثمانية, وبدأت الأفكار السياسية والاجتماعية الغربية الحديثة تتسرّب إلى أذهانهم من خلال العلاقات التجارية والسياحة والمدارس التبشيرية في سوريا ولبنان، ولاسيما أواخر العهد العثماني, فاكتشفوا أنّ في الغرب واقعاً جديداً ونمطاً من الحياة يختلفان جذرياً عن الحياة في ظل الدولة العثمانية"**

العلاقات التجارية والسياحة والمدارس التبشيرية في سوريا ولبنان, ولاسيما أواخر العهد العثماني, فاكتشفت الفئة المثقفة من العرب أن في الغرب واقعاً جديداً ونمطاً من الحياة يختلفان جذرياً عن الحياة في ظل الدولة العثمانية. وكان المسيحيون السوريون واللبنانيون من أوائل المواطنين الذين توجهوا نحو الثقافة الغربية وحضارتها. وهم الذين لعبوا الدور الأهم في تهييج النقمة ضد السلطات العثمانية بالاعتماد على التوجه نحو الفكر القومي العربي,(١١) ومع ذلك, فحتى أواخر القرن التاسع عشر لم تكن هناك "قضية عربية" في المحافل الدولية, وكانت لفظة "عربي" تُطلق على البدو وعلى سكان الأرياف في الشرق الأوسط,(١٢) وكان العرب آخر الأجناس شعوراً بالعصبية الجنسية, لأن سوادهم الأعظم مسلمون لا يكادون يشعرون بغير الانتماء الديني.(١٣)

عند الحديث عن سوريا اليوم يجب الانطلاق

من تاريخها الحقيقيّ، وليس كما صاغه القوميون العرب في دفاترهم المدرسية, فسوريا ليست هي التي جسّدتها اتفاقية سايكس بيكو. وليست هي سوريا "الطبيعية" التي رسم خريطتها أنطون سعادة (١٩٠٤ - ١٩٤٩) مؤسس الحزب القومي الاجتماعي السوري. في دراسة قدّمها طالب في الدراسات العليا -عمران الرشق- في جامعة بيرزيت حول "الأقليات القومية بين الدولة والمجتمع المدني- سوريا نموذجاً» حيث كتب: "سوريا كدولة تأسست على قاعدة اتفاقية سايكس- بيكو؛ هذا الكيان السياسي ليس له تاريخ خاص وبالتالي فالكيان الحالي مصطنع إلى حد كبير".(١٤)

## التعريف بهوية الشعب السوري

لم يتم تعريف هوية الشعب السوري تعريفاً مطابقاً للواقع حتى الآن, فهناك من يعتبره آرامياً أو سريانياً من الناحية التاريخية, وهناك من يعتقد أنه عربي بالكامل. لكن الحقيقة مخالفة لهذا وذاك, فقد انحصرت في الخارطة السورية الحديثة شعوب عديدة, وبمعنى آخر؛ يُعتبر الشعب السوري مجموعةً من الشعوب والأقليات يوجد في تركيبته عرب وكرد وآشوريين وسريان وتركمان وأرمن وجاجان وآراميون وشركس وبقايا يهود.

كانت هذه البقعة التي نسميها سوريا اليوم مسرحاً لصراع الغزاة منذ فجر التاريخ, فيأتي غازٍ بجيشه ويحتلها ويقيم عليها دولته لفترة من الزمن, ثم يأتي غازٍ آخر ليطرد الغازي الأول ويجلس على صدر هذه المنطقة وشعوبها, وهكذا دواليك. لم يكن يحتل كل غازٍ هذه الخارطة التي نسميها سوريا فقط, بل كان يحتل غالباً الشرق الأوسط كله, وكان لتعدد الغزاة من حيث الجنسية والقومية والديانة التأثير المتعدد على كافة شعوب المنطقة, فنلاحظ أن أغلب الحضارات القديمة التي ازدهرت في هذه المنطقة تعود للحوريين (أحد جذور الكرد) والحثيين الذين انقرضوا والآشوريين والكلدان والمسلمين من أجناس وقوميات مختلفة والرومان والفرس, غير أنّ أهم الحضارات في هذه المنطقة هي الحضارة الرومانية, فسوريا مليئة بآثار هذه الحضارة, والآثار الموجودة في متاحفها خير دليل على ذلك.

كان آخر غازٍ غزا سوريا هو السلطان سليم الأول العثماني عام ١٥١٦ حيث انتزعها من أيدي المماليك الشراكسة وضمّها إلى الإمبراطورية العثمانية حتى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨. خلال هذه الحرب العالمية دخلت فصيلة من جيش الشريف حسين بقيادة الأمير فيصل ومعه فصيلة من الجيش الأسترالي بقيادة الميجر؛ آرثر أولون, وقد توّج الانكليز هذا الأمير ملكاً على سوريا في ٨ آذار ١٩٢٠.(١٥)

وهكذا نجد أن تاريخ هذه الجغرافيا هو تاريخ الغزاة أكثر مما هو تاريخ شعوبها, بما فيهم الغزاة العرب المسلمون الأوائل.

لا نجد في التاريخ أن الشعوب الأصلية التي كانت تسكن سوريا حكمت نفسها بنفسها يوماً, فربّما كانت زنوبيا استثناءً. جاء في كتاب "دليل الجمهورية السورية" الذي صدر بعد الاستقلال ما يلي: " كانت سوريا منذ فجر التاريخ مطمع أنظار الغزاة والفاتحين, فلا يكاد الأمر يستتبّ فيها لفاتح حتى يغزوها فاتح آخر ينتزعها من يده ويبسط سلطانه عليها ويفرض فيها تقاليده وعاداته وينشر مدنيّته وأساليبه, وكان السكان المحلّيون يقتبسون من هذا وذاك ما يتفق مع مشاربهم وأهوائهم ممّا جعلهم سريعي التطور والانتقال من حال إلى حال".(١٦)

تشير الوقائع إلى أنّ الإنكليز هم الذين طردوا العثمانيين من سوريا وليس العرب, وهم كانوا وراء تنصيب أميرٍ حجازيّ ملكاً على سوريا كتابع لهم كما ورد سابقاً.

عندما قدِم الأمير فيصل إلى دمشق خرج وجهاء المدينة لاستقباله, ودخلوا معه إلى دمشق, وتوجهوا إلى دار الحكومة ليستقبل الأمير المهنئين.(١٧) أصدر فيصل بتاريخ ٥

تشرين الأول عام ١٩١٨ بلاغاً يذكّرنا بتصريحات كل غازٍ احتل بلداً آخر. فيبدأ البلاغ بتقديم الشكر للسوريين على ما أبدَوه من العطف والمحبة وحسن قبولٍ لجيوشه المنصورة، والمسارعة للبيعة له باسم مولانا السلطان أمير المؤمنين الشريف حسين نصره الله.

لم تتغير الصورة بين الماضي والحاضر، فقد سبق أن استقبل وجهاء المدن السورية الغازي العثماني وهنّؤوه بالنصر على المماليك في مرج دابق، وقدموا له الطاعة وحق السيادة عليهم. ولقد قال الغازي العثماني حينها ما يشبه كلام الأمير فيصل، وقال ما يشبه كلام نابليون بونابرت عندما احتل مصر، كما قال أحفاده عندما دخلوا دمشق بقيادة الجنرال غورو.

هذه السيرورة التاريخية تعطينا فكرة عن هذا الشعب الذي نسميه اليوم الشعب السوري، فعندما تم طرد العثمانيين من سوريا شعر سكان المنطقة ولا سيما في المدن الكبرى أنّهم لا يملكون هوية خاصة بهم، فمن هو هذا الشعب؟ هل هو شعب إسلامي؟ إذاً كيف قبِل أن يفصله الإنكليز المسيحيون عن دولة الخلافة الإسلامية؟ أهو شعب عربي؟ لكن هذا الشعور لم يكن موجوداً عند عامة العرب السوريين، ناهيك عن وجود قوميات أخرى في سوريا، هل هو شعب سوري له هويته الخاصة؟ إذا كان الأمر كذلك، فلماذا قبِل هذا الشعب أن يكون الملك عليهم شخصاً غير سوري جاء من الحجاز على شكل غازٍ بأمر من الإنكليز؟ لا تفسير لكل ذلك سوى أن سكان هذه الجغرافيا تعوّدوا على حكم الغزاة، وتبيّن لاحقاً أن الملك فيصل لم يكن لديه أي شعور وطني سوري، فبمجرد أن هدّد الفرنسيون بالدخول إلى دمشق هرب إلى العراق بحثاً عن مُلك جديد، فهو مجرد غازٍ يبحث عن مُلك ليحكم، بينما استشهد يوسف العظمة ابن دمشق، على ربوعها، وقال جملته المشهورة حينئذ: «سأدافع عن البلد حتى الشهادة لكي لا يُقال أن الفرنسيين دخلوا دمشق سلماً».

**”كان البعثيون يحلمون بإحياء الإمبراطورية العربيّة الإسلاميّة تحت لواء الفكر القومي العربي، وهذا ما قصده عفلق بتسمية البعث (من الانبعاث العربي الإسلامي). فقد بدّلوا الهوية الدينية الإسلامية بالهوية القومية مع الاحتفاظ بالقدسية وإسقاطها على القومية هذه المرة، ولا يختلف هذا المفهوم عن مفهوم الحركة الصهيونية للأمة اليهودية ولا عن المفهوم النازي ”ألمانيا فوق الجميع“.“**

عندما نعود إلى بلاغ الأمير فيصل السابق نجده يستخدم مصطلح ”البلاد السورية“، فبعد عودته من مؤتمر الصلح إلى بيروت ثم إلى دمشق اجتمع إلى زعماء الأحزاب وأركان الدولة، وفي هذا الاجتماع تم الاتفاق على دعوة مندوبين يمثلون البلاد السورية للمؤتمر السوري في ١٧ حزيران ١٩١٩، والملفت للانتباه أن المندوبين جاؤوا من مختلف المدن السورية باستثناء الحسكة والقامشلي والرقة ودير الزور، بمعنى أن سكان شرقي الفرات لم يتم تمثيلهم في هذا المؤتمر. جاء في البند الثاني على أن تكون سوريا ملكية، مدنية، نيابية، تُدار مقاطعاتها على طريقة اللامركزية الواسعة وتُحفظ فيها حقوق الأقليات، على أن يكون ملك هذه البلاد الأمير فيصل.(١٨) في اجتماع للمؤتمر السوري الذي انعقد في ٣ آذار ولغاية ٧ آذار في عام ١٩٢٠ اتخذ المؤتمرون قراراً باستقلال سوريا، ومما جاء في قرارات المؤتمر: « فنحن أعضاء هذا المؤتمر رأينا بصفتنا الممثلين

> **طيلة حكم حزب البعث في سوريا وحتى الآن كانت كلمة الوطنية تعني العروبة, فلأية قومية كنت تنتمي ستبقى هويتك هي العربية, ولهذا الهدف أصرّ حزب البعث على أن يطلق كلمة «عربي» على كل شيء في سوريا, فحتّى قرارات المحاكم السورية تبدأ باسم «الشعب العربي السوري» وليس باسم «الشعب السوري».**

للأمة السورية في جميع أنحاء القطر السوري تمثيلاً صحيحاً,(١٩) نجد هنا أن المؤتمرين يتكلمون عن الأمة السورية». كما جاء في البند الثالث من جواب الملك فيصل لقبوله إنذار غورو أن الانتداب الفرنسي سيخدم استقلال الشعوب السورية.(٢٠) ونلاحظ أن الملك فيصل يستخدم هنا مصطلح الشعوب السورية.

## مغالطات القوميين العرب

وقع القوميون العرب في مغالطات كبيرة عندما اعتبروا أن الدافع القومي العربي كان وراء انقلاب الشريف حسين عام ١٩١٦ ضد العثمانيين, فلقد كان الشريف حسين رجل دين، يتكلم ويحكم باسم الإسلام وليس باسم العروبة، كما فعل صلاح الدين الأيوبي. في الحقيقة لم يسعَ الشريف حسين إلى التمرد على العثمانيين لولا التقاطع بين مصلحته أن يصبح ملكاً على الشرق الأوسط والأهداف الاستراتيجية للإنكليز. فعندما تمرّد آل سعود عليه وجردوه من الحكم كان الخلاف ليس دينياً ولا قومياً، بل كان حول من يستحوذ على السلطة.

لقد أدرك الإنكليز سيكولوجية العرب المسلمين, فعرفوا أن تمرّد العرب على السلطان العثماني غير ممكن إلا بالاعتماد على عاملين: الأول تمزيق الرابط الديني بينهم وبين العثمانيين بدفعهم نحو التوجه القومي, واعتمدوا في هذا الأمر على المثقفين ولا سيما المثقفين المسيحيين, والثاني ترغيبهم بالسلطة والنفوذ والمال بعيداً عن وصاية السلطان العثماني الذي كان يغيّر حكام الأقاليم متى أراد. خلال التحالف العربي الإنكليزي ضد العثمانيين كان العرب المسلمون يركزون أحياناً على المفهوم القومي أكثر من الإسلامي ليس من منطلق وعي قومي حديث، وإنما لطمأنة الإنكليز والفرنسيين تجاه المسيحيين في سوريا ولبنان وفلسطين.

كانت المكونات العرقية والطائفية الأخرى في سوريا غير مهتمة بهذه المسألة مثل العرب السنة والمسيحيين, فبالنسبة للعلويين والدروز لا يختلف الحكم السني العربي عن الحكم السني العثماني, وهذا ما ظهر واضحاً خلال الاحتلال الفرنسي لسوريا ومطالبتهم بما يشبه الفيدرالية خشيةً على مستقبلهم عند اقتراب استقلال سوريا, وبات معلوماً لديهم أن الحكم سيكون للعرب السنة. أما الكرد فقد كانوا بعيدين عن هذه المسألة, فهم أولاً بعيدين عن المدن السورية الكبرى التي يقود وجهاؤها السياسة مثل دمشق وحلب وحمص, وثانياً هم سكان الأرياف التي يسود فيها الجهل السياسي والثقافي, وثالثاً كان انفصال سوريا عن الدولة العثمانية ضربة قصمت ظهرهم, فقد انفصلوا عن بني جلدتهم الذين هم في الطرف الثاني من الحدود السورية - التركية. بقي الكرد لغاية الخمسينيات من القرن الماضي مرتبطين بالمدن الكردية التي بقيت ضمن الدولة التركية مثل نصيبين وأورفا وسروج وعنتاب أكثر من

ارتباطهم بحلب ودمشق وحمص, وربما كان هذا التقسيم للكرد بين سوريا وتركيا أحد الأسباب الخفية لمقاومة الكرد المبكرة للاحتلال الفرنسي في مناطقهم في عفرين وكوباني والجزيرة وبعض المناطق في محافظة إدلب, فآخر منطقة احتلها الفرنسيون كانت عفرين نتيجة شدة المقاومة, وقد استغل الأتراك هذه المقاومة في فرض أجندتهم على الفرنسيين, وذلك بدعمهم لحركة المُريدين في عفرين.

نعرف جيداً أنّ الدولة العثمانية لم تقم على أساس المواطنة, وكان رعايا الدولة العثمانية مرتبطين بالهوية الدينية وليس بالهوية الوطنية كما قال القنصل الفرنسي (ورد ذلك سابقاً), فمفهوم الوطن والوطنية وُلد مع مجيء الانتداب الفرنسي. وحين خرج الفرنسيون من سوريا وحكمتها البرجوازية السورية الوليدة, كان الفرنسيون قد خلفوا وراءهم مفهوم الوطنية للسوريين, ولعل البرهان الأكبر على هشاشة المفهوم الوطني لدى السوريين, عندما قام شكري القوتلي والنخبة السورية الحاكمة عام ١٩٥٨ بتقديم سوريا طوعاً لعبد الناصر في الوقت الذي لم يكن عبد الناصر قد خرج بعد من مفهوم مصريته (مصر أم الدنيا) إلى مفهوم القومية العربية المشرقية.

## انقلاب حزب البعث على السلطة

عندما قام حزب البعث بانقلابه واغتصابه السلطة عام ١٩٦٣ لم يكن لديه مفهوم وطني سوري, فقد دعا البعثيون إلى مفهوم الوطن العربي الكبير, وحسب مفهومهم هذا لم تكن سوريا سوى قطر في هذا الوطن الكبير, و يدلّ هذا المنحى البعثي إلى عدم وجود فكرة الوطنية السورية عند المؤسسين لهذا الحزب, فقد كانت القيادة القومية لحزب البعث والتي تدير شؤون الحزب على صعيد الوطن العربي أهم بكثير من القيادة القطرية التي تهتم بشؤون سوريا (القطر السوري حسب تسميتهم). ومن هذا المنطلق اعتبر حزب البعث أن القضية الفلسطينية هي قضيته المركزية وليست القضية الوطنية السورية.

عندما نتمعّن في كتابات المنظّرين البعثيين, وخصوصاً في كتابات ميشيل عفلق وفي المنطلقات النظرية لحزب البعث التي أُقرّت بعد الانقلاب الداخلي عام ١٩٦٦ نجد أن هذه الكتابات تنطلق من خلفية الإمبراطورية العربية الإسلامية التاريخية, فقد كان البعثيون يحلمون بإحياء هذه الإمبراطورية تحت لواء الفكر القومي العربي, وهذا ما كان يقصده عفلق بتسمية البعث (من الانبعاث العربي الإسلامي). لم يأتِ زكي الأرسوزي وميشيل عفلق بفكر جديد؛ لقد بدّلوا الهوية الدينية الإسلامية بالهوية القومية مع الاحتفاظ بالقدسية وإسقاطها على القومية هذه المرة (أمة عربية واحدة .. ذات رسالة خالدة). لا يختلف هذا المفهوم عن مفهوم الحركة الصهيونية للأمة اليهودية ولا عن المفهوم النازي "ألمانيا فوق الجميع".

لا مكان في الفكر البعثي لخصوصية القوميات الأخرى في الجغرافية التي سموها «الوطن العربي»، ناهيك في سوريا, فقد وضع البعثيون أمام هذه القوميات أحد خيارين؛ إما الانصهار الطوعي في الأمة العربية «المقدسة»، وإما الرحيل عن هذا الوطن "العربي".(٢١) وبما أنهم لم يكونوا قادرين على ترحيل الكرد لأسباب عديدة, منها أن الكرد يشكلون أكثر من ١٢٪ من سكان سوريا, كما أن ترحيل هكذا عدد سيثير الرأي العام العالمي الذي لا يستطيعون مواجهته, زد على ذلك أنه لا توجد دولة إقليمية ستستقبل هذا العدد الضخم من الكرد, وبالتالي أصبح الصهر القسري في العروبة هو السياسة المعتمدة, وهذا ما نظّر له محمد طالب هلال بوضوح.(٢٢)

طيلة حكم حزب البعث في سوريا وحتى الآن كانت كلمة الوطنية تعني العروبة,

فلأية قومية كنت تنتمي ستبقى هويتك هي العربية, ولهذا الهدف أصرّ حزب البعث على أن يطلق كلمة "عربي" على كل شيء في سوريا, فحتّى قرارات المحاكم السورية تبدأ باسم "الشعب العربي السوري" وليس باسم «الشعب السوري». ولعله من باب الانتهازية والتملق لسلطة البعث أن بعض النخب الأرمنية كان يصرّح بأننا «أرمن عرب».

وهكذا بدأ التشدد القومي ضد كرد سوريا وإظهارهم أمام الشعب العربي وبقية مكونات الشعب السوري على أنهم أعداء الأمة العربية في سوريا والعراق, ويسعَون إلى الانفصال في الوقت الذي لم يتبلور الفكر القومي الكردي لدى عامة الكرد في سوريا في بدايات حكم حزب البعث. إذْ منعت سلطة البعث في هذه العقود جميع الكتب التي تتحدث عن تاريخ الكرد, كما حذفت فقرات كاملة في الكتب المترجمة للعربية والتي تطبع في دمشق إذا كانت تشير وإن بإشارة عابرة إلى الكرد في سوريا, ومنعت المجلات التي تصدر في الدول العربية من الدخول إلى سوريا إذا كانت هناك ثمة مقالات تتحدث عن الكرد.**

لم تؤسس الدولة السورية منذ الاستقلال وحتى اليوم مفهوماً وطنياً يشمل جميع مكونات الشعب السوري, كما لم تظهر أيّ ملامح لوطنية سورية جديدة خلال الأزمة السورية الراهنة بعد اندلاع الثورة تشمل كل مكونات هذا الشعب, فلا النظام أعاد النظر في مفهومه «الوطني والقومي» السابقين, ولا المعارضة السورية صاغت وطنية تشمل كل مكونات سوريا القومية والدينية والمذهبية, وبالتالي فبمجرد انهيار سلطة الاستبداد في منطقة ما من جغرافية سوريا تشظّى السوريون إلى مكوناتهم القومية والدينية والمذهبية, زد على ذلك أن الكتائب الإسلامية الجهادية نسفت مفهوم الوطنية من جذورها وأعادت الناس إلى مفهوم الخليفة والرعية.

## المراجع


-1 بلاد الشام في مطلع القرن العشرين. وجيه كوثراني. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات. الطبعة الثالثة. بيروت 2013. الصفحة 35.

-2 المصدر السابق. هامش الصفحة 36.

-3 المصدر السابق. الصفحة 37.

-4 نشوء القومية العربية. زين نور الدين زين. دار النهار للنشر. الطبعة الرابعة. بيروت 1986. صفحة 20. وهو كتاب مترجم عن اللغة الانكليزية طبع عام 1958.

-5 المصدر السابق الصفحة 22.

-6 المصدر السابق. الصفحة 27.

-7 المصدر السابق. الصفحة 29.

-8 المصدر السابق. الصفحة 30.

-9 المصدر السابق. الصفحة 31.

-10 المصدر السابق الصفحة 40.

-11 ممكن العودة إلى كتاب «المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر 1840-1918" للدكتورة فدوى أحمد محمود نصيرات. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت 2009. وخاصة الصفحات من 11 إلى 40.

-12 - نشوء القومية العربية. زين نور الدين زين. دار النهار للنشر. الطبعة الرابعة. بيروت 1986. صفحة 42. وهو كتاب مترجم عن اللغة الانكليزية طبع عام 1958.

-13 المصدر السابق. الصفحة 43.

-14 موقع الحوار المتمدن الالكتروني تاريخ 2005/6/15

-15 الدولة السورية. كتاب صدر بمناسبة استقلال سوريا عام 1947. الصفحة 18-19.

-16 المصدر السابق. الصفحة 18.

-17 المصدر السابق. الصفحة 23.

-18 المصدر السابق. الصفحة 52.

-19 المصدر السابق صفحة 68.

-20 (المصدر السابق صفحة 84.

-21 ممكن العودة إلى كتاب في «سبيل البعث» لميشيل عفلق، وللمؤتمرات القومية لحزب البعث. وخاصة للمنطلقات النظرية.

-22 راجع دراسة لضابط الأمن السّياسي السوري الملازم أوَّل محمَّد طلب هلال رئيس الشعبة السياسية بالحسكة « دراسة عن محافظة الجزيرة من النواحي القومية، الاجتماعية، السياسية».


نماذج من الانتفاضات التركية ضد العثمانيين: انتفاضات: عبدالرحمن بابان في سليمانية1806.محمد باشا رواندوزي 1810 .إسماعيل باشا بهديناني 1835 بدرخان باشا 1848 أزدين شير 1853. انتفاضة ديرسم -1877 1878 .ابناء بدرخان باشا-1877 1889 .شيخ عبيدالله النهري 1880 حركة بدليس 1913 .ثورة شيخ محمود الحفيد 1919 .حركة سمكو آغا 1922 .ثورة شيخ سعيد 1925 . ثورة إحسان نوري باشا في جبال آكري -1927 1931.ثورة علي رضا في ديرسم 1937 .ثورة بارزان 1943. جمهورية مهاباد 1946 .ثورة أيلول المجيدة 1961.ثورة كردستان إيران 1979 . حركة حزب العمال الكردستاني ب ك ك 1984.

ملاحظة: هذه الدراسة هي فصل من كتاب.

# لمحة من تاريخ سوريا

عواس علي

يمتد التاريخ السوري إلى أعماق غائرة عبر صراعات مستدامة على هذه البقعة الجغرافية، وكل الظن أنّ الموقع الجغرافي لهذه الأرض، وما تتمتع به من خيرات وإستراتيجية، كان هو سبب الصراع بين شعوب هذه المنطقة.

تعود أولى أسباب تلك الصراعات إلى وفرة المياه وكثرة الأنهار، بداية من نهر دجلة في الشرق والخابور والبليخ والفرات والعاصي وصولاً إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، فكانت موطناً لحضارات متتالية أقيمت على هذه الأرض، عبر صراعات لم تهدأ،

وأكدت الاكتشافات الأثرية في تل مربيط بالقرب من ناحية الجرنية على الحياة الزراعية التي بدأت هناك في عام ١٠٠,٠٠٠ ق.م, وقد أطلقت عليها «الثقافة الخيامية» حيث تمّ العثور على المغاور والبيوت المستديرة, ورؤوس الرماح والفؤوس الحجرية, والأواني الفخارية المعدّة للطبخ, وقد تمّ كلّ ذلك من خلال العثور طبقات متراكمة في التل, حيث أنّ كل طبقة تمثل مرحلة تاريخية, أي بداية الصيد في هذه المنطقة والطهو, ويعتقد العلماء أنّ الزراعة قد بدأت على ضفاف الفرات من خلال التلال المحيطة بالنهر من تل «مربيط» شمال النهر وتل «أبو هريرة» غرب النهر, وتشير المكتشفات في تل (أبو هريرة) إلى البدء بصناعة السلال من الزلّ (القصب), وقد تمّ العثور على المغازل التي تدل على البدء بصناعة النسيج, وعُثرت كذلك على المواقد المطلية بالجص المقاوم للحرارة, وكذلك التلال التي تنتشر من ضفاف الفرات شرقاً من جعدة المغارة بالقرب من جسر قرقوزاق, وتل أحمرإلى ضفاف نهر دجلة, وعُثرت على هياكل عظمية مدفونة تحت الغرف الدائرية المفصولة عن بعضها البعض بأزقة ضيقة.

و يُرجح العلماء تدجين الحيوانات إلى عام ٩,٨٠٠ ق.م حيث ترافق مع اكتشاف الزراعة التي ظهرت في وادي الفرات الشمالي باتجاه جبال طوروس.

ومن خلال هذا السرد البسيط للموقع التاريخي نجد أنّ هذا الموقع السوري الإستراتيجي قد جعلها تخضع للحضارة السومرية والإمبراطورية الأكادية ٢٤٠٠ ـ ٢٢٠٠ ق.م التي حكمت ما يقارب ٢٠٠ عام, وكانت أول إمبراطورية ضمت قوميات عدة بداخلها, وامتدت من الخليج العربي في جنوب العراق حتى سواحل البحر الأبيض المتوسط, سوريا ولبنان وحتى قبرص, بزعامة سرجون الأكادي الذي ظهر في عام ١٣٥٠ ق. م, و يُعتبر أول إمبراطور استخدم المعادن في صناعات الأختام والتماثيل من الرصاص والنحاس, ونشطت التجارة في عهد الإمبراطور سرجون وكانت تبدأ من مدينة (لارسا) التي يُرجح أن تكون مدينة أكاد عاصمة الأكاديين, وهي تسلك الطريق المحاذي لنهر دجلة مروراً بحموكار وتل براك وتل خويرة (شرقي مدينة تل أبيض ٣٠ كم) ثم تنحدر باتجاه الجنوب, بمحاذاة البليخ بالقرب من مدينة عين العروس في تل أبيض إلى مدينة توتول؛ (تل البيعة بالقرب من مدينة الرقة) الواقع بالقرب من التقاء نهر الخابور بنهر الفرات, ثم تتابع باتجاه الغرب بمحاذاة نهر الفرات مدينة (إيمار) بالقرب من مسكنة باتجاه الغرب, وتتفرع القافلة باتجاه الشرق حيث مملكة (ماري) على ضفة الفرات بالقرب من مدينة البو كمال.

ارتأينا دراسة تاريخ مملكة ماري كونه يمثل مرحلة من مراحل التاريخ السوري, سكنت مملكة ماري في مطلع الألف الثالثة قبل الميلاد, و كانت صلة الوصل بين ممالك الغرب (إيبلا, تل مرديخ, سراقب جنوب غرب حلب ) و إيمار (مسكنة) وشرق بلاد ما بين الرافدين مملكة جاسور (كركوك), وكانت ترتبط بمراكز تجارية مهمة (تل عشارة) و (توتول) على ضفة الفرات بالقرب من الرقة, تمتاز مملكة ماري بموقعها التجاري على الطريق الواصل بين الشرق والغرب وكانت تفرض ما يماثل الضرائب الجمركية على البضائع التي تعبر من أراضيها, حتى احتلالها من قبل الأكاديين القادمين من الشمال, والذين احتلوا المدن والممالك التي تقع على خط سير حملتهم بقيادة (صرغون) ٢٣٤٠ـ ٢٢٨٤ ق. م, وتولى حفيد صرغون "نارام" حكم ماري ـ ٢٢٦٠ـ ٢٢٢٣ ق. م, وسرعان ما انقلب الملك ميجر (الشكاكو) على الأكاديين واعتلى عرش ماري, واستمر حكم الشكاكو قروناً عدة وبنوا علاقات طيبة مع جوارهم الأور وجمعتهم المصاهرة بتزويج ابنة الأمير الشكاكو للملك أورنامو, وتحولت ماري إلى إمارة تحت وصاية ملوك

أورنامو. وبعد زمن ليس بالبعيد حدث انقلاب من قبل حلفاء أورنامو على الشكاكو واعتلى عرشها بشكل مستقل الأورنامو, وأصبحت ماري مملكة بقيادة الملك خيتلال أور, واستمرّت أسرته في الحكم حتى قدوم الأموريين من جهة الغرب, واستولوا على مملكة ماري ومملكة ترقة (تل عشارة) واستمر حكم الأموريين حتى بداية القرن التاسع عشر, ووصل الأموريين بقيادة ملكهم "يخدن" إلى سواحل البحر المتوسط. وحصلوا على أخشاب الأرز والأمانوس من سواحل المتوسط لصناعة السفن, وهنا فرضوا ضرائب على الممالك الأكادية, وجعلها تابعة لمملكة ماري, وبعد سنوات من الحكم المزدهر تعرضت ماري لهجمات الآشوريين من الشرق, وتم السيطرة عليها وهرب ملكها "زمري ليم" إلى مملكة يمحاض (حلب), وبعد سنوات استعاد مملكته بمساعدة ملك حلب وطرد الآشوريين منها عام ١٧٧٥ ق.م , و عاد الملك "زمري ليم" و وطّد علاقاته مع حمورابي, وبكثير من الدبلوماسية قام بتزويج بناته من جميع أمراء الممالك في الشمال ليضمن تحالفاتهم معه, لكن حمورابي لم يأمن جانب زمري ليم وهاجمه وانتصر عليه مع حلفائه عام ١٧٦٠ق.م.

توسعت رقعة مملكة حمورابي من جديد حتى تخوم البحر الأبيض المتوسط, بعد إحراق قصور ماري وتدميرها وتحوّل ساكنوها بعد أن هربوا إلى مملكة (تل عشارة), وتم العثور على بعض الآثار التي تدل على عودة ساكنيها من جديد وسط الخراب و انقلبوا على الآشوريين بالتحالف مع الكلديين القادمين من الشمال فحلّ الكلديون محلّ الآشوريين, واستمرت ماري في لهاثها حتى عهد الكلديين الطامحين في التوسع باتجاه الغرب, وسرعان ما ظهر في سوريا الكلديون الذين ظهروا بقوتهم على إثر سقوط نينوى عاصمة الآشوريين عام ٥٣٩ ق.م, والكلديون غير الكلدو الوارد اسمهم في بعض الرسائل التي عثر عليها في حفريات شمال

**"بدأت الزراعة على ضفاف الفرات من خلال التلال المحيطة بالنهر من تل «مريبط» شمال النهر، وتل «أبو هريرة» غربه, وفي تل أبو هريرة بدأت صناعة السلال من الزلّ (القصب) وعُثر على المغازل التي تدل على البدء بصناعة النسيج, وعُثرت على المواقد المطلية بالجص المقاوم للحرارة, وكذلك التلال الشرقية كجعدة المغارة بالقرب من جسر قرقوزاق"**

شرق سورية, فهؤلاء بنَوا حضارتهم في وقت مقارب للكلديين, وظهروا على ضفاف بحيرة في كردستان الشمالية وتعود تسميتهم إلى معبودهم "خلدي", وبعض العلماء يردهم من حيث ديانتهم إلى أتباع زرادشت, وهم أول من بشّر بمولد المسيح عليه السلام وورد ذلك في الإنجيل الإغريقي,غير أن الكلديين بنى حضارتهم الملك "نبوخذ نصر" الذي رمّم مدينة بابل وعمّر باب عشتار وبنى حدائق بابل المعلقة, وشقّ الترع وتطورت الزراعة المروية في عهده, وبنى السدود, و امتدت و سادت حضارته حتى سواحل الفرات الغربية في العراق, وتم ربطها ببلاد ما بين النهرين في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد ثم تهدمت هذه الإمبراطوريات على يد الملك البابلي حمورابي الذي غزا سوريا في القرن السادس عشر قبل الميلاد, ليتصارع مع شعوب المنطقة الذين انتصروا عليه في نهاية الأمر وهدموا عاصمته بابل وحرقوها عام ١٥٣٠ ق م, و تم القضاء على مملكة ماري بالقرب من

الرقة التابعة للآشوريين وقاموا ببناء ممالك لهم (المملكة الميتية والحورية) وكان الفراعنة يطلقون على هذه الأقوام اسم (هورو) أي بلاد الهوريين, وهؤلاء انحدروا من جبال زاغروس باتجاه الجنوب في القرن الخامس عشر قبل الميلاد, والمؤرخون لا يفصلون بين الميتيين والحيثيين (اللوريين) (النسيين) وسيطروا حتى القرن الحادي عشر قبل الميلاد إلى جوار السومريين في العراق في الشرق ومن الغرب باتجاه السوباريين في رأس شمرا (أوغاريت) في اللاذقية.

كانت هذه الممالك ذات شهرة في الصناعات وهم أول من استخدموا العربة ذات العجلات التي تجرها الأحصنة ,وقد عُثر على كتاباتهم بالأحرف المسمارية والهيروغليفية, و تمتد ممالكهم على مساحة شاسعة حتى سواحل البحر الأبيض, وتم العثور على قصر يعود للمملكة الميتية بالقرب من الموصل والحورية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد, و هناك وثائق تؤكد على الصراعات الدائرة فيما بينهم وبين الفراعنة في مصر القديمة, ولم تتوقف هذه الصراعات إلا بعد عقد معاهدات سلام على إثر يأس الفراعنة من السيطرة على هذه الممالك, وتُوِّجت بعقد مصاهرات متتالية بين الميتيين و الحوريين والفراعنة, على إثر زواج الملك "أخناتون" من الأميرة الميتية "نفرتيتي" ابنة الملك الميتي "توشراتا" وكانت عاصمته رأس العين الحالية في القرن الثالث عشر قبل الميلاد, ونقلت الأميرة بدورها ديانة الحوريين إلى مصر وهي ديانة عبادة الإله الواحد (آتون) قرص الشمس, ومن خلال البحث في نجد هذه الديانة انتشرت في بلاد مولد أبي الأنبياء عليه السلام (إبراهيم) بلاد ما بين النهرين, وتم ذكرها في القرآن الكريم على لسان إبراهيم عليه السلام, ويثبت التاريخ هذه العلاقة من خلال المكتشفات الأثرية, و من خلال مقال للدكتور أحمد خليل: (مقتطفات من رسائل ملوك ميتيين إلى فراعنة مصر) عُثر على لوحة حجرية مكتوبة في معبد "خنسو" الذي بناه رمسيس الثاني في معبد الكرنك, وتلك اللوحة تقصّ أحداث طلب أمير باكانتيا وهو من الميتيين طلباً من رمسيس الثاني بإرسال طبيب مصري لعلاج ابنته الصغرى "بتريش", ونظراً للعلاقات الطيبة بين البلدين أرسل فرعون مصر طبيبه الخاص (تحوت حب) لعلاجها.

اتسعت المملكة الميتية (أو الميدية أو الميتانية) حتى أطراف فلسطين حيث شارك الميتيون في معركة تل مجدو لمناصرة الملك قادش ضد الفراعنة قبل المصاهرة بينهم وبين الفراعنة.

وتم بناء علاقات واسعة من حيث التجارة عبر الأنهار من عاصمة الميتيين "وشوكاني" مدينة رأس العين حالياً في سوريا, مع مملكة ماري على ضفة الفرات بالقرب من الرقة ومملكة إيمار على ضفة الفرات الغربية بالقرب من مسكنة, وذلك مع مملكة قرقاميش بالقرب من جرابلس حتى مملكة ونيّا على ضفة نهر العاصي الشرقية ومملكة تل المشيرفة على ضفة نهر العاصي الغربية, واستمرت هذه المملكة المنسية حتى انهيارها على يد المملكة الآشورية بقيادة "شلمنصر الأول" في معركة "نيهاريا" قرابة القرن الحادي عشر ق.م, لتحلّ محلها الإمبراطورية الآشورية, ومن الدلائل الأثرية على العلاقة الوطيدة ما بين الميتيين والفراعنة, اكتشاف مومياء في تل أحمر على ضفة الفرات لطفل محنّط (تم حرقها من قبل داعش في مدينة كوباني على إثر مذبحة كوباني عام (٢٠١٥ ) وهذا دليل على الترابط ما بين الحضارة الميتية والهورية وحضارة الفراعنة في مصر القديمة, إذ أن جميع العلماء أكدوا على براءة اختراع الفراعنة للتحنيط, واستمرت هذه الممالك في حكمها حتى الغزو الآشوري في عهد نبوخذ نصر الأول والثاني في القرن السادس قبل الميلاد, وتلاها الغزو الفارسي في القرن السادس قبل الميلاد بقيادة "كوخسرو" الذي احتل نينوى عاصمة الإمبراطورية الآشورية, وتمّ في عهد الفرس

توحيد الممالك المتناثرة في سوريا (مملكة ماري, وتل الحرير, وإيبلا, وأوغاريت), وتهدمت وحدة هذه الممالك على يد البهلويين في العراق خلال القرن الأول قبل الميلاد, بعدها تمت السيطرة على سوريا من قبل الإغريق (اليونان) على إثر الحروب التي خاضها الإسكندر المقدوني الذي بسط سيطرته على شمال وشرق البحر المتوسط حتى بلاد الهند, ثم بدأ الصراع ما بين الإمبراطورية الرومية والإغريق (اليونان) إذ امتدت الإمبراطورية الرومية على حساب الإمبراطورية اليونانية, التي لم تستطع أن تقضي على الحضارة التي بناها الإغريق الذين أبدعوا في مجالات شتى, في علوم الرياضيات, والفن, واشتهرت مقولة الروم ضد اليونان: (نكره اليونان ونعبد ما يصنعون). وقُسمت الإمبراطورية الرومية إلى قسمين: شرقية وغربية وتم بناء بيزنطة عاصمة للإمبراطورية البيزنطية الشرقية حتى بداية توافد الفتوحات العربية من شبه الجزيرة العربية وصراعهم مع الروم (بيزنطة) في بداية القرن السابع الميلادي واستمر حتى القرن الثاني عشر الميلادي, حتى بداية عودة التوسع البيزنطي وتفكك الدويلات العربية ـ الدولة العباسية ـ في حلب والشام, وظهور سطوة السلاجقة في ظل الدولة العباسية, وانتصارهم على البيزنطيين في معركة "ملاذ كرد" عام ١٠٧١ ميلادي, و سيطر السلاجقة على سوريا حتى ظهور الصليبين واحتلالهم السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط, فتم عقد اتفاق بينهم وبين الصليبيين وسُموا بسلاجقة الروم , حتى ظهور الفاتح صلاح الدين الأيوبي, الذي لمّ شمل المسلمين في سوريا ووحّدها تحت إمرته, بعد تحرير القدس من الصليبيين في معركة حطين, وتم تسليم زمام السلطة في دمشق لأخيه سيف الإسلام طغتكين, وما لبث أن توفى الناصر صلاح الدين حتى ثارت الصراعات على السلطة بين الأخوة والأبناء, وفي النهاية حُسم الأمر لصالح أخي صلاح الدين الأيوبي "الملك العادل", وبدأ التمرد من

**"من الدلائل الأثرية على العلاقة الوطيدة ما بين الميتيين والفراعنة؛ اكتشاف مومياء في تل أحمر على ضفة الفرات لطفل محنّط (تم حرقها من قبل داعش في مدينة كوباني على إثر مذبحة كوباني عام (2015) وهذا دليل على الترابط ما بين الحضارة الميتية والهورية وحضارة الفراعنة في مصر القديمة, إذ أنّ جميع العلماء قد أكدوا على براءة اختراع الفراعنة للتحنيط"**

قبل بعض الدويلات على سلطة الملك العادل التي كانت تقع على تخوم الدولة الأيوبية, كالزنكيين والسلجوقيين, والخوارزميين وإمارة حلب, وترك الملك العادل السلطة لابنه نجم الدين الأيوبي ولقّب بالملك الصالح, الذي كان ضالعاً في السياسة والاقتصاد وفنون القتال, فقام بإنشاء جيش سلّحه بالعتاد اللازم ودرّبه, وعلى إثر وفاة الملك الصالح ـ نجم الدين الأيوبي ـ عادت خلافات الصراع على السلطة, مما جعل المماليك يتمردون على الدولة الأيوبية في مصر والشام, والسلجوقيين في الشمال السوري, وبدأ السلاجقة الهجوم بقيادة السلطان علاء الدين كيكوبات على الدولة الأيوبية, على الملك العادل الأيوبي, بعد أن ضم إلى جانبه أحد الأمراء الأيوبيين (الأمير الأفضل علي الايوبي).

استمرت الحال حتى الغزو المنغولي الذي قضى على آخر الدويلات الأيوبية في حلب, حيث هاجم المنغوليون الدولة الأيوبية في حمص وتم القضاء على الدويلات الأيوبية, فقد غزا هولاكو

> **أمر هولاكو بقتل جميع العلماء والقضاة والإبقاء على الخليفة المعتصم حياً حتى يدلهم إلى كنوزه, وبعد أن دلّ المعتصم هولاكو على كنوزه الكبيرة والتي كانت أعراماً من الذهب, ضحك هولاكو وقال: - لو وزّعتَ هذه الأموال على جنودك لحمَوك مني, ويقال إنه أمر جنوده بوضع الخليفة في كيس من الخيش وربطوه, وأمرهم بركله حتى الموت**

سوريا عام ١٢٥٩ م بعد استيلائه على بغداد إثر القضاء على الخلافة العباسية بقيادة الخليفة العباسي أبي أحمد عبد الله ـ المعتصم بالله ـ وردّ ابن كثير أسباب سقوط الخلافة العباسية في بغداد إلى عدة أسباب: منها الصراع بين السنة والرافضة, واللهو الذي كان يعيش فيه الخليفة إذ حُوصرت دار الخلافة من قبل الجيش المنغولي وقُتلت جارية كانت تلاعب الخليفة من سهم دخل عبر نافذة القصر, وكان عدد الجواري يفوق ٧٠٠ جارية, ويسرد المؤرخون القصة الشهيرة عن الخليفة المعتصم, إذ أمر هولاكو بقتل جميع العلماء والقضاة والإبقاء على المعتصم حياً حتى يدلهم إلى كنوزه, وبعد أن دلّ المعتصم هولاكو على كنوزه الكبيرة والتي كانت أعراماً من الذهب, ضحك هولاكو وقال: لو وزعتَ هذه الأموال على جنودك لحمَوك مني, ويقال إنه أمر جنوده بوضع الخليفة في كيس من الخيش وربطوه, وأمرهم بركله حتى الموت, ثم توجه هولاكو باتجاه حلب التي كانت تحت إمرة الناصر يوسف, فقام هولاكو بتوجيه رسالة إلى الملك الناصر يوسف, وكعادة أي غاز استهلها بالبسملة والصلاة على النبي ثم دعاه فيها إلى الاستسلام تحت راية الإسلام, فلم يأمن الملك الناصر يوسف جانب هولاكو إثر توارد الأخبار إليه بما فعله في بغداد بقتله الخليفة العباسي, فهرب الملك الناصر, واستسلمت حلب دون قتال, فتوجه هولاكو باتجاه دمشق إثر استيلائه على حماة وحمص, وهناك أيضاً هرب الملك الناصر الأيوبي وترك دمشق, فقام وجهاء دمشق بتسليم مفاتيحها لهولاكو, وأثناء توجه الجيش المنغولي باتجاه الجنوب توفى إمبراطور المنغول "مونككو" أخو هولاكو, مما دفع هولاكو إلى الانسحاب باتجاه مركز الإمبراطورية خشية التمرد في المركز, وأبقى دمشق تحت قيادة أحد مقاتليه " كانتبيغا", ونتيجة انسحاب الجيش المنغولي تشجع المماليك في مصر وهاجموا الجيش المنغولي الذي خسر المعركة في عين جالوت, وكان جيش المماليك جيشاً مدرباً وقوياً بقيادة "قطبز", فتراجع الجيش المنغولي وأصبحت سوريا تحت إمرة المماليك, وعلى إثر سقوط الإمبراطورية المنغولية استطاع "تيمورلنك" أن يلملم بقايا الإمبراطورية ويقوم بتشكيل جيش قويّ لإعادة أمجاد الإمبراطورية المنغوليّة. وراحت عينه تتطلع إلى سوريا مجدّداً, على أنها من ممتلكات إمبراطورية أجداده "جنكيزخان", فبدأت هجمات تيمورلنك على المماليك الباسطين سيطرتهم على سوريا, وكان الجيش المملوكي جيشاً قوياً بقيادة السلطان "برقوق" الذي اتّخذ من القاهرة في مصر عاصمة له, ملحقاً "تيمورلنك" خسائر متكررة إثر هجومه على سوريا, فتصدّى له جيش السلطان برقوق, وبعد وفاة السلطان خلفه ابنهُ الناصر فرج, فعلم تيمورلنك بضعف السلطان فرج حديث الولاية, فأعاد المحاولة للاستيلاء على سوريا عام ١٤٠٠م ـ التي كانت تتبع للسلطان فرج الدين في مصر, وبعث برسول لوالي حلب "دمرداش" يطلب منه الاستسلام, غير أنّ والي حلب قام

بقتل الرسول, واتّخذ قرار الحرب وتحصّن بأسوار قلعة حلب, فعدل تيمورلنك باتجاه دمشق التي كان السلطان الناصر فرج الدين قد سبقه لها في بداية ١٤٠١ م , لكن سرعان ما انسحب الناصر فرج الدين إلى القاهرة, بعد ورود أنباء عن صراع على السلطة في مصر ومحاولة عزله, فحاصر تيمورلنك دمشق, وأبلغهم بالأمر, وبدأت المفاوضات بينه وبين أهالي دمشق, وكان رسولهم ابن مفلح, الذي سرعان ما غدر به تيمورلنك, ودخل إلى دمشق بخداع أهلها بعد منحهم الأمان, وسرعان ما بدأ بالتعذيب والتنكيل بالأهالي واستباح الأعراض, وقام بحرق الجثث, وكل ذلك كان تحت راية الإسلام.

مكث تيمورلنك ثمانين يوماً, وبعدها جمع ما تبقّى من أطفال دمشق الذكور التي كانت أعمارهم تتراوح ما بين العاشرة والخامسة عشرة, وأمر جيشه بقتلهم تحت حوافر الخيل بعد أن وقف يتأملهم لبرهة, فردد مقولته المشهورة " إن غضب الله من قوم سلّطني عليهم". ويقال إن أحد أعوانه لامَه على فعلته هذه فقال له: "انتظرت الرحمة بهم من الله, فلم ينزلها عليّ" وعلى إثر انسحاب تيمورلنك من دمشق تركها مهدّمة تماماً.

على إثر ما مرّ على سوريا من كوارث وحملات كانت تتخبط بين الفقر والجوع والأوبئة, واستمرت تتخبط بين أحكام جائرة على يد المماليك حتى عام ١٥١٦, وقبلها كان السلطان العثماني بدأ صراعاً مع الصفويين في الشرق, واستطاع أن يكسب الكرد إلى جانبه في الشرق بوساطة إدريس البدليسي الذي فوّضه السلطان العثماني بالتفاوض مع الأمراء الكرد, فدعا الكرد إلى الانضمام تحت لواء السلطان العثماني تحت شعائر إسلامية لمحاربة الشيعة الصفويين, وفي عام ١٥١٤ تم التوصل إلى اتفاق مع الشاه الصفوي, يتضمن تحديد حدود الإمبراطورية الصفوية من الغرب, وحدود العثمانيين من الشرق, في اتفاقية قصر شيرين, وفيها تم تقسيم كردستان إلى قسمين بين الإمبراطورية العثمانية والصفوية, وذلك بعد أن أقر السلطان بالحكم الذاتي للإمارات الكردية, وبذلك ضمن السلطان العثماني حدوده من الشرق فأراد التوسع باتجاه الجنوب, فزحف السلطان العثماني سليم الأول بجيشه بعد أن عرف الأوضاع المهلهلة للدويلات والإمارات التي ترزح تحت حكم المماليك التي باتت تحكم بالاسم فقط, وكأيّ غازٍ قرّر دراسة الأوضاع في سوريا, واستدلّ إلى رفع شعار الإسلام خير وسيلة لكسب مودة الشعب, والتستر خلف الإسلام من أجل بناء إمبراطورية عثمانية, فحاول أن يستميل المماليك كونهم من السنة ضد الصفويين (الفرس) الشيعة, واعتبرهم كفرة خرجوا عن الإسلام, غير أنه لم يستطع أن يستميل المماليك (الجراكسة) إلى جيشه بقيادة قانصو الغوري, فقرر غزو البلاد الإسلامية ومن بينها سوريا, فتوجه بجيشه إلى سوريا بتاريخ ٨/٨/ ١٥١٦ وفي معركة مرج دابق على مشارف مدينة حلب استطاع أن يحقق النصر على جيش المماليك بقيادة قنصو الغوري, الجركسي (الجركاس تعني باللغة الكردية أربعة أشخاص), كما ورد في مقال محمد شعب, تاريخ ٦ـ ١٢ـ ٢٠١٦ م في قصة الإسلام ـ تاريخ الجركاس في مصر من البداية إلى النهاية ـ وهم أربع قبائل ـ سركانس ـ أركانس ـ كانسا ـ آص) وبذلك أصبحت سوريا إحدى الولايات العثمانية, مدة أربعمئة.

حكمت الإمبراطورية العثمانية عامّة ما يقارب ستمئة عام, ليس فيها سوى تاريخ حافل بالمذابح والوحشية (فالتاريخ العثماني ممتلئ عن آخره بسيئات خلفها في أنحاء العالم الإسلامي) أبرزها مذابح الأرمن عام ١٩١٥م حيث قام العثمانيون بجمع أهم الشخصيات الأرمنية في إسطنبول وقاموا بإعدامهم في ساحاتها ثم التفتوا إلى العوام, وبدؤوا بذبحهم وسوقهم باتجاه الجنوب حيث سوريا, وقُدر عدد القتلى بأكثر من مليون ونصف

**”جمع تيمورلنك ما تبقّى من أطفال دمشق الذكور التي كانت أعمارهم تتراوح ما بين العاشرة والخامسة عشرة, وأمر جيشه بقتلهم تحت حوافر الخيل بعد أن وقف يتأملهم لبرهة, وقال: « إذا غضب الله من قوم سلّطني عليهم». ويقال: - إنّ أحد أعوانه لامَه على فعلته هذه فقال له: «انتظرت الرحمة بهم من الله, فلم ينزلها عليّ», فخرج تيمورلنك من دمشق تاركاً إيّاها مهدّمة تماماً“**

أرمني, استخدمت أبشع أنواع وطرق القتل فيهم.

ومذابح سيفو عام ١٩١٤التي تم ارتكابها بحق الآشوريين والكلد, والسريان, في شمال شرق تركيا وجنوبها, وقُدر عدد القتلى بما يقارب نصف مليون.

مجزرة ديار بكر التي تم ارتكابها بحق المسيحيين, عام ١٨٩٥م, بدأت بالقتل من خلال انتشار القوات العثمانية وتلتها عمليات السلب والنهب على بيوت المسيحيين, وقتلهم داخل منازلهم, وبثّ الخليفة العثماني فتوى مفادها ”كال من يقتل مسيحياً ضمنت له دخول الجنة“, من خلال التسمية التي أطلقها العثمانيون على المسيحيين ”كاور“ وتعني كافر.

وإذا أراد أحدهم شتم شخص آخر نعته باسم ”كاور“ وكانت أكثر المذابح تجرى بتحريض طرف على طرف آخر من خلال خطة منهجية, يقول السلطان عبد الحميد في مذكراته ”اقتلوا الكلب بالكلب“.

ومن المؤسف أنّ أكثر الكُتّاب العرب والباحثين (أخوة المسلمين) يعتبرون الغزو العثماني فتوحات إسلامية, خاصة بعد أن نصّب السلطان العثماني نفسه خليفة على المسلمين, فبعد احتلال مصر أمر بسوق الخليفة العباسي المتوكل على الله إلى إسطنبول وأمره عنوة بالتنازل عن الخلافة للسلطان سليم الأول, ومن عجيب الأمر أنِ نجد هذا التقارب بين دعاة العثمانية, مبرراً لغزو البلاد الإسلامية, والمبرر الذي يدّعيه أردوغان اليوم هو نفسه, فقد ادّعى السلطان العثماني بأنه غزا تلك البلاد بناءً على استنجاد تلقاه من قِبل الشعوب الإسلامية لرفع الظلم عنهم, وما أشبه اليوم بالأمس, إذ نجد أردوغان يغزو الشمال السوري تحت ذات الذريعة, ويدعي أنه احتلها بناء على طلب من شعوب المنطقة لرفع الظلم عنهم, ومن خلال البحث في التاريخ لا نجد أي فارق بين التصرفات التي قام بها الجيش العثماني إبان احتلاله للبلاد الإسلامية وتصرفات الجيش التركي في احتلاله للشمال السوري و ليبيا, فيذكر المؤرخون بأن الجيش العثماني قام بالنهب والسلب للبلاد التي غزاها, فقد قتلوا من المصريين في يوم واحد عشرة آلاف شخص من النساء والرجال وأمروا بتعرية الناس في الشوارع واستعراضهم (قتلوا عشرة آلاف من عوام المصريين, في يوم واحد, وعرّوا الناس في الشوارع, أطعموا الغلال لخيولهم, وسرقوا الدجاج, والأغنام من الفلاحين, وفرضوا الأتاوات) - المؤرخ المصري محمد بن إياس في كتابه ”بدائع الزهور في وقائع الدهور“. ولم يقاسِ أهل مصر شدة مثل هذه, ووصل الأمر لوصفه بأنه وقع فيها مثل ما وقع من جند هولاكو في بغداد).

وما أورده على لسان سليم (إذا دخلتَ

مصر أحرقَ بيوتها قاطبة, وألعبُ فى أهلها بالسيف), وتم قتل كال من يمت للجركاس بصلة. وتم إعدام قائد الجركاس في مصر- طومان باي - على باب الزويلة في القاهرة, ومن عجيب الأمر أنّ المسلمين العرب أمضوا حقبة من الزمن يتصارعون على الخلافة فيما بينهم, لكنهم رضخوا للخلافة العثمانية, وأهم ما امتازت به فترة الخلافة العثمانية فترة ركود وجمود على جميع البلدان التي غزاها العثمانيون, ولم تكن فترة استعمار, فالاستعمار يعني الأخذ بيد المُستعمَر, وإعانته للخروج مما هو فيه, فنجد أن اليونان جلبوا معهم حضارتهم إلى البلاد التي استعمروها, وتأثرت البلاد المستعمرة بثقافتهم وإبداعاتهم في الفن والعلوم والرياضيات, والفلسفة, ولا يغيب عنا الآثار التي تركها البيزنطيون في سوريا, غير أن العثمانيين كل ما استطاعوا فعله أنهم قاموا بتزوير الحضارات وتدميرها, فحولوا كنيسة "آيا صوفيا إلى جامع" وجرّدوا جميع الشعوب المغزوّة من علمائها ورجال الثقافة والفكر فيها, حتى الماهرون في الصناعات المهنية البسيطة, استجرّهم عنوة السلطان العثماني إلى العاصمة إسطنبول, وجعلهم تحت الإقامة الجبرية.

ولو بحثنا في الثقافة التي تركها العثمانيون بين الشعوب المستعمرة, لن نجد سوى ثقافة التفنن في القتل والذبح, بدءاً من السجون ووصولاً إلى الخازوق الذي تعود براءة اختراعه للعثمانيين, وجني الضرائب وانتشار دور البغاء المرخصة في زمن الخلافة العثمانية, ومن العجيب أن هذه الدور ازدهرت في عهد الخليفة أردوغان, وظهر التخلف الديني بين العثمانيين من خلال ما أورد المؤرخون (طلب الولاة العثمانيون من أحد القضاة بكتاب على امرأة لم تنقضِ عدّتها بعد, فرفض القاضي ذلك فما كان من الوالي إلّا أن جاء بالقاضي ورماه أرضاً وأبرحه ضرباً ثم أمر بكشف رأسه وألبسه عليها كرش بقرة بروثها ثم يُركب خلافاً على حمار ويُطاف به في المدينة). و يروي ابن إياس عن العثمانيين (قلة دين يجاهرون بشرب الخمر في الأسواق بين الناس, و لما جاء شهر رمضان فكان أغلبهم لا يصوم ولا يصلي في الجوامع ولا صلاة الجمعة إلا القليل منهم, ولم يكن عندهم أدب ولا حشمة), وكما ورد في كتاب ابن إياس (كان العثمانيون يمسكون أولاد الناس في الطرقات, و يقولون لهم اشتروا أنفسكم من القتل, فيأخذون منهم حسب ما يختارون من المبلغ).

كما يورد ابن إياس (ابن عثمان خرج من مصر ومعه ألف جمل محملة ما بين ذهب وفضة, هذا خارج عمّا غنمه من التحف والسلاح و الصنى والنحاس والخيول والبغال والحمير وغير ذلك حتى نقل منها الرخام الفاخر) والسؤال: هل يوجد شعب مجاور للعثمانيين أو الدولة التركية لم تُرتكب بحقهم مجازر من قبل الأتراك؟

## الأكراد بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية:

بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية, على إثر الحرب العالمية الأولى, تحرّك معظم المثقّفين الكرد في إسطنبول, بزعامة آل بدرخان الذين تمّ وضعهم تحت الإقامة الجبرية ,وكذلك الفارّون إلى مصر, واستبشر الكرد الخير في مبادئ الرئيس الأمريكي «ولسن» ومضمونها في حق الشعوب في تقرير مصيرها, فسارع الكرد إلى تأسيس جمعية من قبل المثقفين الكرد في إسطنبول (جمعية تعالي كردستان) بقيادة الشيخ عبد القادر النهري الشمديني وأسس الأمير ثريا بدرخان (جمعية الاستقلال الكردي) في القاهرة, وقام بإرسال مندوب عن الأكراد إلى مؤتمر السلام في فرنسا (معاهدة سيفر) وحضر المؤتمر عدد من الشخصيات الكردية برئاسة الجنرال شريف باشا, وفي بادئ الأمر كلا هاتين الجمعيتين كانتا تطالبان باستقلال كردستان, غير أن جمعية تعالي كردستان

**”إنّ التاريخ العثماني ممتلئ عن آخره بسيئات خلفها في أنحاء العالم الإسلامي أبرزها؛ مذابح الأرمن عام ١٩١٥م، حيث قام العثمانيون بجمع أهم الشخصيات الأرمنية في إسطنبول، وقاموا بإعدامهم في ساحاتها، ثم التفتوا إلى العوام، وبدؤوا بذبحهم وسوقهم باتجاه الجنوب حيث سوريا، وقُدر عدد القتلى بأكثر من مليون ونصف أرمني، استخدموا فيها أبشع أنواع وطرق القتل فيهم“**

تراجعت عن مطلبها بقيادة الشيخ عبد القادر, بعد ذلك تم التواصل مع حزب «الحرية والائتلاف التركاني» وعدلت مطالبها إلى المطالبة بالحكم الذاتي للأكراد ضمن الدولة التركية, غير أن المثقفين في الجمعية اعترضوا على هذه المطالب بقيادة الأمير أمين عالي بدرخان, وطالبوا باستقلال كردستان, متشجعين بمطالب «جمعية الاستقلال الكردي» و اجتماع دول الحلفاء المنتصرة في الحرب العالمية الأولى التي قررت أن تمنح الاستقلال لجميع الشعوب التي كانت ترسخ تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية, وقد تم تجهيز وفد من الكرد لحضور مؤتمر الصلح في فرنسا, بقيادة الجنرال شريف باشا, ١٠ آب ١٩٢١ ـ وتم تخصيص كردستان في المادة الثالثة من المعاهدة بما يلي:

ـ حصول كردستان على الاستقلال حسب المادة الثالثة بموجب البندين رقم (٦٢) و(٦٣) وضمّ الموصل إلى كردستان بموجب البند رقم (٦٢) وفق شرط المطالبة بالاستقلال عن تركيا, وتعهدت تركيا بذلك «**إذا حدث خلال سنة من تاريخ توقيع هذا الاتفاق وتقدم سكان المنطقة المحددة بموجب المادة الثالثة البند رقم (٦٢) إلى عصبة الأمم يطالبون بالاستقلال عن تركيا, يتوجب على تركيا القبول بذلك دون قيد أو شرط بموجب اتفاقية جديدة تعقد بين تركيا وكبار قيادات الحلفاء**». غير أن ظهور كمال أتاتورك الذي قام بجمع شتات الجيش العثماني وإعلانه الحرب على جميع الدول الطامعة في ميراث الإمبراطورية العثمانية, تحت أهداف خدع بها الكرد, فطالب بوحدة الأراضي التركية والحفاظ على استقلال تركيا ومنح جميع القوميات المنضوية تحت ظلها حقوقهم بالتساوي مع الأتراك, والإبقاء على وحدة الأمة العثمانية وفق رابطة الدين الإسلامي, وتوصل إلى اتفاق مع القادة الكرد لمحاربة الاستعمار, فأعلن الحرب ضد الانكليز والفرنسيين واليونايين والإيطاليين, وأسماها حرب الاستقلال, بالاشتراك مع الكرد على إثر اتفاق تم إبرامه, في مؤتمر آرز روم, وورد في الاتفاق بأن المنطقة الشرقية يقطنها الأكراد والأتراك ولابد أن يكون للأكراد ما للأتراك من حقوق, وعاد كمال أتاتورك وأكد على ذلك في مؤتمر سيواس في ٤ كانون الاول عام ١٩١٩ «قبول حق الأكراد القومي والاجتماعي وتطورهم بشكل حر» غير أن كمال أتاتورك بعد استيلائه على الحكم ٢٩ تشرين الأول عام ١٩٢٣, تنكر للكرد عن وعوده كلها بعد أن أشرك الكرد في القتال ضد الدول الطامعة, وأجبر دول الحلفاء لإعادة النظر في اتفاقية سيفر واللجوء إلى اتفاقية لوزان التي بدأت في مدينة لوزان في سويسرا بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٢ ومثّل تركيا في التفاوض عصمت إينونو والحاخام ناحوم, و مثل بريطانيا اللورد كانيرزون, وطالبت بريطانيا الوفد التركي بإلغاء السلطنة وإعلان العلمانية نظاماً للحكم في تركيا والإبقاء على الموصل خارج السيطرة التركية, غير أن المفاوضات فشلت, وعادت من جديد في بداية عام ١٩٢٣وقبلت تركيا بتدويل المضائق البحرية وتحويل السلطنة

إلى جمهورية وتم اختيار كمال أتاتورك رئيساً للجمهورية, غير أن دول المحور عادت وقلبت على الاتفاق من جديد بقيادة فرنسا واعتبرت الاتفاق مجرد مسودة غير ملزمة للأطراف, مما دعا تركيا إلى رفض الالتزام بالمسودة. وفي ٤ شباط توجه ممثل بريطانيا اللورد كانريزون إلى تركيا وأقنع أتاتورك بالتوقيع مجدداً على الاتفاقية, وفي ٢٤ تموز ١٩٢٣ تم التوقيع على معاهدة لوزان بين دول الحلفاء وتركيا وتم تدويل مضيقي البوسفور والدردنيل واعتبارهما مياهاً دولية وحرية الملاحة لجميع دول العالم.

## سوريا بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية:

أثناء انسحاب القوات العثمانية من سوريا ظهرت في دمشق قوات متعددة, الأولى بقيادة الأميرين الجزائريين, وهما من أحفاد الأمير عبد القادر الجزائري الذي تم نفيه من قبل السلطنة العثمانية من الجزائر وكان قد اختار دمشق منفىً له, عبد القادر الجزائري وأخوه محمد سعد. والقوى الثانية بقيادة رضا الركابي و صديقه شكري الأيوبي, (رضا الركابي كان من ضباط الجيش العثماني الذي تم تكليفه بالدفاع عن دمشق) فقام الأمير الجزائري بتشكيل قوى معظمها من المغرب العربي, وشكلوا مجلساً للشورى مع وجهاء دمشق, واختار حكومة تم تشكيلها بقيادة الأمير سعيد الجزائري, غير أن القوات البريطانية الزاحفة من الجنوب السوري باتجاه دمشق بقيادة لورنس البريطاني, الذي كان يمثل الملك فيصل.

تم رفض حكومة الأمير سعيد الجزائري من قبل لورنس, وضيّق الخناق على الأمير سعيد الجزائري, الذي أعلن بأنه قام بذلك من أجل حماية الثورة, وقد أعلن حكومته باسم الشريف حسين, وكان هدفه الحفاظ على السلام ومنع الفوضى, وحماية ممتلكات الدولة وأموالها.

بعدها أعلن لورنس حلّ الحكومة المشكلة بقيادة الأمير سعيد الجزائري, فقام بتعيين رضا الركابي حاكماً عسكرياً على دمشق مرتبطاً بالملك فيصل ووالده الشريف حسين .

الشريف حسين الذي قاد الثورة الكبرى ضد العثمانيين إبان الحرب العالمية الأولى, دخلت قواته ممثلة بابنه الملك فيصل مع الجيش الإنكليزي بقيادة لورنس, إلى سوريا بتاريخ ٤ تشرين الأول ١٩١٨ وأعلِن الملك فيصل بن الشريف حسين ملكاً على سوريا, وكانت هناك اتفاقات بين الشريف حسين وبريطانيا حول تولّي الشريف حسين السلطة في بلاد الشام, غير أن بريطانيا سرعان ما تنصّلت من هذا الاتفاق على إثر طلب الجنرال اللنبي من الملك فيصل الإبقاء على الأراضي المحررة تحت إمرة الجنرال البريطاني اللنبي, وتبقى إدارة البلد للملك فيصل الذي يعمل تحت إشراف الجنرال اللنبي, واعترض الملك فيصل بدايةً, غير أنه لم يجد بدّاً من ذلك, وتم قبول شروط الجنرال البريطاني اللنبي.

وعلى إثرها كلف الملك فيصل رضا الركابي رئيساً للحكومة و تم اختيار يوسف العظمة وزيراً للحربية, وفي ٣ تموز ١٩٢٠ كُلّف هاشم الأتاسي بتشكيل اللجنة الدستورية, وتم وضع مشروع الدستور, وعُرض المشروع على المؤتمر السوري لمناقشة موادّه, ففوجئ المؤتمر بدخول القوات الفرنسية إلى سوريا.

ظهرت لاحقاً بوادر تقسيم تركة الرجل المريض (الإمبراطورية العثمانية) بين فرنسا و بريطانيا بموجب اتفاقية سايكس بيكو السرية عام ١٩١٦, ودخلت القوات الفرنسية إلى سوريا, بقيادة الجنرال «غورو» فما كان لها أن تدخل بدون مقاومة, فقرر البطل الكردي يوسف العظمة الوقوف في وجه القوات الفرنسية, وكان قد كلف عناصره بزراعة الألغام بوجه المشاة والدبابات الفرنسية, فالتقى بالقوات الفرنسية في معركة ميسلون, غير أنه تم اغتياله على يد أحد قادة الفصائل المقاتلة

معه وهو «أبو شاكر الطباع» وهو من قام بإبطال مفعول الألغام المزروعة بطريق المدرعات الفرنسية, على إثرها دخل الجنرال غورو إلى دمشق بعربته وهناك عائلتان دمشقيتان كان لهما شرف حلّ الأحصنة التي كانت تجرّ عربة الجنرال غورو وقاموا بجرّها في شوارع دمشق مستعرضين ومهللين للجيش الفرنسي . بعدها بفترة وجيزة ظهر أول دستور سوري, و أقرّ:

١ ـ **بالحكم الملكي:** يُنصّب الملك من أولاد الملك فيصل الأكبر بينهم.

٢ ـ **الوزارة:** وهي عبارة عن وزارة مركزية (وزارة المقاطعات السورية التي تتمتع بحكم ذاتي), ويقوم الملك بتكليف من يقوم بتشكيل الوزارة.

٣ ـ **المؤتمر:** وهو عبارة عن برلمان المقاطعات كون سوريا فدرالية, ويتألف من مجلسين: مجلس النواب: يمثل الشعب في كل الولايات مدة ولايته أربع سنوات. ومجلس الشيوخ: مدة ولايته تسع سنوات ينتخب ثلثهم كل ثلاث سنوات, يعني مدة الولاية الحقيقية ست سنوات.

## الثورات في سوريا والمقاومة:

بدأت المقاومة في سوريا ضد الاحتلال الفرنسي من جبل الدروز حتى جبل الكرد شمالاً, وتحت الضغط قام المندوب السامي الفرنسي بإعادة توحيد الدويلات السورية تحت سلطة موحدة, باستثناء لبنان, وقام بتكليف أحمد نامي الدماد رئيساً للدولة والحكومة المؤقتة, وعلى إثر اندلاع الثورة السورية الكبرى قام المندوب السامي بتشكيل جمعية تأسيسية, فاستقال الدماد, و تشكلت حكومة بقيادة الشيخ تاج الدين الحسني, وتقرر انانتخاب جمعية تأسيسية تكلف لجنة بوضع مشروع الدستور للبلاد, تتألف من ٦٧ عضواً, وفاز الكتلة الوطنية بالانتخابات برئاسة هاشم الأتاسي, وتم تشكيل لجنة لوضع الدستور من ٢٧ عضواً بتاريخ ٩ حزير ١٩٢٨ فقدمت اللجنة مشروع مسودة للدستور مؤلفاً من ١١٥ مادة, تم عرضه على الجمعية التأسيسية للدستور .

## وضع الكرد في سوريا:

كان وقع فشل ثورة الشيخ «سعيد بير» مؤلماً على الأكراد في تركيا, فقد تم إعدام قائد الثورة, وفرّ معظم قياداتها إلى خارج تركيا وبعضهم تحصّن في الجبال الشرقية بالقرب من الحدود الفاصلة بين كردستان المقسمة مع إيران, ومنهم زعامات ومثقفون, وربما يتبادر إلى ذهن المرء لطالما كان هناك مثقفون فلماذا كانت الثورات تُقاد من قبل رجال الدين, الحقيقة أن معظم المثقفين الكرد تم جلبهم من قبل السلطان العثماني إلى العاصمة إسطنبول وقدم لهم القصور والبيوت وخصّص لهم رواتب, واتبعت هذه السياسة في جميع البلاد الخاضعة للإمبراطورية العثمانية, إلى جانب بثّ روح الترابط بين المسلمين تحت الخلافة العثمانية, وكل من يخرج عن الخلافة يُعتبر كافراً, ولم تكن كردستان بمعزل عن ذلك, فقد نشّط السلطان العثماني مفهوم الخلافة بين الأوساط الكردية, وقام بدعم رجال الدين و رؤساء العشائر الكردية وقدم لهم الأموال من خلال إطلاق يدهم في فرض الأتاوات والضرائب على الشعب, وأصبحت كردستان عبارة عن مقاطعات تُدار بوساطة رؤساء القبائل, فلم يعد أمام المثقف الكردي أي مجال لتولّي القيادة خاصة بعد ظهور الاتحاد السوفياتي على حدود كردستان الشمالية, وانتشار الفكر الشيوعي بين الشباب والمثقفين واتهام كل من يخرج على الدولة التركية بالإلحاد والكفر, وكلنا يعي التحريض ضد الأرمن وإصدار الفتاوى من قبل السلاطين العثمانيين «كل من يقتل أرمنياً له مقعد في الجنة».

ومن المؤسف أن آثار تلك المرحلة مازالت منتشرة بين الشعب الكردي الذي يتمسك بالإسلام دون أن يعيَ مضمونه, ومن خلال زيارة

قمتُ بها لمدينة إزمير التركية, كانت هناك تكية للنساء تدرس فيها العلوم الدينية, والكتب المطبوعة تدعو إلى تقديس الخليفة عثمان بن عفان, وأكثر الأحاديث مروية عنه, و تم إظهار الخليفة عثمان بن عفان على أنه جد العثمانيين وهم ينحدرون من سلالته, وعثرت في طيات بعض الكتيبات على حديث رواه عثمان بن عفان عن الرسول «ص» (القناعة كنز لا يفنى) والكثير من تلك الحِكم والأمثال تم سردها على أنها أحاديث للرسول, فهذا هوالوضع الذي ظهر فيه المثقف في كردستان الشمالية, حتى و كانت تلك الثورات التي يتم التخطيط لها من قبل المثقفين لا بد من إشراك رجال الدين ووضعهم في مراكز القيادة, لبناء قاعدة جماهيرية للثورة.

على إثر فشل ثورة الشيخ سعيد بير في عام ١٩٢٥ بدأت التحضيرات لثورة جبل آرارات, وبدأت المواجهات بين الأكراد والدولة التركية, فأسرعت مجموعة من الشباب الكرد المثقفين في الخارج من أجل تشكيل تجمع منظم, يضم جميع الجمعيات والمنظمات الكردية, كجمعية تعالي كردستان ـ ١٩١٨ ـ و جمعية الاستقلال الكردي (آزادي) ـ ١٩٢١ ـ لتوحيد القوى الكردية لتقديم الدعم لثورة آرارات في عمق كردستان الشمالية, بمساعدة كردستان الغربية, وربما هي أول محاولة للتعاون بين أجزاء كردستان المقسمة بموجب اتفاقية سايكس بيكو بين فرنسا والدولة التركية, و كانت أول محاولة لجعل الثورات الكردية ثورات منظمة بقيادة عسكرية منظمة.

بتاريخ ٥ من تشرين الأول عام ١٩٢٧ اجتمع عدد من المثقفين الكرد في مدينة بحمدون في لبنان وكان أكثرهم من وجهاء العشائر الكردية منهم (الأمير خليل رامي بدرخان ـ الأمير جلادات بدرخان ـ ممدوح سليم بك ـ الدكتور محمد شكري سكب ـ الأمير ثريا بدرخان ـ الدكتور كاميران بدرخان ـ مصطفى شاهين بك ـ بوزان شاهين بك ـ حاجو آغا ـ علي رضا شيخ سعيد ـ فهمي بك لجي ـ أمين احمد بريخي ...الخ), وتم تشكيل جمعية قومية كردية (جمعية خويبون) ولم تفصح الجمعية عن مشاريعها وبرنامجها السياسي, **ومن ضمن أهدافها:**

**ـ حل الجمعيات الكردية الموجودة ـ المثابرة على الثورة ضد الأتراك**

**ـ تنظيم القوى الثورية وتدريبها عسكرياً على الأسلحة الحديثة**

**ـ تأسيس مركز عام للثورة في جبل من جبال كردستان**

## ـ توطيد العلاقة مع الإيرانيين

ـ توثيق العلاقة مع الحكومتين السورية والعراقية والاكتفاء بما منح للأكراد وفق صكوك الانتداب وعدم المطالبة بغير ذلك في العراق وسوريا.

وتمّ فتح مقر لقيادة الجمعية في حلب بالتعاون مع الأمير جلادات بدرخان عبر علاقاته الخاصة مع الفرنسيين, ومن الملاحظ في برنامج الجمعية ظهور الدبلوماسية السياسية من خلال التعامل مع بقية الدول المستعمرة لكردستان, و بدأت في توسيع نشاطها بشكل سرّي في جميع أجزاء كردستان وفي الخارج, فتمّ فتح فرع للجمعية في أمريكا وأوربا, وتمّ وضع مشروع الربط بين الأجزاء الأربعة, ووُضعت الخطط من أجل تقديم الدعم لكردستان الشمالية, وكانت تضم أعضاء من أجزاء كردستان الأربعة, وتمّ وضع مخطط لكردستان الغربية للمساهمة في تقديم الدعم لثورة آرارات بقيادة أعضاء من الجمعية, فكانت الخطة تقسيم كردستان الغربية إلى ستة قطاعات:

ـ كان القطاع الأول بقيادة العمّ عثمان صبري, وإمرة القوات العسكرية بقيادة رؤساء عشائر البرازية الأخوين بوزان شاهين بك ومصطفى شاهين بك, ويبدأ القطاع بالقرب من منبج, جرابلس, وحتى كانوبوي, ويزحف باتجاه

الشمال حيث مدينة أورفا.

ـ والمحور الثاني بقيادة إبراهيم بك بن إبراهيم باشا الملّي, ويبدأ هذا القطاع من رأس العين ويتجه باتجاه مركز عشيرة الملّيين في ويران شار.

ـ والمحور الثالث محور مدينة درباسية بقيادة أكرم بك وأخيه قدري, ويبدأ القطاع من مدينة درباسية ويتجه باتجاه مدينة ماردين.

ـ والقطاع الرابع بقيادة حاجو بك ويبدأ من مدينة تربة سبيه باتجاه مضارب عشيرته هفيركانا في الشمال.

ـ والقطاع الخامس بقيادة جلادات بدرخان بمساعدة كل من محمد بك بن جميل باشا رئيس عشيرة زيل باتجاه جزيرة بوطان.

ـ والقطاع السادس ينطلق من مدينة نصيبين باتجاه الشمال بقيادة أبناء عمومة الشيخ سعيد بير.

وربما كانت هذه أول ثورة كردية تتمتع بقيادة سياسية وعسكرية, رداً على ممارسات الحكومة التركية واستخدامها أبشع أنواع العنف والقتل والتهجير عقب فشل ثورة شيخ سعيد بير, فالثورة بدأت تحت إشراف جمعية خويبون المطالبة باستقلال كردستان الشمالية, فأصدرت الجمعية قراراً إلى الجنرال إحسان نوري باشا بإقامة تشكيلات عسكرية في جبل آكري, وتم نشر صحيفة خاصة توجهت بالدعوة للكرد في جميع أجزاء كردستان للإلتحاق بصفوف الثورة, وشارك في الثورة جميع أجزاء كردستان , فمن العراق أرسل الشيخ أحمد البرزي في تموز ١٩٣٠ العديد من الفرسان لتهاجم النقاط التركية القريبة من حدود كردستان العراق, ومن إيران هاجم الثوار الأكراد في حزيران ١٩٣٠جميع النقاط التركية القريبة من الحدود الإيرانية وعبروا إلى داخل الأراضي في كردستان الشمالية, واستمرت الثورة إلى ما يقارب الشهر وعجزت القوات التركية عن إخمادها, فاستعانت بالآغاوات الكرد من الإقطاعيين لقطع الدعم عن الثوار وقطع الإمداد عنهم, كما استعانت الحكومة التركية بدول الجوار, وتم إبرام اتفاق سرّي مع الحكومة الإيرانية بالسماح للقوات التركية بالالتفاف على الثورة من جهة الغرب عبر الأراضي التي تقع تحت حماية الحكومة الإيرانية, وفعلاً تم مهاجمة مؤخرة القوات الكردية من جهة الحدود الإيرانية, وتبيّن لاحقاً أن القوات الإيرانية قد ساهمت بشكل سري في مهاجمة القوات الكردية.

وفي كردستان الغربية عقد رؤساء العشائر اجتماعا في مدينة الحسكة, تحت إشراف جمعية خويبون لتقديم الدعم لثورة أرارات, وعلى إثرها توجّه حاجو آغا على رأس ما يقارب ٢٠٠ فارس وعبروا الحدود التركية, كذلك عبر أبناء جميل باشا الدياربكرلي الحدود مع ٢٠ مقاتلاً, وعلى إثرها أرسلت الحكومة التركية احتجاجاً إلى الحكومة السورية تحت الانتداب الفرنسي (كما ورد في جريدة الأحرار العدد ١٤٩٢: تركيا تطلب من الانتداب إبعاد الأكراد ـ الأتراك واثقون بأن فرنسا لن تسمح لعصابات الأكراد باجتياز الحدود) الذي سارع إلى اعتقال رؤساء العشائر الكردية في سوريا بالتعاون مع المندوب الفرنسي, وتم سوق بعضهم إلى لبنان ودمشق ودير الزور, وتم ملاحقة الأمير ثريا بدرخان في حلب, وكما تم إرسال مذكرة احتجاج إلى المفوضية العليا في بيروت لطرد الزعماء الأكراد المحرِّضين للثورة ضد تركيا.

وفي نفس الوقت تم توجيه إنذار واحتجاج إلى الحكومة العراقية تحت الانتداب البريطاني, وعلى إثر الحصار من قبل القوات التركية والإيرانية, وقطع جميع الإمدادات اللوجستية, سقطت الثورة ولجأ قائد الثورة إحسان نوري باشا إلى إيران وبرفقته الأمير جلادات بدرخان, والذي التقى بشاه إيران وطلب منه مدّ يد العون للأكراد من أجل بناء دولتهم, غير أنّ الشاه الإيراني لم يوافق على ذلك وهو العالم بوجود جزء من كردستان تحت هيمنته, فطلب

من الأمير جلادات أن يعمل سفيراً لإيران وأن يتخلى عن طموحه في بناء دولة كردية, غير أن الأمير رفض عرض الشاه وغادر إلى العراق الخاضعة للانتداب البريطاني. وشعر الأمير جلادات بعدم الراحة, وسرعان ما توجه إلى كردستان الغربية ليُستقبل بالترحاب, ثم تحوّل إلى حلب ثم دمشق, فعرضت عليه حكومة الانتداب الفرنسي المساعدة غير أنه رفضها تخوفاً من أن يقول التاريخ: إنّ الأمير الكردي جلادات تعامل مع المستعمرين لسوريا, كما عرض عليه الملك عبد الله الهاشمي المساعدة فرفضها خوفاً من أن يصبح أداة طيّعة بيد الملك, وكان كل همّه التفكير بالطريقة التي يقدم بها الخدمة لشعبه, فبدأ التفكير بالأبجدية اللاتينية للغة الكردية, فتقدم في ٢٦ تشرين الأول ١٩٣١بطلب للحصول على الموافقة من الحكومة السورية, فتوجه إلى الجزيرة لتأسيس جمعية خيرية لتقديم العون للنازحين من أمام البطش التركي على إثر فشل ثورة آكري, وأسس بتاريخ ١٥ شباط ١٩٣٢ «الجمعية الخيرية للأكراد المشرَّدين» بمساعدة وجهاء عشائر المنطقة, وسرعان ما عاد إلى دمشق ليستلم الموافقة من الحكومة السورية على إصدار مجلة باللغة الكردية, فقام بإصدار أول مجلة باللغة الكردية (مجلة هاوار) أي (النجدة) بالأحرف اللاتينية في ١٥ أيار ١٩٣٢ في مدينة دمشق.

وكانت السلطات العراقية تراقب الثورة عن كثب, كما ورد في وثائق للاستخبارات العراقية:

**الوثيقة رقم ٩** ـ دائرة السجلات القسم ٤ـ المرجع ـ جو ٢٣/ ٢٤٣ المرفق ٣٠ ـ ب الرقم ٥٤٩/ ٢٤ تاريخ ٣١/ ٨/ ١٩٣٠

إلى قائمقام قضاء تلعفر.

الموضوع: الحدود السورية

بالإشارة إلى كتابكم رقم ٢/ ١٠/ ٤٦٩٥ في ٣٠/٨/١٧ الذي يشير إلى كتاب قائمقام

**بعد احتلال العثمانيين مصر أمروا بسوق الخليفة العباسي المتوكل على الله إلى إسطنبول وأمر السلطان سليم عنوة بالتنازل عن الخلافة للسلطان له, فكان ادعاء العثمانيين مبرراً لغزوهم البلاد الإسلامية, و المبرر الذي يدّعيه أردوغان اليوم هو نفسه؛ إذْ يغزو الشمال السوري تحت ذات الذريعة, ويدعي أنه احتلها بناء على طلب من شعوب المنطقة لرفع الظلم عنهم**

(سنجار) الرقم ١٣٣ في ٣٠/٨/١٦ لقد أدى التحقيق الذي جرى خلال جولتنا يوم ٢٨ الجاري إلى تأييد توقيف الحكومة السوريا لأحد عشر رئيساً كرديّاً. ومن بين هؤلاء حاجو آغا وأولاده الذين ارسلوا تحت حراسة إلى بيروت وارسل بعض البقية إلى دمشق والبعض الآخر إلى منطقة دير الزور, حدث هذا التوقيف خلال الأسبوع نظراً للاحتجاج الشديد الذي قدمته الجمهورية التركية إلى الحكومة ضد حاجو آغا... إلخ

**أمر سيارات الشرطة تلعفر**

**الوثيقة رقم ١١** ـ دائرة السجلات العامة القسم ٤ ـ الرجع جو ٢٣/٢٤٣ سري

المرفق ٢٨/ أ ضابط الخدمة الخاصة الموصل مقر القوات الجوية ـ قيادة العراق ـ ٩ ايلول ١٩٣٠

الموضوع: الموقف الكردي في كردستان الغربية

**فيما يلي ملخص المعلومات.**

١ـ غادر حاجو اغا وبرفقته أولاده الثلاثة؛ (حسن ـ جج ـ جميل ـ و ٢٠٠ رجل مسلح) - القبور البيض، وعبرَ الحدود السوريّة ـ التركية عند " ازنير" .

والمتمعن في الوثائق يجد أن الحكومة السورية تعاونت مع الحكومة التركية باعتقال كل من ورد احتجاج عليه من قبل الحكومة التركية, وفي حزيران من عام ١٩٢٨ تقدم خمسة نواب بعريضة للجمعية التأسيسية يطالبون فيها بمنح الحكم الذاتي لمناطق الأكراد, وتضمنت العريضة عدّة مطالب منها:

ـ الاعتراف باللغة الكردية لغة رسمية في المناطق الكردية

ـ تعليم اللغة الكردية في المدارس

ـ تشكيل فيلق كردي يعمل ضمن الجيش الفرنسي يقوم بحماية الحدود, وأغلب الظن أن هذه المطالب أتت من أشخاص سياسيين ينتمون لجمعية خويبون التي تأسست عام ١٩١٧, غير أن المفوض السامي الفرنسي اعترض على المسودة المقدمة من قبل اللجنة الدستورية كونها لا تتوافق مع مطالب الدولة المنتدبة وعطل عمل الجمعية التأسيسية, وفي ٢٨ آذار ١٩٣٠ وضع المفوض الفرنسي الدستور, وعلى إثرها تم إجراء انتخابات برلمانية من أجل إقرار الدستور الذي وضعه المندوب الفرنسي, في عام ١٩٣٢ تضمن الدستور:

١ ـ **المحكمة العليا:** تتألف من ستة عشر قاضياً يُعيّنون بأمر ملكي.

٢ ـ **المقاطعات:** قُسِّمت إلى خمس ولايات هي: ١ـ ولاية دمشق ٢ـ ولاية حلب ـ٣ ـ ولاية لبنان ٤ ـ ولاية الدروز ٥ ـ ولاية العلويين .

وسرعان ما عاد المفوض السامي الفرنسي إلى توحيد تلك الولايات تحت مسمى سوريا الاتحادية, لكنه أبقى على استقلال لبنان.

في ٢٩ـ ١١ـ ١٩٣١ قرر المندوب السامي إجراء انتخابات نيابية لإقرار الدستور الذي وضعه, وفعلاً جرت الانتخابات وتم انتخاب البرلمان, غير أن أعضاء البرلمان رفضوا أن يُقسِموا على دستور لم يوضع من قبل الشعب, وانتُخب صبحي الخالدي رئيساً للبرلمان, وانتخب المجلس بالاتفاق مع الفرنسيين محمد علي العابد رئيساً للجمهورية وهو من الأكراد, وكلف الرئيس محمد على العابد حقي العظم بتشكيل الحكومة, وبذلك تم إقرار نظام الحكم في سوريا نظاماً رئاسياً.

في ظل هذه الظروف استمرت الثورة في شمال كردستان بالمشاركة مع غربي كردستان, ونتيجة التقارب التركي الفرنسي غيرت الحكومة الفرنسية موقفها من الثورة الكردية بالتشديد على الحدود التركية السورية خاصة بعدما تبيّن لها أن وراء هذه الثورة الحكومة البريطانية, واعتبرت فرنسا أن بريطانيا داعم حقيقي لثورة آكري.

لم تقف فرنسا موقفاً عدائياً في البدء من الثورة الكردية التي تقودها جمعية خويبون, وكانت قد فتحت مقراً للجمعية في حلب بإدارة الأمير ثريا بدرخان, ولكنها كانت على خلاف مع الحكومة التركية حول الحدود الواقعة جنوب مدينة ماردين وكانت فرنسا تطالب بجزيرة ابن عمر (بوطان) وتعتبرها الحدّ الفاصل حسب الخارطة التي وضعها الروم أثناء غزوهم لتلك البلاد, غير أن حكومة الانتداب الفرنسي في سوريا غيّرت موقفها بحجة الدعم البريطاني للثورة, وقامت بملاحقة الأمير ثريا بدرخان, لكنّ الحقيقة غير ذلك؛ فالحكومة البريطانية كانت في بادئ الأمر تغضّ النظر عن اشتراك قوات أحمد البرزنجي في الثورة, فربما أرادت أن تستخدم الأكراد كقوى ضاغطة على الحكومة التركية لوقف مطالبها بالموصل وأجزاء أخرى من كردستان الجنوبية, وحينما تم الاتفاق بين الحكومتين شددت الحكومة البريطانية من مراقبة الحدود العراقية مع الأتراك.

١٣ آب ١٩٣٠ ـ الأحرار ـ العدد ١٤٩٤

**أصبح الكولونيل لورنس في جميع مناطق الثورة.**

**المرسل الاحرار الخاص**

حظ قراء الأحرار الذين تابعوا قراءة رسائلي خلال الشهرين الماضيين اللذين نشبت فيهما الثورة الكردية الحاضرة العصاة يتبعون خطة منظمة في سبيل توسيع نطاق الثورة الحاضرة، وقد سبقوها في إرسال العصابات على طول خط الحدود الإيرانية... ولم تكن هذه الخطة المنظمة وليدة عمل الفكر الكردي قط. كلا, بل هي نتيجة مؤامرة دبرها الداهية البريطاني الكولونيل لورنس فهذا الرجل الذي شوهد في بدء هذا العام, على الحدود الإيرانية,, ما تغيب عن الحدود حتى اندلعت الثورة الكردية.

**في نفس العدد ١٤٩٤**

وقد نشرنا في الأسبوع المنصرم بلاغاً من قلم المطبوعات في المفوضية العليا مفاده ان المفوض السامي أصدر قراراً بإبعاد ثريا بك بدرخان خارج الحدود.

وبعد مفاوضات طويلة وشاقة توصلت حكومة حقي العظم إلى عقد اتفاقية لإنهاء الانتداب الفرنسي على سوريا, وتقدم حقي العظم ببنود الاتفاقية للمجلس النيابي لإقرارها, غير أن المجلس لم يقرّها كونها كانت تقيّد سيادة الدولة, مما أدّى إلى امتعاض المندوب الفرنسي وقرر تعطيل أعمال المجلس النيابي, وعلى إثرها في ١٧ آذار ١٩٣٤ قدم حقي العظم طلباً باستقالة حكومته.

قبِل المجلس استقالة حكومة العظم وتم تشكيل حكومة من قبل تاج الدين الحسني بعد تكليفه من قبل البرلمان.

وما لبث المندوب السامي الفرنسي أن طالب بتشكيل وفد من السوريين للتفاوض حول الاستقلال مع الحكومة الفرنسية, وعلى إثرها تم تشكيل حكومة مؤقتة برئاسة عطا الأيوبي لتعيين أسماء أعضاء الوفد المفاوض والبحث في أمور إجراء انتخابات نيابية جديدة لإقرار بنود المعاهدة مع الحكومة الفرنسية, وفعلاً تمّ تشكيل الوفد المفاوض وتشكّل من (هاشم الأتاسي, فارس الخوري, جميل مردم بك, و سعد الله الجابري...الخ).

وبينما كان الوفد يتفاوض مع الحكومة الفرنسية تم إجراء انانتخابات برلمانية جديدة, وتم انتخاب برلمان نيابي عقد جلسته في ٢١ كانون الأول عام ١٩٣٦. وانتُخب فارس الخوري رئيساً له, وقبِل المجلس النيابي استقالة رئيس الجمهورية محمد علي العابد.

تم انتخاب هاشم الأتاسي رئيسا للدولة, والذي كلف جميل مردم بك بتشكل الحكومة, وتم عرض بنود المعاهدة مع فرنسا التي توصّل إليها الوفد المفاوض بعد ستة أشهر من التفاوض, وأقرّ البرلمان ببنود المعاهدة, غير أن البرلمان الفرنسي رفض إقرار بنود المعاهدة والتصديق عليها, وفي حقيقة الأمر كان هناك مفاوضات بين الحكومة التركية والفرنسية من أجل إجراء استفتاء على لواء الإسكندرون لضمّها لتركيا.

وعلى خلفية عدم تصديق المعاهدة من قبل البرلمان الفرنسي, لم يغير المندوب الفرنسي من سياسته تجاه الحكومة السورية, وفي نهاية الأمر قام بإصدار قرار بحلّ المجلس النيابي, وعلى إثرها استقال رئيس الجمهورية هاشم الأتاسي في ٨ تموز ١٩٣٩, وكلّ الظن أنّ ذلك القرار كان من أجل تفرّد المندوب السامي بإجراء استفتاء مع الحكومة التركية لضم لواء الإسكندرون.

ظلّتْ البلاد تتخبط بين قرارات المندوب السامي في ظل غياب البرلمان والحكومة على إثر المتغيرات الدولية وظهور بوادر الحرب العالمية الثانية على الأبواب, والتحركات التي كان يقوم بها هتلر في أوربا, فرضخت الحكومة الفرنسية لمطالب الوفد السوري السابقة وألغت قرارات

المندوب السامي الفرنسي وطالبت بعودة البرلمان والحكومة والرئيس هاشم الأتاسي إلى ما قبل ٨ تموز ١٩٣٩, غير أن الرئيس السوري هاشم الأتاسي رفض المطالب الفرنسية وفوّض الشعب بدلاً منه, وبموجب رسالة بعث بها الجنرال كاتر إلى الشيخ تاج الدين الأيوبي وتكليفه برئاسة الدولة ١٢ أيلول ١٩٤١ فقد قبِل بها وكلف الشيخ تاج الدين الحسني رئيساً للبرلمان بعد فترة وجيزة, وفي ٨ كانون الثاني ١٩٤٢ تم تكليف حسني البرازي رئيساً للحكومة, وبعدها بفترة وجيزة تم تكليف جميل الإلشي بتشكيل حكومة جديدة في ٨ كانون الثي ١٩٤٣ وعلى إثرها توفي تاج الدين وتولى الإلشي رئاسة الدولة بالتكليف, وبموجب رسالة تم توجيهها من قبل الجنرال كارتر تم بموجبها حل حكومة الإلشي بالتكليف, وفعلاً تم تعيين عطا الله الأيوبي رئيساً مؤقتاً ريثما يتم انتخاب برلمان جديد, تم انتخاب البرلمان وعقد جلسته الأولى بتاريخ ١٣ أب ١٩٤٣ و تم انتخاب فارس الخوري رئيساً للبرلمان, وشكري القوتلي رئيساً للدولة لمدة خمس سنوات, وتم تكليف سعد الله الجابري بتشكيل الحكومة, وعقدت جلسة للبرلمان بإقرار دستور عام ١٩٢٨ بعد إلغاء المواد التي فرضها المندوب الفرنسي سابقاً, و تم تصديق الدستور الجديد وأقسمت الحكومة عليه وبموجبه تم إقرار الحكم في سوريا (نظام جمهوري رئاسي برلماني وسوريا دولة موحدة ( دولة بسيطة). وتضمّن الدستور الإدارات التالية:

١ ـ **مجلس النواب:** وهو سلطة تشريعية مدة الولاية خمس سنوات, يتم انتخاب أعضائه على مرحلتين من قبل الذكور فقط, ويتم انتخاب السلطة التنفيذية تحت رقابتها وإشرافها, وتتألف الحكومة من رئيس الدولة ومجلس الوزراء.

٢ ـ **السلطة التنفيذية:** تتألف من رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء, ويتم انتخاب رئيس الجمهورية من قبل مجلس الشعب والذي بدوره يقوم بتكليف شخص ما بتشكيل الحكومة (الوزارة), ولا بدّ من التنويه بأن انتخاب رئيس الجمهورية من قِبل البرلمان يمنح البرلمان حق الرقابة المباشرة على الحكومة التي تتضمن الرئيس ورئيس الوزراء ووزرائه.

- **رئيس الجمهورية:** يتم انتخابه بشكل مباشر من قبل البرلمان لمدة خمس سنوات, ولا يجوز تجديدها مرة أخرى.

**شروط الترشح لرئاسة الجمهورية:** ١ـ أن يكون مسلماً. ٢ـ أتمّ الخامسة والثلاثين من عمره. ٣ ـ لا يجوز الجمع بين منصب الرئاسة وعضوية مجلس الشعب.

ومنح الدستور رئيس الجمهورية حصانة ضد المحاسبة ولم يستثنِ من ذلك إلا حالة خرق الرئيس لمواد الدستور والخيانة العظمى, ورفع عنه المسؤولية تجاه ما يقوم به الوزراء من أعمال, وبذلك توجّب على أيّ عمل تنفذه الوزارة موافقة الوزير المختصّ, وتحمّله المسؤولية أمام البرلمان, ويُعتبر هذا استثناءً على ما جرى عليه القانون, ففي حقيقة الأمر الرئيس مسؤول عن أعمال وزرائه كونه هو من قام باختيارهم, فمن الأولى أن يكون مسؤولاً عن الأعمال التي يقوم بها الوزراء مسؤولية مباشرة أمام البرلمان.

ونجد هنا أن الدستور لم يذكر ولم يحدد جنس المرشح لمنصب الرئاسة إن كان ذكراً أم أنثى.

٣ ـ **مجلس الوزراء:** يتم تعيين رئيس مجلس الوزراء من قبل رئيس الدولة, ويتم تكليفه بتشكيل الحكومة التي يتم اختيار وزرائها من قبل رئيس الدولة, بناءً على اقتراح الأسماء من قبل رئيس الوزراء, ويتألف مجلس الوزراء من اثني عشر وزيراً, وباعتبار أن رئيس الدولة تم انتخابه من قبل مجلس النواب, وهو بدوره قام بتعيين مجلس الوزراء فالمجلس يُعتبر مسؤولاً مسؤولية مباشرة أمام مجلس النواب, ولا

يوجد مانع من الجمع بين عضوية مجلس النواب والوزارة.

**٤ ـ المحكمة العليا:** يتم اختيار أعضاء المحكمة المؤلفة من خمسة عشر عضواً, ويتم تعيين ثمانية منهم من بين أعضاء البرلمان والسبعة المتبقّون يتم تعيينهم من قبل هيئة محكمة التمييز في بداية كل عام, ويتم اختيارهم من بين جهابذة القانون والقضاة, وتختصّ المحكمة بمحاكمة رئيس الجمهورية في حال الخيانة العظمى وخرقه للدستور, بالإضافة إلى مهمتها كمحكمة دستور, تنظر في الدعاوى المقامة حول عدم دستورية أي قانون يصدره مجلس النواب.

وبتاريخ ٥ حزيران ١٩٤٤ صدر بيان مشترك بين الحكومة الفرنسية والحكومة السورية وتضمن البيان إقراراً من الحكومة الفرنسية بتسليم جميع الدوائر الحكومية التي كانت تمثل المصالح المشتركة بين الدولتين للحكومة السورية, وكانت تلك بوادر أمل بالاستقلال, غير أن فرنسا وتحت ضغوط الحرب العالمية الثانية أوضحت رغبتها بالإبقاء على الجيش الفرنسي في سوريا, وطلبت ذلك بشكل رسمي من الحكومة السورية, إلى جانب انخراط القوات السورية العسكرية تحت إمرة الجيش الفرنسي, وبعد مداولات تم رفض طلب الحكومة الفرنسية بدعم من البرلمان السوري, على إثرها قامت القوات الفرنسية بمحاصرة البرلمان السوري في ٢٩ أيار ١٩٤٥ وطلبت من حرس المجلس بأداء التحية للعلم الفرنسي, فرفض الحرس تحية العلم الفرنسي, فقامت القوات الفرنسية بقصف البرلمان وقصف بعض أحياء دمشق بالمدافع والدبابات, وتم إلقاء القنابل وعمّت الفوضى المدينة وشاعت حالات النهب والسلب, وعلى إثرها تحركت القوات البريطانية المرابطة في سوريا باتجاه القوات الفرنسية التي عادت إلى مقراتها. وتحت الظروف والمتغيرات الدولية, قامت فرنسا بإجلاء جيشها عن سوريا بتاريخ ١٧ نيسان عام ١٩٤٧ لتنتهي حقبة من الاحتلال لسوريا.

من خلال التمعّن في الحكومات التي توالت على سوريا لا نجد أي تمايز أو تناحر بين المكونات السورية, فالأكراد أكثر من مرة تولوا السلطة والمسيحية والعلوية والسنة كذلك, لم نجد أي اعتراض من قبل أي مكوّن على شخصية تعود لمكون آخر, فالشعب السوري كان أمة وطنية لا تدين بولائها لأي دين أو قومية أو طائفة, فقد كان فارس الخوري المسيحي عام ١٩٤٤ رئيس مجلس الوزراء و وفي ذات الوقت وزيراً للأوقاف الإسلامية, ومرّ بنا الشهيد يوسف العظمة الكردي وزيراً للحربية وهاشم الأتاسي, والدكتور حسني البرازي, لم يجدوا اعتراضاً على قوميتهم أو دينهم أو طائفتهم.

سنرى كيف ظهر الصراع الطائفي لاحقاً بعد ظهور الأحزاب القومية التي سعت إلى بناء أمة حزبية بدلاً من الأمة الوطنية, مما جعل الشعب السوري ذا تماسك وبنية وطنية هشّة, فقد عرّف حزب البعث العربي الشعب العربي «هو كل من يؤمن بالأهداف الحزبية لحزب البعث», فالعربي الذي لا يؤمن بأهداف حزب البعث لا يُعتبر عربياً, والأرمني الذي يؤمن بأهداف حزب البعث يُعتبر عربياً, فسعت الأحزاب القومية إلى بناء مجتمع الأمة الحزبية بعيداً عن الأمة الوطنية التي تؤمن بالانتماء الوطني. وسنرى لاحقاً تأثيرات حزب البعث على تفكك المجتمع السوري.

## المراجع.


1. حضارة الفرات الأوسط » البليخ » . محمد العزو . 2009. دار الينابيع
2. تاريخ القانون المصري . د.محمود سلامة زناتي . 1980
3. وقائع ثورة آرارات 1927. 1930 . سلمان عثمان . كوني رش . 1998
4. يوسف العظمة . غسان كلاس . دار حازم . 2001
5. دراسة حول الأكراد . ب . ليرخ . ترجمة د. عبدي حاجي.
6. صلاح الدين الأيوبي . السيرهاملتون. آ. ر. جب . حررخا د. يوسف ايبش.
7. أضواء على الحركة الكردية في سوريا . عبد الحميد درويش . 2000
8. أكرم حوراني رجل التاريخ . حمد حمد . دار بيس . 1996
9. هؤلاء حكموا سوريا . د. سليم المدني . دار الوار . 1996
10. مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية . د سام سليم دلّة . 2002

# السياسة الدولية كوانتمياً
# (أثر الفراشة والاحتمالات اللانهائية)

سردار هوشو

## نظرة تاريخية على تطور الفيزياء وانعكاساتها على السياسة:

بعد اكتشاف نيوتن قوانين الحركة, أضحى العالم عبارة عن نظام محكم يتحرّك وفق قوانين ثابتة, وإذا ما استطعنا معرفة أسباب الحوادث نستطيع حينها التنبّؤ ليس فقط بما سيحدث في المستقبل, بل نستطيع التحكم في الظاهرة أيضاً إذا ما استطعنا التحكم في الأسباب التي تؤدي لحدوث الظاهرة, وبهذا المعنى يستطيع الإنسان التحكم بالعالم والسيطرة عليه, ويثبت أنه الكائن الوحيد الذي يستطيع أن يسيطر على العالم, وأن يوجهه بما يخدم مصالحه, ما ولّد لديه الشعور بالاستقرار والسيطرة. وفي عام ١٨١٤ جاء العالم الفرنسي «لابلاس» ليؤكد أنّ وضع

الكون في الحاضر هو نتيجة وضع الكون في الماضي، وهو سبب وضعه في المستقبل، وأنّ المستقبل مفتوح، وواضح كما هو الماضي، ويستطيع الإنسان التنبؤ بالمستقبل تماماً، وهو ما نسميه (مبدأ الحتمية). إلى أن جاء العالم الأسكتلندي ماكسويل عام ١٨٧٦ ليؤكد أن الفروق البسيطة في الأوضاع المبدئية، ستؤدي إلى فروق في الوضع النهائي ولكن في حالات استثنائية. وفي عام ١٨٩٠ جاء العالم هنري بونكاريه ليقول إن الوضع الجديد لأيّ جسم يعتمد اعتماداً كبيراً وحساساً جداً على وضعه الأوّلي، وإن الحركات الميكانيكية معقدة جداً بصورة لم يستطع نيوتن وماكسويل توقعها، حيث كتب في عام ١٩٠٨ «لماذا لا يستطيع علماء الأرصاد الجوية التنبؤ بحالة الطقس بصورة مؤكدة، والعواصف تبيّن أنها ناجمة عن طريق الصدفة بأن الإعصار سيحدث في مكان ما، ولكن لا يستطيعون التنبؤ بالضبط بموقع الإعصار ب ١٠/١ في أي مكان، وبالتالي تجاهُلنا لهذا ال ١٠/١ من المعلومات لو استطعنا أن نعرفها لتمكنّا من معرفة موقع الإعصار بالضبط , ولكن تجاهلنا لـ ١٠/١ يجعلنا نشعر أنّ الإعصار يحدث عن طريق الصدفة، وهذا ما يسمى بنظرية الفوضى (الكايوس) وينتج عنها بالتالي، إنّنا لا نستطيع التنبؤ بمستقبل أيّ نظام؛ لأنّ التغييرات الطفيفة والبسيطة في ظروفها الأولية لها أثر كبير في مستقبله، عكس مبدأ الحتمية الذي تبنّاه لابلاس ونيوتن اللذان أكّدا على إمكانية التنبؤ بأيّ نظام، وهكذا نجد أن نظرية الفوضى كانت صدمة ومفاجأة للإنسان الذي كان يعتقد أنّ العالم نظام متوازن ومستقر ونستطيع التنبؤ والتحكم به وبمستقبله، ولهذا نجد العلماء في تلك الفترة كانوا رافضين نظريةَ الفوضى؛ لأنّها كشفت عن تواضع العلم وعجزه وعدم سيطرته على الطبيعة كما كان يُتوهّم، لأنه تبيّن أن الطبيعة هي التي تتحكّم به، وليس هو الذي يتحكم بها، وجاء العالم إدوارد عام ١٩٦١وقام بإجراء تجربة بيّنت أنّ المتغيّرات البسيطة والضئيلة التي نهملها في أيّ تجربة، قد تؤدي إلى إحداث تغييرات كبيرة في النتائج، وهذا ما يُطلق عليه (أثر الفراشة)، فالفراشة تسبّب اضطرابات وتموّجات في الهواء، وبعد فترة زمنية تسبّب إعصاراً في مكان ما، كما أنها يمكن أن تتسبب بعدم حدوث إعصار في مكان آخر، وبالتالي فإن الفراشة كائن قويّ وإنك إذا ما قتلتها يمكنها أن تدمّر بلدك بالكامل. إن كلام بونكاريه عن فرق ال ١٠/١ يمكن أن يُحدث الإعصار، وإن التغييرات البسيطة التي لا يعربها الإنسان أيّ اعتبار يمكن لها أن تؤدي إلى نتائج كبيرة غير متوقعة، وهذه النظرية تنطبق في كافة مجالات الحياة كما في الاقتصاد، فكثيراً ما تحدث أزمات اقتصادية غير متوقعة، وكذلك في علم العسكرة كثيراً ما تتغلب قوة ضعيفة بالعدد والعتاد على قوة كبيرة مسلحة بأحسن أنواع الأسلحة، فقيام الحرب العالمية الأولى التي راح ضحيتها ثمانية ونصف مليون إنسان، كانت نتيجةً لاغتيال فردينان ولي عهد إمبراطورية النمسا والمجر، وكلمة تقولها لشخص يمكن لها أن تغيّر كثيراً في العالم، وقد انعكس هذا الأمر على السياسة أيضاً، حيث دخلت السياسة إلى حالة من عدم الوثوقية أو حالة عدم التعيين، فليست الظواهر السياسية اليوم ظواهر قابلة للتنبؤ كما في الماضي، ففي السياسة اليوم؛ باتت الوقائع محكومة بأثر الفراشة، أي بمستوى الأحداث الصغيرة التي تؤدي إلى أحداث كبيرة، حيث تراجع دور القياس الاستقرائي لصالح البجعة السوداء أي الأحداث التي تأتي من خارج السياق المألوف، إن عالم الصغريات «المايكرو» عالم يتجاوز الاحتمالية إلى انعدام اليقين مما جعل التحليل السياسي والتنبؤ السياسي في مهبّ الريح، وأدى إلى تكريس مبدأ الفوضى العمياء، وقد انعكس هذا على السياسة أيضاً، حيث ظهرت ميولٌ في علم السياسة باعتبار أنّ الطبيعي في الوجود هو زيادة معاملات الفوضى، لهذا بدأت نظريات سياسية تميل إلى اعتبار أن النظام الدوليّ الذي

تأتّى من مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية, كان خطأ مجافياً للطبيعة بخلاف السعي نحو التنظيم, وهذا ما سُمّي بفلسفة السياسة ما بعد الحداثة, التي تعتمد على النسبوية وتلغي أيّ تعيين, والتي تؤدي إلى العبثية السياسية وتُحيل كلّ القضايا إلى اللّا معنى, حيث ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية تيّار مؤيّد لمبدأ العماء والفوضى الخلاقة (المحافظون الجدد).

وقد كان للمفكر والقائد الكردي عبدالله أوجلان رأي نقدي في هذه النظرية عند تناوله للعلم كأسلوب للبحث عن الحقيقة, فهو يرى أن البحث في المادة داخل جسم الإنسان هو الأسلوب الأقرب إلى الصحة, لكن يبدو من غير الممكن الوصول إلى التفسير الأقرب إلى الصحة للمادة داخل مختبرات الحداثة المعزولة بإحكام, في حين أن العلاقة بين الناظر والمنظور إليه في فيزياء كوانتم لا تعترف إطلاقاً بالقياس الأكيد المجزوم به. فمثلما يُجري الناظر تغييرات على المادة بمقدور المنظور إليه أيضاً إفلات نفسه من عين الناظر ضمن شروط المختبرات.

حيث ترتب على هذه النظرية الكوانتية, تجاوز المنهج الاستقرائي في قراءة المستقبل وفتح باب الاحتمالات, لأن في أيّ حدث هناك احتمالات لا نهائية وفقاً لمبدأ الكون كله, إنه يلعب بالنرد, أي إنه لا توجد حالة تعيين, حيث أننا لا نستطيع أن نفهم الأحداث ولا نستطيع ضبطها بمقياس.

أي إننا نبحث عن قضايانا حيث يوجد الضوء الذي اعتدنا عليه في المعارف السابقة, أي أنّنا بالتأكيد لا نعرف نتائج ما سيحدث, أو ما لن يحدث بالاستناد إلى المعلومات المحدودة التي نمتلكها, فكلّ حقيقة هي حقيقة, ونقيضها أيضا حقيقة, وإن أفضل ما يمكننا فعله في السياسة اليوم؛ هو أن نعيّن احتمالية حدوث شيء أو احتمالية تطوّره مع الوقت.

**"قام العالم إدوارد عام ١٩٦١بإجراء تجربة بيّنت أنّ المتغيّرات البسيطة والضئيلة التي نهملها في أيّ تجربة, قد تؤدي إلى إحداث تغييرات كبيرة في النتائج, وهذا ما يُطلق عليه (أثر الفراشة), فالفراشة تسبّب اضطرابات وتموّجات في الهواء، وبعد فترة زمنية تسبّب إعصاراً في مكان ما, كما أنها يمكن أن تتسبب بعدم حدوث إعصار في مكان آخر"**

إنّ مستقبل أيّ صراع مفتوح على احتمالات غير متوقعة إذا ما تدخّل ظرف ما حاسم يجعله في حالة واحدة متعينة, أي بتدخّلٍ ما يتعيّن احتمالاً دون آخر, وإن بقاء الصراع أو ظهور حلّ لهذا الصراع أمران متراكمان في الوضع الحالي, ولا يمكن التنبؤ به, حيث تدخُّلُ دولة أو ردّ فعل لدولة ما لجماعة ما قد يُخرج الاحتمالات المتراكمة إلى حالة متغايرة.

إننا نعيش الحالة النيوتونية ولكن الحقيقة تكمن في الحالة الكوانتية, فكلُّ حدث مستقبلي معتمدٌ على الحسّ العام, وكل فكرة جديدة لدى الناس غير مألوفة من قِبل الحسّ العام, نجد دائماً أن هناك ممانعة تغيير لديهم, فهم يعتقدون أنهم يمتلكون الحقيقة كاملة. كذلك في السياسة عندما تأتي حقائق جديدة غير متوقعة فإن هذه الوقائع تُرفض, ونجد أن هناك ممانعة لما هو جديد, فهناك دائماً حنين إلى الماضي وأن الماضي دائماً هو الأفضل, ومشهد النهايات سيشكل قطعاً

ابستمولوجيا مع الحسّ العام في السياسة وفي وقائع المجتمعات.

## التغييرات الدولية

لقد مرت السياسة بثلاث مراحل:

ـ **مرحلة الفكر السياسي الأخلاقي** الممتد من سقراط الذي دعا إلى التسامح، وكيف يجب أن تكون العلاقة بين الحاكم والمحكوم؟ والحاكم يجب أن يكون فيلسوفاً هدفه الرئيسي هو البحث عن الخير وتحقيقه، وأفلاطون يُعتبر أول من وضع نظاماً سياسياً، والسياسة عنده ليست أكثر من امتداد طبيعي للأخلاق، وهو الذي تخيّل كيف يجب أن يكون شكل الدولة وما يجب فعله كي تكون الدولة ناجحة وتحقق السعادة، وصاغ كل ذلك في كتابه «الجمهورية» والذي تأثر به الفارابي في صياغة آرائه السياسية، حيث تأثر بالفلسفة الأخلاقية والسياسية لدى أفلاطون وربط السياسة بالأخلاق، وأنّ غاية الرجل السياسي هي تحقيق الخير ومن ثم تحقيق السعادة (ما يجب أن يكون). لكن هذه السياسة الأخلاقية كانت غير قابلة للتنفيذ لأن الحكم الأخير فيه للواقع لا للأفكار والقيم، وهي ما تسمى بالسياسة ما قبل الحداثة.

ـ **المرحلة الثانية هي مرحلة السياسة الواقعية** التي غلب فيها مبدأ الواقع على الأفكار أو القيم، وهي مرحلة الحداثة، حيث تعيّنت السياسة على مبدأ الواقع باعتبارها «فناً للممكن» فمنذ اتفاقية «وستفاليا» التي وُقّعت بعد حرب دموية وطويلة الأجل بين الكاثوليكية والبروتستانتية، حيث وقّع الطرفان عام ١٦٤٨على مجموعة من البنود والنقاط التي حددت فيما بعد، شكل النظام العالمي والعلاقات الدولية. ومن أبرز ما جاء فيها:

١- التركيز على مبدأ سيادة الدولة، أي أنّ من حق الدولة مهما كانت صغيرة أن تقرر مصيرها، وتتّخذ القرارات التي تراها مناسبة داخل حدودها، دون الخضوع لأي طرف خارجي أو تدخل من دولة أخرى.

٢- تكريس مبدأ الولاء القومي، بمعنى تعزيز الحالة القومية على الحالة الدينية، وذلك لتجنّب الصراعات الدينية التي جلبت الويلات للشعوب الأوربية.

٣- مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول.

**حيث ارتكزت هذه المرحلة في السياسة الواقعية على أربعة قوائم وهي:**

ـ **الميكافيلية** التي تعني فصل الذات عن الموضوع، وتأسس بذلك علم السياسة.

ـ **الأداتية** التي ترى كل شيء في الواقع بما فيه العقل، أداةً لخدمة الواقع.

ـ **البراغماتية** التي تعتبر ألّا قيمة للنظرية إذا لم تكن ذات فائدة، تكون النظرية أو الفكرة صحيحة بمقدار المنفعة التي تقدمها.

ـ **الوظيفية** التي عنيت بالتعامل مع الواقع كما هو دون البحث في أسباب ما فيه.

وبهذه العناصر الأربعة مورست السياسة، فبعد الحرب العالمية الثانية نشأ نظام القطبين: الاتحاد السوفييتي «حلف وارسو» و«الحلف الأطلسي» بقيادة أمريكا، وكان هناك ما يشبه التنافس بالمعنى السياسي والإيديولوجي بين الطرفين، فكان رأي الماركسيين أنّ هناك مسحوقين، وبأنهم يحتاجون في العالم كلّه إلى رعاية خاصة، وإعادة توزيع الثروة، وهذا الأمر شكّل للولايات المتحدة الأمريكية تحدّياً كبيراً، وبناءً على ذلك قامت الولايات المتحدة الأمريكية بترميم النموذج الاقتصادي الرأسمالي، حيث أنشأت ما يسمى بدولة الرعاية، إذ يجب على الدولة أن ترعى مواطنيها وخاصة الفقراء وذلك من خلال الضمان الصحي والرعاية

للمجتمعات ورفع مستوى الرواتب وتأمين دور للسكن وتقديم المال, لكي يتمكنوا من العيش في حال البطالة, وإطلاق الحريات العامة, وكل ذلك كردّ على النظرة الماركسية.

لقد صُنّفت هذه المرحلة تحت اسم التوازن الدولي الجديد, استناداً إلى توجّه السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي التي سعت للاندماج بالمجتمع الدولي, والانتماء لمفهوم القيم ذات الطابع الكونيّ للإنسانية, والرغبة في معالجة الصراعات الإقليمية بالوسائل السياسية السلمية والحوار.

هكذا نجد أن في مرحلة الحداثة نشأ وَهْمُ ضبطِ الواقع بالقوانين السياسية متأثراً بقوانين الفيزياء النيوتونية, ورافقت هذه الرغبة نظريات أشدّ وهماً وهي نظرية المأمرة السياسية والتوقعات الاستقرائية والتاريخية, التي تتبنّى أن المستقبل هو آتٍ من الحاضر وأن الحاضر آتٍ من الماضي, لأنّ معرفة المستقبل مبنية على معرفة الماضي.

هذا الاتجاه سرعان ما اصطدم بأنّ الوقائع المستقبلية كانت وحيدة عصرها ومتفرّدة, وليست متشابهة لأي مما عرفتها البشرية من أحداث في الماضي, ما يعني أن هناك قطيعة بين الحاضر والماضي والمستقبل, وهذا الشكل من السياسة مُورِسَ حتى الثمانينيات من القرن العشرين حيث نشأ تيار جديد وهو تيار ما بعد الحداثة (**الكوانتا السياسية**).

**المرحلة الثالثة: صُنفت هذه المرحلة بأنها مرحلة إنهاء النظام العالمي ذي الثنائية القطبية** التي سادت منذ انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية, وانهيار الاتحاد السوفييتي, وتخلّيه عن مكانته في قيادة العالم, حيث مهّد لنظام عالمي ذي قطب واحد وهو الولايات المتحدة الأمريكية وتفرّدها في قيادة العالم, والتي كانت تقوم سياستها على مبدأ البراغماتية والمنفعة والتدخل في الشؤون الداخلية للدول, ورسْم مسار جديد على مستوى العلاقات الدولية.

وفي هذا الصدد يقول الكاتب «سيرغي قره مورزا» في كتابه: (الاتحاد السوفييتي من النشأة الى السقوط): «خسرت معارك حركات التحرر الوطني في مختلف أنحاء العالم الكثير بسبب سقوط الاتحاد السوفييتي, ليس لأنها فقدت نصيراً مهمّاً في مواجهة محاولات الهيمنة الدولية فحسب, وإنما لأن استفراد قوة واحدة بقيادة العالم قد أفقد النظام العالمي واحداً من أهم شروط التوازن المطلوبة دولياً).

واستطاعت أمريكا رسم خارطة جيو-سياسية جديدة ترسم معالمها ومحطاتها وحدودها منفردةً في صياغة نظام عالمي جديد, وتتحكم بمفاصل السياسة الدولية والعلاقات الاستراتيجية في العالم بشكل مضبوط كما تشتهي, ودون أي منافس لها, وهذا الشكل للنظام العالمي الجديد مورس حتى الثمانينيات من القرن العشرين حيث نشأ تيار جديد وهو تيار ما بعد الحداثة (الكوانتا السياسية).

فإذا كانت مرحلة الحداثة قد تأثرت بفيزياء نيوتن, وحاولت رسم علمٍ للسياسة مضبوطٍ بقوانين صارمة, فإن مرحلة ما بعد الحداثة ترافقت مع نهاية الاتحاد السوفييتي, ونظام القطبين الضابط للعالم مع نشوء الفيزياء الكوانتية, إذْ نسفت منطق القوانين الصارمة, ورسمت فهماً جديداً للفيزياء, فتأثرت بها السياسة بدورها, فهو يقوم على أن الفروق الطفيفة تُنتج أحداثاً كبيرة, وأنّ العالم يفهم فهماً أكبر, ما يُفسِّر أن مخالفة المنطق والحسّ العامّ يمكن الائتلاف معه في عالم لا يمكن ضبطه. إن الفوضى العمياء أو العماء هي سمة الوجود الغالبة وإن ما نراه منظّماً هو من طبيعة محّ الإنسان أو ترتيبه وتناظراته وميله إلى التجريد, وأنّ المستقبل لا يمكن تعيينه سلفاً, وهو مشكّل من عدد لا متناهٍ من الاحتمالات, وقد ترتّب على ذلك تعايش النظام الدولي مع

**”إنّ مستقبل أيّ صراع مفتوح على احتمالات غير متوقعة إذا ما تدخّل ظرف ما حاسم يجعله في حالة واحدة متعينة, أي بتدخّلٍ ما يتعيّن احتمالاً دون آخر, فبقاء الصراع أو ظهور حلّ له أمران متراكمان في الوضع الحالي، ولا يمكن التنبؤ به, حيث أنّ تدخُّلُ دولة ما أو ردّ فعل قد يُخرج الاحتمالات المتراكمة إلى حالة متغايرة.“**

العماء حيث ينتشر العماء بصورة لا سابق لها.

إنّ التحليل السياسي الاستقرائي التاريخي لم يعدْ ممكناً في الحالات العمائية؛ لأنه لا ينطبق إلا على المنظومات المستقرة؛ أي الحداثية, ففي هذه المرحلة ذهب إلى أن النظام العالمي الجديد سوف يكون نظاماً متعدّد الأقطاب, فإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية هناك أوروبا الغربية واليابان وربّما الصين, وهذا النظام ما يزال في ضوء التكوين, ولمّا تنضجْ معالمه بعد, وأنّ مرحلة التسعينيات تميّزت بتصدّع البنى والهياكل القديمة للنظام السابق, وفي المقابل لم تتّضح هوية البنى والتوازنات الجديدة من النظام الجديد, ما يدفع إلى توصيف مرحلة التسعينيات وتطور النظام العالمي بأنها مرحلة انتقالية بين نمطين مختلفين من تطور العلاقات الدولية.

لم يعدْ هناك لأيّ شعب في عصر التفاعلات الدولية القوية التي نعيشها أملٌ في الاحتفاظ باستقرار قراره الوطني من خلال الدفاع الجامد عن المفاهيم القديمة في السيادة الوطنية, وما تتطلّبها من رفع جدران العزلة أو الاستعداد للانخراط في الحروب الدفاعية, فبقدر ما ينجح شعب من الشعوب في التحوّل إلى شريك في تقرير المصير العالمي يحظى بهامش من المبادرة يتيح له تكوين قرار وطني, ولحمة وطنية جامعة, والاحتفاظ بالحدّ الأدنى من الإرادة الحرة, والاستقلال يستدعي اليوم منا الانتقال من مفهوم السيادة إلى مفهوم الشراكة, وفي قلب هذه السياسة التي تؤسس لمفهوم الشراكة العالمية, يوجد مفهوم المسؤولية, وهذا الشعور بالمسؤولية يقف على طرفي نقيض مع روح الأنانية والانفرادية السائدة لدى الدول الكبرى, كما أنّها على طرفي نقيض مع روح التهرّب في مواجهة المسؤولية و رميها على الآخرين.

**وللمسؤولية السياسية ثلاثة أبعاد أو وجوه:**

الوجه الأول: هو مسألة النخَب والطبقات السياسية تجاه المسائل التي تتعلق بتسيير البلاد التي يحكمونها وحسن إدارتها لمواردها, فلم يعد الحكم داخل أيّ بلد مسألة خاصة بالنخب الحاكمة, لكنّه أصبح هو نفسه مسألة من مسائل الإدارة الدولية, بقدر ما أضحى للسياسات الفاسدة لأي بلد نتائج وعواقب مباشرة على سياسات ومصير المجتمعات والبلدان الأخرى القريبة أو البعيدة, لذلك نجد أنّ النخب التي تُظهر قدراً من الضعف والعجز في إدارة موارد البلاد, وبقدر ظهور العجز في إدارة الأمور الداخلية في البلاد واللجوء إلى وسائل العنف لحلّ المسائل, سوف تفقد المصداقية العالمية, وبالتالي ستواجه رفضاً من النظام العالمي أو الدول التي تجد نفسها أكثر تعرّضاً لمخاطر سياساتها, وهذا يفتح الباب أمام التدخّلات الدولية والخارجية في شؤون الدولة والتي سوف تلقى قبولاً كبيراً من المجتمع الدولي, كما حدث في

الحالة العراقية ٢٠٠٣ عندما تدخلت الولايات المتحدة الأميركية في العراق، وعملت على تغيير النظام فيه، ولا بدّ من بناء إدارة سياسية عالمية بالمعنى الحقيقي للكلمة تشارك فيها الشعوب جميعاً وتتفاوض فيما بينها، فيما وراء حدود الدول التي تتنازع على أن تخضع أكثر فأكثر في أجندتها الداخلية إلى النخب الحاكمة التي تتحكم بها وتستخدمها لخدمة مصالحها.

والوجه الثاني يتعلق بطبيعة السياسات التي تمارسها النُّخَب الحاكمة في التعامل مع القضايا الإقليمية والدولية، وتنبع أهمية هذا الوجه من حقيقة أنه لم يعدْ يكفي لبلد أن يراهن على امتلاك موارد كبيرة مادية وبشرية حتى يضمن تقدّمه ونموّه، وإنما يتوقف على قدر ما يكون للدولة أو الجماعة من مشاركة إيجابية في بناء إطار فعال وناجح للتعاون الإقليمي، و بقدر ما تساهم من خلال سياساتها الإقليمية البناءة في تحسين فرص التنمية عند المجتمعات المحيطة بها، وليس فقط داخل حدودها تحظى بقدر أكبر من المصداقية، وتزداد فرص حصولها على الشرعية العالمية.

أما الوجه الثالث فيشير إلى المقدرة التي تملكها القيادة أو النُّخَب الحاكمة على الارتفاع فوق المصالح القومية، من أجل ضمان الاتساق والانسجام العالميين وتعزيز فرص وشروط الأمن والسلم الدوليين، فليس لمجتمع اليوم داخل المنظومة الدولية وزن سياسيّ ولا معنويّ إلا بقدر الجهود التي يبذلها للمساهمة في حلّ المشاكل الدولية كما هو الحال مع قوات سوريا الديمقراطية، حيث سعت كبرى الدول في العالم إلى الاعتراف بها ومدّ يد العون لها لأنها ساهمت في خوض حرب كبيرة، وقدمت الآلاف من الشهداء ليس فقط دفاعاً عن وجودها وحقها، لا بل عن العالم بأسره، حيث تمكّنت من تخليص العالم من داعش الذي كان يمثل أكبر خطر إرهابي في المنطقة والعالم.

وطبعاً كل هذا يتناقض بشكل قاطع مع سياسات الهيمنة الدولية والانفراد، كما ويتناقض مع عقلية الاتّكال والتبعية التي تميل إليها بعض الدول وما يرافقها من اعتماد منطق التسوّل على الولايات المتحدة وأوروبا؛ للحصول على الدعم اللازم، والحفاظ على الأمن والاستقرار أو الدفاع عن المصالح القومية والوطنية، كما هو الحال مع تركيا، التي تسعى دائماً بالاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا إلى فرض إرادة التركياتية على كافة مكونات الشعب بمختلف أطيافه داخل تركيا، وفي محاربتها المستمرة للأكراد ليس فقط داخل حدودها بل حتى في سوريا والعراق.

من النادر جداً لأيّ دولة متورّطة في حقل العلاقات الدولية أن تتمتع بالحرية الكاملة، حتى أنّ قادة أعظم القوى مقيّدون بالظروف والملابسات التي يجدون أنفسهم محاطين بها، وقد يكون استقلال الدول وهو متضمّن أحياناً في مفهوم القوى العظمى أنموذجاً مثالياً، غير أنه ليس واقعياً أن تكون أصغر القرارات الداخلية في كثير من الأحيان مرتبطة بشكل كبير بالعديد من المتغيرات الخارجية، وتتوقف على الأوضاع السياسية الدولية.

بعد عام٢٠٠١ ثبتت نظرية العماه الاستراتيجية الأمريكية في السياسة، ومن أنصار هذا الاتجاه في أمريكا المحافظون الجدد، حيث يذهبون إلى القول إلى أنه إذا كان الكون كله غير منظم ولا نستطيع ضبطه والتحكم به، فلماذا نسعى نحن إلى أن نكون المنظِّمين للعالم ونكون شرطيّ النظام في العالم، وأن منظمات الأمم المتحدة والمبادئ الدولية التي تمّ وضعها لجعل العالم أكثر انتظاماً ما هو إلا خطأ عظيم، إننا نسير بذلك عكس إرادة الطبيعة، فكما الكون كله خرج من نقطة منظّمة إلى حالة عماه كلية كما في نظرية الانفجار الكبير، وكذلك العالم كله يقتتل فيما بينه منذ بداية الخليقة إلى يومنا هذا، فلماذا مطلوب

> **إذا كانت مرحلة الحداثة قد تأثرت بفيزياء نيوتن، وحاولت رسم علم للسياسة مضبوط بقوانين صارمة, فإن مرحلة ما بعد الحداثة ترافقت مع نهاية الاتحاد السوفييتي، ونظام القطبين الضابط للعالم مع نشوء الفيزياء الكوانتية, إذْ نسفت منطق القوانين الصارمة, ورسمت فهماً جديداً للفيزياء، فتأثرت بها السياسة بدورها, فهو يقوم على أن الفروق الطفيفة تُنتج أحداثاً كبيرة.**

منا أن نسعى إلى النظام في الكون, فالوجود كله سِمَتُه الأساسية هي الفوضى لا النظام, وكما في حالة المادة التي ننعتها بأنها مستقرّة ومنتظمة هي في الحقيقة في حالة فوضى, فالفوضى هي الخلاقة وهي الأساس لا النظام, ولم يعدْ في مقدورنا أن نتحكم بمفاصل السياسة وتوجيهها؛ لأنّ أحداثاً صغيرة قد تُخرج الحالة المعنية إلى حالة مغايرة تماماً.

إنّ ما حدث في الحالة التونسية من إحراق «بوعزيزي" نفسه قد أخرج تونس إلى مشهد لم يتوقّعه أحد. وانعكس ذلك على منطقة الشرق الأوسط كاملةً؛ في سوريا ولبنان والعراق, بمعنى آخر: يريدون القول: - كيف لنا أن نتعامل بعقلية الحداثة لمرحلة ما بعد الحداثة؟.

يقول «هيغل»: «لكل مرحلة روحها أي عقلها وطبيعتها, لكنّها تختلف عن الروح الكلية التي تعني الحرية, فعندما نفكر بعقلية الحداثة لما هو ما بعد الحداثة, نكون مخالفين مع روح العصر ومغتربين جداً عن العقل الكلي (الفوضى الخلاقة)».

طبعاً كل هذه الأفكار مستقاة ومبنية على نظرية الفيزياء الكوانتية, لذلك ما يحدث اليوم في منطقة الشرق الأوسط هو انعكاس لنظرية الفوضى, فحالة الفوضى هذه مطلوبة دولياً لأن الوجود هكذا, فالشرق الأوسط تاريخياً مركزٌ في الصراع الدولي, فلماذا نسعى إلى إحلال النظام فيه؟ بل يجب أن يبقى في حالة الصراع والفوضى.

ومن أنصار هذا التيار والمتأثرين به «ترامب» وفريقه الذين يسعون إلى إحلال الفوضى بدلاً من النظام, حيث يقولون: علينا أن نكون نقطة النظام الوحيدة في العالم والعالم كله في حالة فوضى, لأننا نستطيع أن نتحمّل نتائج أي حدث طارئ, نحن نملك أكبر قوة اقتصادية في العالم, وبالتالي ظهور أي أزمة اقتصادية نستطيع تجاوزها, كذلك نحن القوة العسكرية الأولى في العالم, ولا يمكن لأحد أن يؤثر علينا, و كذلك القوة المعرفية والتكنولوجية... وكلُّ هذه العوامل تجعلنا خارج قوانين العالم. ففي عام ٢٠٠١ بدأت ملامح هذا النظام السياسي الجديد تتبلور, فإذا كان الشرق الأوسط تاريخياً هو مركز الصراع الدولي, فلماذا نسعى إلى إحلال النظام فيه؟

ومن ملامح هذا النظام ممنوع المقاومة, لأنها من مخلّفات الحرب العالمية الثانية, إنما من حقك أن تتفاوض. ممنوع أن تكون لك سيادة إنما مبدأ التدخل الإنساني هو الأساس.

إذا ما أسقطنا الحالة الكوانتية الجديدة في السياسة على عالمنا المعاصر, فسنجد أننا نعيش الكوانتا السياسية بكل مفرزاتها, فنحن اليوم أمام عالم تسوده الفوضى وأمام مخرجات لا نهائية من الاحتمالات والحلول, إن فيروساً صغيراً لا يمكن رؤيته بالعين المجرّدة (كورونا) قد أحدث تغيرات كبيرة لم تفلت

منها دول بحجم أمريكا وروسيا وأوروبا, وغيّر شكل العالم في حالة (أثر الفراشة) وإلى الآن لا نستطيع أن نعرف كيف سيكون شكل العالم ما بعد كورونا؟ فهو يتجه باتجاه شكل جديد غير متوقع, قطب واحد أم متعدد الأقطاب؟

ستكون للمليشيات الصغيرة أثر كبير على الساحة السياسة في المنطقة والعالم, لأنها تتعامل خارج قوانين نيوتن, فهي تعيش حالة من المرونة وتملك القدرة على التكيّف والتعامل مع أي حدث طارئ, وسيكون للمنظمات غير الحكومية, وصندوق النقد الدولي والإعلام الدورَ الكبير في تحديد الاتجاهات, لذلك نجد كيف أنّ الدول تضخّ مليارات الدولارات على هذ الجانب, فأحياناً يكون إعلام دولة ما أكبر من الدولة نفسها.

سيبُقون على حالة الفوضى هذه في منطقة الشرق الأوسط ,وسيكون ساحة للصراع الدولي, فهم يقولون: - إنّ الشرق الأوسط تاريخياً كان مركزاً للصراعات الدولية, ويجب أن يبقى هكذا: غير منظم, وغير مستقر.

إننا اليوم أمام عالم لا توجد فيه حقيقة واحدة وإنما مجموعة من الحقائق, حتى وإن تعارضت مع بعضها, فكلُّ حقيقة هي حقيقة في سياق ما.

سيكون للصراعات داخل المؤسسات الأمريكية وآلية معالجتها بين فريق ترامب ومؤسسات الدولة العميقة, انعكاساتها على شكل النظام العالمي والصراعات في المنطقة, فهل سيكون النصر فيه لترامب وفريقه؟ وبالتالي انكفاء الصراعات الدولية والتركيز على الداخل الأمريكي, وهذا ما يفسر انسحاب أمريكا من سوريا والعراق وأفغانستان؟ وسيكون هناك حالة من التوافق مع روسيا, وبالتالي عدم إعطاء أهمية كبيرة للحلف الأطلسي, وعدم تزويده بالإمكانات لانتشاره على حدود روسيا, ما يتسبب في استفزاز الأخيرة؟ أم يجب التركيز على الصين وحدها, أم سيكون للدولة العميقة القول الفصل وبالتالي سنعيش الحالة الصراعية مع العدو الأساسي الذي هو روسيا وما سيترتب عليه من صراعات في منطقتنا والعالم.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه بقوة: هل فعلاً ستكون الولايات المتحدة الأمريكية خارج هذه الفوضى؟ بمعنى آخر هل ستستطيع المحافظة على حالة النظام في عالم تسوده الفوضى أم أنّ هذه الفوضى ستصيبها أيضاً؟

كل هذا يُفسَّر على عدم اتخاذ قرار واضح, واستراتيجيّة عميقة للسياسة الأمريكية, أي أنّنا نتوجّه إلى عالم بلا نظام, وإلى عالم بلا مركز, ونظام جديد ليس فيه هيمنة للغرب, فنحن أمام عالم لم يتبلور بعدُ, ولم يتّضح ما يريده حتّى الآن.

## المراجع :


1- عبدالله أوجلان، مانفيستو الحضارة الديمقراطية، المجلد الأول، مطبعة، آزادي، الطبعة الثانية، 2014

2- سيرغي قره، مورزا، الاتحاد السوفييتي من النشأة الى السقوط، ت: شوكت يوسف، الهيئة السورية العامة للكتاب، 2019 .

3- روبرت جاكسون، ميثاق العولمة - سلوك الانسان في عالم عامر بالدول، ت: فاضل جتكر، الرياض، مكتبة العبيكان ،2003 .

4- عبد العليم محمد، واشنطن والنظام الدولي الجديد، مجلة اليوم السابع، العدد 33، 1990.

5- https://studies.aljazeera.net

6- https://firatn.com

# أكراد لبنان... مؤسسون وركن نهضة

فادي عاكوم

ننشغل جميعاً بالقضية الكردية، وملاحقة ما يتعرض له أبناء المكون الكردي في العراق وسوريا وتركيا وإيران، لكن جزءاً هامّاً من هذا المكون قد ظُلِمَ إعلاميّاً على مرّ السنوات الماضيّة، لأسباب ومسببات عديدة، وهو المكون الكردي في لبنان، والذي لا يقل وجوده أهمية عن الوجود الكردي في باقي الدول التي تحظى بالتغطية الإعلامية الدائمة والاهتمام السياسي المركز، مما يطرح التساؤل عن السبب لهذا التغييب الذي أتى ليس من قبل الإعلام العربي والعالميّ فحسب، بل حتى من قبل الإعلام الكردي نفسه.

وربما ليس من قبيل الصدف أن يكون أبرز شخصين عرفهما التاريخ الشرق أوسطي الحديث كداعين الى الحرية والاستقلال والمساواة الاجتماعية من الأكراد، أوّلهم كمال جنبلاط الذي اغتيل على يد المخابرات السورية بسبب مواقفه الجريئة، والزعيم الآخر هو عبدالله أوجلان الذي كان في لبنان في فترة مفصليّة من التاريخ النضالي التحرّري، حيث أسس أحد أبرز المعسكرات للتدريب، والمفارقة أيضا أنّه اعتقل بتواطؤ من المخابرات السورية التي أجبرته على الخروج من لبنان وسوريا، ليتمّ اعتقاله من قبل المخابرات التركية.

توزّعوا ولم يسكنوا ضمن كانتونات، أو مناطق خاصّة بهم كالجالية الأرمنية أو اللاجئين الفلسطينيين، أو السريان، أو الموارنة، أو القبائل العربية التي نزحت من باقي الدول، فقد انصهر الأكراد في نسيج المجتمع اللبناني على مدار مئات السنوات، فكانوا ركناً أساسيّاً من أركان نهضة لبنان سياسيّاً، واقتصاديّاً، واجتماعيّاً، ونال معظمهم الجنسية اللبنانية وأصبحت عائلاتهم من العائلات اللبنانية الأساسية والمرموقة في المجتمع اللبناني، ولعبت السياسة دوراً لبروز البعض من هذه العائلات، وظلم البعض الآخر خاصة أبناء الموجة الثانية من هجرة الأكراد إلى لبنان، حيث لم ينل جزء كبير منهم الجنسية إلى الآن؛ بسبب الاعتبارات المذهبية التي ابتدعها سياسيّو لبنان للحفاظ على ما أسموه التوازنات الطائفية، فظلّ الأكراد المولودون في لبنان دون هوية وطنية، وكل ما يعرف عنهم هو أوراق ثبوتية لجنسية قيد الدرس.

ولولا هؤلاء الجنود الذين نزلوا الى السواحل اللبنانية منذ ألف عام بمجموعاتهم العسكرية المنظمة، والمميزة بالتسليح والهندام المميز بالألوان الزاهية لحماية الشواطئ من الغزوات التي كان يقوم بها القراصنة والجيوش غير العربية الطامعة بهذه المنطقة، فلربّما قد تغيّر تاريخ لبنان، بل تغيّر تاريخ المنطقة ككل، فهؤلاء المقاتلون هم الموجة الأولى من الأكراد الذين وضعوا أقدامهم على أراضي لبنان لتستمر مسيرتهم مع استمرار التاريخ اللبناني بكل مفاصله ودمويته وسلامه وحروبه وازدهاره وانتكاساته، وتوالت الموجات مع بداية القرن الماضي من مختلف الدول التي يتوزّع فيها أبناء القومية الكردية أي من إيران والعراق وسوريا وتركيا، مع ترجيح كفّة الهاربين من تركيا.

والمضحك المبكي في مسألة أكراد لبنان، أنّهم لاقوا نوعا من النبذ من قبل العرب، إلّا أنّهم خلال فترة الانتداب الفرنسي كانوا يحظَون بدعم من الجيش الفرنسي ليس فقط حبا بهم، بل بقصد إضعاف الدولة العثمانية، فقد وفدت المئات من العائلات الكردية للعمل والإقامة في لبنان، وأطلق عليهم وقتها لقب الكورماج، واصطحبوا معهم عشرات العائلات العربية التي ادّعت بأنّها كردية لتحصل على الامتيازات من قبل الفرنسيين، ورغم بعض الحالات الشاذة إلّا أنّ اللبنانيين بشكل عام احتضنوا الكرد في المجتمع اللبناني، واتيح لهم الحفاظ على العادات والتقاليد واللغة والتي لا تزال موجودة بينهم إلى الآن.

## شهادة من الداخل

ربّما خير من يوضح حياة الأكراد في لبنان هي حنان عثمان رئيسة رابطة نوروز الثقافية

عبدالله أوجلان مع مجموعة من مقاتلي حزب العمال الكردستاني في أحد معسكرات التدريب في البقاع اللبناني.

الاجتماعية في لبنان، والتي تقول في هذا التصريح المقتضب: إنّ الشعب اللبناني عامة يعاني من أزمة اقتصادية ومالية واجتماعية تعتبر الأخطر من نوعها، ويعاني الكردي اللبناني من هذه الأزمة وتداعياتها ويتأثر بها بالدرجة الأولى. ولكي نفهم ما يعانيه الكرد في لبنان اليوم، علينا إلقاء نظرة سريعة إلى تاريخ هذا الشعب العريق الذي قدم تضحيات جسيمة في سبيل شعوب ومستقبل أبناء المنطقة عامة وفي سبيل استقلال وحرية لبنان خاصة، مع العلم أنّ المعلومات شحيحة جداً حول الإسهامات الفذة والمهمة التي قدمها هذا الشعب المخلص لتاريخ المنطقة في سبيل استقلال الشعوب من الاستعمار، والاضطهاد، بالإضافة إلى دورهم البارز والحيوي في التاريخ الإسلامي وفي بناء حضارته.

وتضيف أنّ الكرد عانوا في وطنهم الأم كردستان من كافة أشكال الاضطهاد القومي والاجتماعي، وبسبب هذه المعاناة والظلم هاجر قسم كبير من الكرد من موطنهم طلباً للعيش الكريم وبحثاً عن الأمن والاستقرار، لحقوا بالرعيل الأول الذي قدِم إلى لبنان وبعض البلدان العربية كفلسطين والأردن كقوات عسكرية قوية لسد الثغرات البحرية بوجه الحملات الصليبية، فقد كانت الأغلبية الوافدة من الأمراء ورؤساء العشائر الكبيرة والمهمة وذات النفوذ والإمكانيات. إلّا أنّ الرعيل الثاني ومنذ قدومه إلى لبنان بقي في وضع مُزرٍ حيث الفقر والحرمان من أبسط سبل الحياة الكريمة، حتى أنّه لم يشهد أي احتضان، رسمياً كان أو شعبياً، كالذي حصلت عليه بقية الجاليات من الأقوام والشعوب الأخرى، والتي هاجرت في نفس الحقبة ولنفس الأسباب.

وتؤكد حنان عثمان أنّ التاريخ يشهد أنه عند قدوم الكرد إلى لبنان لم يحصلوا على أي نوع من المساعدات، ماديةً كانت أم معنوية، كتلك التي حصل عليها بقية اللاجئين. مثلاً فالأخوة الأرمن والسريان، ولأسباب دينية، استطاعوا الحصول على المساعدات من العديد من الدول والمنظمات، ممّا ساعد في رفع مستواهم الثقافي والاجتماعي، بل إنّ غالبية الكرد لم تحصل حتى على الجنسية اللبنانية بالسهولة التي حصل عليها الآخرون، وما يزال عدد كبير منهم إلى اليوم يعانون الحرمان من الجنسية على الرغم من مرور كل هذه العقود على وجودهم في المجتمع اللبناني. كما أنّ المدارس والمشافي لم تفتح أبوابها للأطفال الكرد مثلما شرعت أبوابها للأطفال من القوميات الأخرى وبالمجان.

«بالإضافة إلى حصول بعض اللاجئين على نواب ووزراء يدافعون عن شعوبهم ويحمون مصالحها داخل البرلمان اللبناني، إلّا أنّ الكرد لم يكن يملكون الحق حتى في اختيار ممثلين عنهم حتى في أدنى الدرجات».

فالكردي اللبناني حسب عثمان واجه كل هذه المطبات والصعاب عندما كان يطلق على لبنان اسم سويسرا الشرق، وعندما كانت البحبوحة والرخاء تخيم على الشعب. أمّا اليوم، فيعاني الوطن والشعب عامة من أزمات جمة بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، لاسيما بعد القيود التي فرضت بسبب تفشي فيروس كورونا، وهذه الأزمات هي نتيجة لتركمات لنظام سياسي يحمل في طياته الطائفية والمحاصصة حيث النهب والفساد الذي نهش كيان وبنية الدولة، ومنذ اندلاع الحراك الشعبي في لبنان والكرد يشاركون فيها رافعين الصوت عالياً مطالبين بالتغيير وبتحسين ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية الصعبة جداً وخاصة في هذه الأيام العصيبة في ظل ارتفاع الأسعار الجنوني للمواد الاستهلاكية، وخسارة قدرتهم الشرائية مع تدهور قيمة الليرة، حيث يشكو الكثيرون من الكرد من عدم قدرتهم البتة على تأمين لقمة عيشهم.

وتختم عثمان رئيسة رابطة نوروز الثقافية

الاجتماعية في لبنان حديثها بأنّ الكرد في لبنان يعانون من الاستبداد، لكنه استبداد من نوع آخر، إنّه استبداد اقتصادي واجتماعي. إذ عانى الكرد ومازالوا يعانون من كونهم مواطنين من أدنى الدرجات، وأغلبيتهم يحملون وثيقة تدعى «قيد الدرس» ويعانون من استبداد ممنهج خلق عندهم حساً مزمناً بالضعف وبانعدام الثقة والإحباط والعزلة. هناك حاجة ماسة إلى ترميم الثقة على أن يحصل الكرد على حقوقهم وأبسطها العيش الكريم وصولاًإلى التمثيل النيابي لأنهم جزء لا يتجزأ من النسيج اللبنانيّ، وهم يفتخرون بهويتهم اللبنانية، وبأصولهم الكردية العريقة.

شواهد قبور المقاتلين الاكراد الذين سقطوا في لبنان خلال الاجتياح الاسرائيلي عام 1982.

## تاريخ لا بد منه

تاريخ أكراد لبنان يعود الى القرن الثاني عشر ميلادي، مع قدوم الأمير معن بن ربيعة الأيوبي في العام إلى سواحل لبنان لمقاومة الأسطول الصليبيّ، وتنصيبه ملكاً على جبل لبنان، وبعد نجاح مهمّته بدأت مرحلة هامة من مراحل السياسة اللبنانية، ونقل الحكم إلى أولاده وأحفاده وصولاً إلى حصول ابنه الأمير فخر الدين المعني لقب أمير البر بعد انتصاره في معركة مرج دابق، وتلاه في الحكم ابنه قرقماز وبعده ابنه الامير فخر الدين المعني الثاني إلى أن انتهى الحكم مع وفاة الأمير أحمد بن ملحم أمير يونس المعني في العام ١٦٩٧م.

وبالتسلسل الزمني فقد توالى على الحكم المعني ١٩ حاكماً هم: (معن، يوسف الأول، يوسف الثاني، سيف الدين عبد الله الأول، عبد الله الثاني، علي الأول، بشير الأول، محمد، سعد الدين،عثمان، أحمد الأول، ملحم، يوسف الثاني بن ملحم، فخرالدين الأول، قرقماز بن فخر الدين، فخر الدين الثاني بن قرقماز، علي بن فخرالدين، ملحم بن يونس بن قرقماز، أحمد بن ملحم.)

وبالإضافة إلى الأجداد والآباء المؤسسين فقد برز بين الحكام المعنيين الأمير فخر الدين الثاني بن قرقماز، الذي برز سياسيّاً حتى وصفه أحد الرحالة الإنجليز بأنّه «قصير القامة، لكنه عملاق في شجاعته، عمره أربعون سنة، ذو دهاء كالثعلب، وفيه ميل أن يكون طاغية، لم يكن البادئ قط في حرب، ولا قام بعمل يؤثر إلّا بعد استشارة أمه الست نسب ورضاها»، وبسبب التداخلات السياسية وخسارة حلفائه لبعض المعارك، ومنعاً لاستمرار الحرب الداخلية بين آل معن وآل جنبلاط وآل سيف والأرسلانيين قرر عام ١٦١٣ الاستقرار في توسكانة لكنه عاد الى لبنان، ونال لقب سلطان البر، وحكم من ولاية حلب حتى القدس والبقاع وصفد، وينسب له النهضة العمرانية التي شهدتها مدينة بيروت بعد أن حولها إلى عاصمة ثانية، إلى أن تم قتله من قبل السلطان العثماني في العام ١٦٣٥ مع اثنين من أولاده، وتقول بعض الأبحاث التاريخية بأنّ نسل آل معن استمر من خلال الأمير حسين الابن الثالث لفخر الدين الذي هرب الى بلدة الريمة، وتقول بعض الروايات: إنّ أصل آل الأطرش يعود إلى آل معن.

ولا تزال العائلة الأيوبية قائمة إلى الآن في لبنان، ويصر أبناؤها على ذكر لقب الأمير في المعاملات الرسمية والحكومية، وغالبيتهم ينحدرون من منطقة البترون في الشمال اللبناني، وتذكر بعض المصادر أنّ الأيوبيّين الحاليين هم نسل أيّوب بن شادي بن مروان الزرزاري الكرديّ المتحدّر من

أربيل العراق، والذي كان حاكماً لقلعة بعلبك آنذاك، وينسب لهم أيضاً السيطرة على قلعة المسيلحة في منطقة الكورة الشمالية، ومن أبرز العائلات الكردية في شمال لبنان أيضاً آل سيفا وآل الشهال، وخضر آغا وآل مرعب وآل عبود والمعيطات، وآل سيفا تعتبر من العائلات التي لعبت دوراً هامّاً في التاريخ اللبناني، وتعود جذورهم إلى كردستان الشمالية نزحوا الى لبنان أيّام سلاطين بني أيّوب الكردي، ونالوا رتبة الباشاوية، وحكموا طرابلس وسهول عكار في الشمال اللبناني لمدة قاربت المئة عام، واشتهروا بخلافاتهم الدائمة مع المعنيين، ومن أبرز حكامهم حسن باشا سيفا، والأمير محمد بن علي سيفا الطرابلسي، والأمير يوسف سيفا، وينحدر منهم آل الشهال الذين لا يزالون موجودين إلى الآن، ومن وجهائها: الشيخ محمد عبدالله الشهال، والأديب فضل أفندي شهال، وأيضاً يسجل تواجد لأمراء رأس نحاش ويعود نسبهم إلى الأكراد الذين وضعهم السلطان العثماني سليم الأول في مقاطعة الكورة شمالي لبنان في القرن السادس عشر، من أجل المحافظة عليها من الإفرنج سنة ١٥٥٦م، وقد اشتهر منهم عدة أمراء، مثل: الأمير موسى وابنه الأمير إسماعيل.

ومن العائلات الكردية التاريخية في شمال لبنان أيضاً آل مرعب الذين قدموا إلى لبنان من جبل الأكراد في عفرين سنة ١٧٥٩م، وينحدرون بأصولهم إلى عشيرة رشوان الكردية المنتشرة في مناطق عدة بكردستان تركيا، وفي أنحاء عفرين بغربي كردستان، وتشير المصادر التاريخية إلى أنّهم قضوا على حكم آل سيفا، وأخذوا مكانهم في حكم مناطقهم، لقبوا بالباشاوات والآغاوات، وكذلك آل شوك، وهم أحفاد حسن مشيك الذين استقروا ببلدة بقرصونا في منطقة سير الضنية الجبلية، وكان للأسرة دور بارز في مقارعة الانتداب الفرنسيّ، وعرفت ثورتهم تلك المنطقة على الفرنسيين بثورة آل شوك الذي قاده قاسم شوك سنة ١٩٢٧م في سير ضنية، وسجن لمدة سبعة عشر عاماً لدى القوات المنتدبة على لبنان، وأعدم شنقاً.

وبعد هذه الفترة انتشرت العائلات الكردية في لبنان التي شهد فتحها من قبل الملك أبي غازي؛ الملك الظافر غياث الدين بن صلاح الدين الأيوبي في العام ١١٧٧، ومن أبرز هذه العائلات، والتي لا تزال موجودة إلى الآن كريدية، وفرشوخ، ومسالخي، وعليوان، وكشلي، والنويري، ولا يزال أحد أحياء بيروت تحمل تسمية النويري بالقرب من كورنيش المزرعة إلى الآن، وفيها عدد كبير من أبناء القومية الكردية، حتى أنّ التجارة التي لطالما اشتهرت بها بيروت لها الفضل في قسم كبير منها للحاج سعد الدين كريدية، والذي قد حصل على لقب شاه بندر التجار وملك البر نظراً لامتلاكه معظم مناطق الجهة الجنوبية من بيروت، وسليم آغا الكريدية الملقب بالأبّ الروحي للسينما، والمسرحيّ اللبناني، وأبو عفيف كريدية، وكمال كريدية، وعبد القادر بن عبد الرحمن كريدية، ويعود نسب آل كريدية إلى الملك أبي غازي الملك الظافر غياث الدين بن صلاح الدين الايوبي الذي فتح بيروت، ومن العائلات الكردية البيروتية العريقة أيضاً آل شبارو، والذين يتحدرون بنسلهم للناصر صلاح الدين الأيوبي، ويعودون بنسبهم لجدهم الأعلى شبارو، والذي يعود بجذوره العائلية للناصر صلاح الدين الأيوبي، وعاصروا الإمام الأوزاعي، وكان لهم عنده منزلة كبيرة، حتى وضع ضريح أحد أجدادهم بالقرب من ضريحه، وتوزّعوا بشكل خاص في أحياء بيروت، خصوصاً في الأشرفية وزقاق البلاط وعين المريسة والمنارة والروشة ورأس النبع والمزرعة وعين التينة، وبرز منهم محي الدين شبارو الذي يعتبر من رواد الهجرة الى المكسيك عام ١٨٨٧.

ومن بيروت إلى جبل لبنان، فقد عرف الأكراد مرحلة ازدهار كبيرة، من خلال عائلة جنبلاط، والتي تعود بأصلها الى الأمير؛ جان بولات بن

قاسم بك بن أحمد بك بن جمال بك بن عرب بك بن مندك الأيوبي الكردي، وهم من أهمّ عشائر الأيوبيين، ولفظة جان بولات باللغة الكردية تعني (الروح الفولاذية)، وتحوّلت إلى جنبلاط باللهجة اللبنانية، واستمرت إلى الآن، وكان قد تولى إمارة معرة النعمان وكلس شمال سوريا، وفي العام ١٦٣٠ أقام جان بولات بن سعيد في بلدة مزرعة الشوف بجبل لبنان، إلى أن نصب أحد أحفاده وهو علي جنبلاط رئيساً لمشايخ منطقة الشوف في العام ١٧١٢، وبنى في حياته قصر المختارة الذي أصبح مركزاً لحكم العائلة التي أنجبت العديد من الشخصيات المؤثرة، كالسيدة نظيرة جنبلاط عقيلة فؤاد جنبلاط، التي ترمّلت سنة ١٩٢٢ فخلّفت زوجها على مسرح السياسة اللبنانية، وكان لها دور فاعل، توفّيت في بيروت سنة ١٩٥١م، فخلّفها على المسرح السياسي ابنها كمال جنبلاط؛ أحد كبار ساسة لبنان ومفكّريها، ومن بعده وليد جنبلاط الزعيم الحالي لدروز لبنان، والذي يمهّد لصعود ابنه تيمور في المحافل السياسية، ومن العائلات الكردية في جبل لبنان أيضاً آل العماد، أو العماديين الذين قدموا من مدينة العمادية بكردستان العراق، ونصرالله وأبو غانم.

وبرزت في الجنوب اللبناني عائلات كردية اتّخذت المذهب الشيعي؛ منها آل حمية، ويعود أصل التسمية لجدهم الكبير؛ حمو الذي جاء مع أخوَيه سليمان وأراجا؛ ابنَي الامير مهدي بن علي مهزيار الهماوندي من أنحاء كردستان بقرية شاسيان، وتزوج جدّهم من ابنة الأمير إسماعيل الوائلي، وينجب الأخوة الثلاثة المذكورين، وانحدر بنو حمية من حمو الذي تزوج من فتاة ببلدة طاريا بالبقاع اللبناني، وتفرّعت منها عائلات كثيرة منها (حمو- ياغي - علي الحاج - إبراهيم - فياض - حمزة - أبو أحمد كنج – قاسم - محمد حسن - محرز - يونس - أبو يونس - الحاج حسين) كما تشتهر عائلة مشيك، والتي تتحدّر من أحفاد مشيك بن سليمان بن أمير علي بن مهزيار الهماوندي، بالاضافة الى عائلة الضيقة التي تمركزت في بلدة تل حزين، و آل أتات أحفاد سليمان بن علي بن مهزيار الهماوندي، ينتشرون في قرى عدة مثل شمسطار بدنايل وتمنين تحتا يونين - اللبوة - الكرك بقضاء زحلة، وطليا، وبيت شاما، كما برزت عائلة صعب ومؤسسها هو بهاء الدين بن علي الذي لقب بصعب لشدة بأسه وصلابته، وعرفو لاحقاً بآل الفضل، ويعود نسبهم إلى الأيوبين، ويسكن آل الفضل اليوم في أنحاء جبل عامل بقضاء النبطية وفي القرى التالية: (المروانية والبابلية وزقتا ودير البابلية وغيرها.) ومركزهم قديماً بلدة النبطية، وبرزت منهم شخصيات مرموقة في تاريخ لبنان، وهم نعيم بك الفضل، ومحمود بك الفضل، وفايز بك الفضل، وبهيج بك الفضل، واشتهروا بالوجاهة والثروة ولقب آل الفضل بمشايخ الصعيبين.

قاسم شوك قائد ثورة سير الضنية سنة ١٩٢٧م

ومن العائلات الكردية التي اتّخذت المذهب الشيعي أيضاً آل بيرم التي يعود أصلها إلى بيرم كرد آغا الذي نزح مع أسرته من كردستان تركيا من ولاية وان، وكلمة بيرم تعني باللغة الكردية

(فكري)، واللافت أنّ هذه العائلة انتشرت في عدة بلدان أخرى انطلاقاً من لبنان كتونس ومصر واشتهر منهم الأديب والشاعر محمود بيرم التونسي (بيرم تونسي)، ويقطنون في لبنان في بلدة الوردانية بقضاء الشوف والمركز والقرى التالية جويا –ووادي الزينة – وقناريت - حنويه – وادي جيلو – زحلة، ومن وجهائهم قديماً وحاضراً داوود بيرم، وجميل مصطفى بيرم؛ رئيس دائرة الاقتصاد في منطقة الجنوب سابقاً، والقاضي جميل محمد بيرم، والعقيد حسن بيرم، والمقدم إبراهيم بيرم، والصحفي إبراهيم بيرم، والمهندس طارق رضوان بيرم، والمهندس إبراهيم بيرم.

## الهجرات الحديثة

أما في العصر الحديث، وبسبب ما تعرّض له أبناء القومية الكردية من اضطهاد في العراق وتركيا وإيران، شهد لبنان تدفقاً للمهاجرين الكرد، والذين اختاروا لبنان وقتها بسبب نفوذ الجاليات التاريخية الكردية والتعاطف اللبناني مع قضيتهم، فانتشروا في جميع المناطق اللبنانية، وكانت الموجة الأولى في العام ١٩٢٤ وما بعدها، وكانت غالبية المهاجرين في تلك الفترة من إيران والعراق، وفي العام ١٩٨٠ من تركيا بعد الظلم الذي تعرض له كرد تركيا بسبب الانقلاب العسكري الذي قام به الجنرال التركي كنعان إفرين، وبعد هروب أكراد تركيا إلى سوريا ومنها إلى لبنان.

وتوزّع الأكراد الجدد في لبنان في مناطق عدّة من المنطقة الغربية لبيروت كمنطقة المزرعة والنويري وزقاق البلاط والمسلخ وخلدة والكرنتينا ووادي أبو جميل والمصيطبة وبرج البراجنة ورياض الصلح والباشورة وفرن الشباك والمريجة، والبعض انتقل الى منطقة طرابلس في التربيعة والزاهرية وضهر المغر والقبة، وبقي بعضهم بالقرب من الحدود مع سوريا في البقاع في بلدات كفرزبد والفرزل والخيارة.

وقد حصل آلاف الأكراد على الجنسية اللبنانية ما بين عامي ١٩٤٥ و١٩٥٠ وقسم آخر حصل عليها في العام ١٩٩٤، وغالبيتهم يتكلم اللغة العربية مع بعض اللهجات الكردية كالكرمانجية الشمالية أو الكرمانجية الجنوبية أو اللهجة اللورية أو الزازكية، وبرزت بعض العائلات سياسيّاً كعائلة العيتاني والمصري وعميرات، حتى أنّ منطقة البسطا الواقعة في قلب بيروت تضمّ عدداً كبيراً من الاكراد، وترجع التسمية إلى منطقة بسطا في ولاية شرنخ التركية، وتبلغ الكتلة الانتخابية الحالية لهم ٢٥ ألف صوت، إلّا أنّ مشاركتهم بالانتخابات تعتبر متواضعة جدّاً، نظراً لوجود قسم كبير منهم خارج لبنان، وتقاعس قسم آخر عن العملية الانتخابية، ولا يزال آلاف الأكراد في لبنان دون جنسيّة، وأصبحوا حسب القانون اللبناني من حاملي «هوية قيد الدرس» ممّا حرمهم من العديد من التقديمات والامتيازات التي إن وجدت حسّنت أوضاعهم كثيراً، كالتعليم والطبابة والتوظيف وغيرها من ميزات حاملي الجنسية.

## دعم الحركة الوطنية

بدأت علاقة أبناء المكون الكردي المجنّسين وغير المجنّسين مع الحركة الوطنية اللبنانية منذ بدء الحرب الأهليّة في العام ١٩٧٥، حيث قاتل العديد من الشبّان الكرد في صفوف تنظيمات الحركة، وبشكل خاص في بيروت الغربية آنذاك، وسقط شهداء كثر منهم في مناطق النبعة وبرج حمود وتل الزعتر والمسلخ والكرنتينا، وبرز دورهم خلال مقاومة الاجتياح الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢، وتشكّلوا ضمن التنظيمات اللبنانية بالإضافة إلى تشكيلات حزبية مسلّحة خاصّة بهم؛ كحزب الولاء الوطني، ومجلس الأعيان الكرديّ الوطنيّ اللبنانيّ، واتّحاد الطلبة الكرد، وحزب رزكاري.

وكان لتواجد حزب العمال الكردستاني في

الزعيم الكردي مصطفى البرزاني، والزعيم اللبناني (الكردي) كمال جنبلاط

لبنان ما بين سنوات ١٩٧٠ و١٩٨٠ أثر كبير في تنظيم صفوف الكرد، خصوصاً مع زيارات القائد عبد الله أوجلان الكثيرة لمناطق البقاع وبيروت، والتي أدّت إلى تعزيز الروح السياسيّة، والانخراط في العمل المسلح والسياسي داخل لبنان وخارجه، وتعرض أكراد لبنان لضغوط كثيرة بسبب الوجود السوري الذي استمر إلى العام ٢٠٠٥، فكثرت الملاحقات، وتمّ إقفال العديد من المؤسسات الاجتماعية والسياسية، مع ملاحظة نشاط بارز أيضاً للمخابرات التركية، لكن ما بعد عام ٢٠٠٥ اختلفت الأوضاع باستشهاد رئيس وزراء لبنان؛ رفيق الحريري، فخرج السوريّون وخفّتِ الضغوط بشكل شبه نهائيّ.

ولدى الحديث عن دور الأكراد في نهضة الحركة الوطنية اللبنانية لا بدّ من الإشارة والتطرّق إلى كمال جنبلاط المفكّر والسياسي ذي الأصول الكردية، وهو كمال فؤاد جنبلاط (٦ ديسمبر ١٩١٧ - ١٦ مارس ١٩٧٧)، ويعتبر أحد أهم زعماء لبنان في فترة الحرب الأهلية، وما قبلها، وأحد زعامات الطائفة الدرزية في جبل لبنان، إضافة إلى كونه مفكّراً وفيلسوفاً، وزعيماً للحركة الوطنية اللبنانية التي أنشأها في بدايات الحرب الأهلية اللبنانية مع جورج حاوي ومحسن إبراهيم، وأحد مؤسّسي الحزب التقدمي الاشتراكي، ويعتبر من الشخصيات اللبنانية المعروفة بدعمها للقضية الفلسطينية، اغتيل في ١٦ مارس ١٩٧٧ على يد المخابرات السورية باستخدام سيارة تحمل لوحة أرقام عراقية في بلدة ديردوريت بمنطقة الشوف على مقربة من حاجز للجيش السوري المنضوي تحت لواء قوات الردع العربية آنذاك بعد خلافات عميقة، كون مشروعه الوطني يعيق المشروع السوري آنذاك واتهم النقيب في المخابرات الجوية السورية آنذاك إبراهيم حويجة بتدبير وتنفيذ العملية، والذي اختفى إلى أن تمّ ترفيعه ليصبح مديراً للمخابرات الجوية، وخلفه في زعامته ابنه وليد جنبلاط، له عشرات المؤلفات والمقالات السياسية والفكرية والفلسفية والاجتماعية، ولعب كتابه «أدب الحياة» دوراً هاماً بتنشئة أجيال متعاقبة في لبنان حيث يعتبر دليلاً على أسس العلاقات والحياة الاجتماعية، علاقة الإنسان بالآخر تحت مظلة الاحترام المتبادل.

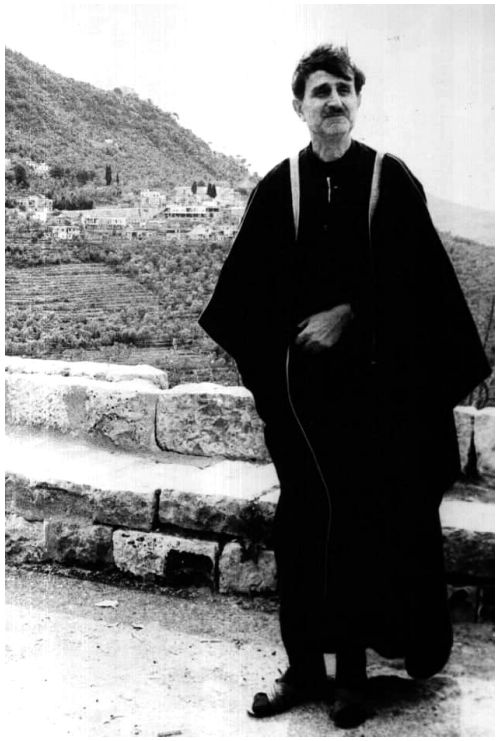

كمال جنبلاط الزعيم والمفكر اللبناني الذي يعود بجذوره العائلية إلى الشعب الكردي

وتعتبر سيرة آل جنبلاط من سير العائلات المميزة التي لها جذور كردية، وتتّخذ العائلة قصر المختارة بمنطقة الشوف مقرّاً لها، ترجع

أصول آل جنبلاط في لبنان لأصول كردية سنّيّة، واسمهم الأصلي جان بولات ويقال: إنهم قدموا إلى حلب مع الأيوبيين، وقاتلوا مع جيوشهم في الحروب ضد الصليبيين، وفي عهد العثمانيين اعترف بهم العثمانيون، وعيّنوا علي باشا جان بولات حاكماً على منطقة حلب، وظلّوا حكّاماً على حلب حتى ثار علي باشا جان بولات على العثمانيين، فقضى هؤلاء على ثورته، وأعدم عام ١٥١١، ولجأ حفيده جانبولاط بن سعيد إلى جبل لبنان عام ١٥٣٠، وذلك بدعوة من حليف جدّه الزعيم الدرزي فخر الدين المعني الثاني أمير جبل لبنان، وبعد وصوله أسس العائلة الجنبلاطية الدرزية، والانتماء للطائفة الدرزية له روايات عدة؛ منها أنّه قد اعتنق الدرزية سرّاً، أو فتح له باب الانتساب من قبل مشايخ الطائفة رغم إقفاله منذ سنوات، وازدهرت العائلة أيّام الزعيم الدرزي؛ الشيخ بشير جنبلاط، وفي إحدى معاركه مع الموارنة أسر وأعدم عام ١٨٢٥، وعام ١٨٨٤ عيّنَ العثمانيون نسيب سعيد بشير جنبلاط حاكماً على إقليم الشوف، لكنّ هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى تقود إلى تبدّل في معادلة القوى داخل عائلة جنبلاط، فقد قرّر الفرنسيون إزاحة نسيب حليف العثمانيين، وعينوا فؤاد جنبلاط والد كمال جنبلاط حاكماً على إقليم الشوف، وعام ١٩٢١ قتل فؤاد جنبلاط على يد أحد منافسيه من عائلة أرسلان المنافسة لآل جنبلاط على القيادة السياسية لدروز لبنان، وتولّتْ زوجته نظيرة جنبلاط مهام زوجها.

وخلال سيطرة الأحزاب على مقاليد القرار في لبنان في ثمانينيّات القرن الماضي أي منذ العام ١٩٨٠، وحتى العام ١٩٩٢ برزت القوّة الكرديّة على الأرض خصوصاً في منطقة بيروت الغربية، حيث انضمّ معظمهم إلى الحزب التقدّمي الاشتراكي الذي ترأسه آنذاك وليد جنبلاط، فكانوا يعدلون كفّة ميزان القوة خلال المعارك التي اندلعت مع العديد من القوى الأخرى كحركة أمل والمرابطين وغيرهم، حتى باتوا يشكّلون قوة أقلقت وقتها جنبلاط نفسه الذي حاول تحجيم قوّتهم عبر توزيعهم على عدد من المناطق تحت إمرة مسؤولين حزبيين لبنانيين، ومن المنصف القول: إنّ تحركات هذه المجموعات وقتها أدّت إلى إبقاء وتعزيز وجود أحزاب أساسيّة لعبتْ دوراً هامّاً في المرحلة السياسية اللاحقة، انطلاقاً من حجم وقوة نفوذها على الأرض.

ومن الناحية السياسية الحالية، ورغم كونهم من الطائفة السنّيّة فيتبع أكراد لبنان، ومن خلال تجمّعاتهم الحزبية خط حزب الله وحركة أمل أو محور المقاومة، كما يطلق عليه في لبنان، بالإضافة إلى التحالف مع الأحباش وجمعية المشاريع الخيرية الإسلامية مع بعض التأييد البسيط والمتواضع لتيارات سياسيّة أخرى كتيار المستقبل، والحزب التقدّميّ الاشتراكي، وتمّ في العام ٢٠١٤ افتتاح رابطة نوروز الثقافيّة الاجتماعية التي تديرها حالياً حنان عثمان، والتي ترشّحت كمستقلة في الانتخابات النيابية في العام ٢٠١٨.

## أوجلان ولبنان

أحد معسكرات حزب العمال الكردستاني في منطقة البقاع اللبنانية القريبة من الحدود السورية

يتباهى بعض الأكراد في لبنان بأنّ حزب العمال الكردستاني الذي يتزعّمه عبد الله أوجلان (PKK) انطلق في الأصل من لبنان كحركة مسلّحة، وشارك لاحقاً في مقاومة إسرائيل إلى جانب الفصائل اللبنانية الأخرى، فخلال بداية ثمانينيّات القرن الماضي كانت علاقة حزب العمال الكردستاني مع النظام السوري جيّدة، حيث عقد الحزب مؤتمره الأول في سوريا

بين ١٥ و٢٥ تموز / يوليو ١٩٨١، وعقد مؤتمره الثاني أيضاً في سوريا في العام ١٩٨٤، كما كانت دمشق مكان إقامة قيادة الحزب، وتواجدت بعض معسكراته في البقاع اللبناني الخاضع للسيطرة السورية، وكان المعسكر المركزيّ الذي سمّي بمعسكر قرقماز يقع بالقرب من بلدة كفر زبد ولا يزال أهالي البلدة والبلدات

فليشهد العالم كله بأن خطواتنا ستكون سديدة ومسيرتنا بطولية

المحيطة بها المقاتلين الأكراد، ويؤكّدون أنّ أوجلان كان يتمتّع بعلاقة جيدة مع أهالي المنطقة، وكان يزور بعض المنازل من وقت إلى آخر، وكانت عمليات تجنيد كوادره تجري في المناطق ذات التواجد الكردي في سوريا ولبنان، لكن في عام ١٩٩٨ ونتيجة الضغوط التركية أخرجت سوريا الأمين العام للحزب عبد الله أوجلان من أراضيها، ما أدّى إلى وقوعه في أيدي المخابرات التركية بعد أن تمّ خطفه في العاصمة الكينيّة نيروبي.

من أشهر المعارك التي شارك فيها المقاتلون الأكراد في لبنان هي معركة قلعة الشقيف في جنوب لبنان لصدّ الاجتياح الإسرائيلي في العام ١٩٨٢، حيث حوصِر أوجلان مع مقاتلي الثورة الفلسطينية في القلعة، وكانت المعركة من أهم محطات الاجتياح الإسرائيلي التي شهدت معارك عنيفة، كما شارك المقاتلون الأكراد في معركة بيروت في منطقة خلدة أيضاً خلال الاجتياح، وعقد حزب العمال مؤتمره الثالث في معسكره في منطقة البقاع وتم فيه تأسيس الجيش الشعبي لتحرير كردستان (ARGK) ليحلّ محلّ قوات تحرير كردستان، كما تم خلال المؤتمر اتّخاذ عدّة قرارات بصدد تطوير الحزب وتوسيع التنظيم وزيادة عدد المقاتلين، ومن أهمّ القيادات الكردية التي تواجدت في لبنان أيضاً القيادية الشهيدة ساكينة جانسيز والتي تعتبر من الأعضاء المؤسّسين للحزب، وتمّ اغتيالها في فرنسا من قبل المخابرات التركية في العام ٢٠١٣.

مدخل مزار الشهداء المقاتلين الأكراد التابعين لحزب العمال الكردستاني في منطقة البقاع اللبنانية

## الكرد الحاليون

ويقول الصحافي جوان سوز الذي قضى فترة طويلة في لبنان قبل محطّته الأوروبية: إنّه في لبنان، يعيش أكثر من مئة ألف كردي، وهم لبنانيون يحملون جنسية هذا البلد. «يمكننا مقابلتهم إلى جانب الأرمن في حي برج حمّود الشهير في العاصمة اللبنانية بيروت، ويمكننا أيضاً مقابلتهم في جبل لبنان وصور وصيدا وغيرها من المناطق اللبنانية».

ويضيف «صادفت الكثيرين من أكراد لبنان بحكم إقامتي في بيروت، وتفاجأت حين وجدتهم يتحدثون الكردية بطلاقة، كنت قبل ذلك قد صادفت أكراد الأردن ومصر الذين يعترفون بهويتهم الكردية، لكنّهم لا يجيدون لغتهم الأمّ، لذلك كان الكرديّ اللبناني أكثر حفاظاً على طقوسه القوميّة، وربّما يعود السبب في هذا الأمر إلى تواصله المباشر والدائم مع أكراد سوريا بحكم القرب الجغرافي بين سوريا ولبنان، ولوجود أعداد كبيرة من السوريين الأكراد الذين يسافرون من سوريا إلى لبنان بهدف العمل فيه منذ عقود طويلة، ويضاف للسبب السابق

وجود معسكرات حزب العمال الكردستاني في لبنان. باعتقادي ساهم هذا الأمر في نهضة قوميّة لدى أكراد لبنان «المنسيين قومياً» باعتبار التصفيات في لبنان تتمّ على أساس ديني، وبالتالي هم مسلمون سنة لبنانيون. لكن وجود مؤسسات ثقافية كردية للعمال الكردستاني ساهم في تعريف أولئك المسلمين السنة على تقديم أنفسهم كأكراد أوّلاً».

ويضيف الصحافي السوريّ أنّ لبنان كان منفتحاً على الأكراد حتى ما قبل وجود معسكرات العمال الكردستاني في هذا البلد. ففي حين كانت الحكومة السورية تمنع تداول اللغة الكردية وتنفي وجود الأكراد، كانت الفضائيات والإذاعات اللبنانية تستقبل الفنانين والعازفين الأكراد من أمثال الفنان الكبير والراحل سعيد يوسف، والذي استضافته معظم وسائل الإعلام اللبنانية منذ سبعينيّات القرن الماضي. هذا يؤكّد على عدم وجود تمييز حكومي ضد الأكراد، حتى أنّ تيارات كردية انطلقت من بيروت في ثلاثينيّات القرن الماضي.

ويشير سوز أنّ الشيء الوحيد الذي يجب أن يعرفه اللبنانيّون غير الأكراد هو أن «الماردليّين» القادمين إلى لبنان أيام العثمانيين ربما، ليسوا أكراداً وهم من مدينة ماردين التركية وهي مدينة يتواجد فيها الأكراد والأرمن والسريان والعرب معاً. إنّ الخلط بين الماردلية والأكراد في لبنان يشوّه صورة الأكراد خاصة، وأولئك «الماردليّون» يؤيّدون السياسات التركية عموماً. إنّ الأكراد لديهم لغة خاصة بهم، بينما الماردليون يتكلمون لغة أقرب من أن تكون لهجة من إحدى لهجات اللغة العربية، وفيها الكثير من الكلمات العربية».(انتهت شهادة جوان سوز)

**لا شكّ أنّ الأسر الكردية الكبيرة مثل المعنيين، وآل جنبلاط، وآل سيفا والعماديون وسواهم ذوو أصول كردية معروفة، ومع الأيام أصبحوا لبنانيين مستعربين**، وربّما ضعف ارتباطهم بكرديتهم وأصولهم البعيدة، وصارت جزءاً من الماضي، وأصبحوا اليوم أكثر ارتباطاً بمصالحهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية في لبنان. أما الكرد الحاليون والذين لازالوا محافظين على لغتهم وعاداتهم وأصولهم الكردية، وارتباطهم الروحي بالكرد وكردستان، فهؤلاء يشكلون الجالية الكردية الحالية في لبنان، وقد هاجرت إليها من منطقة ماردين وطور عابدين وبوطان في كردستان تركيا، بسبب ضيق سبل العيش في مواطنهم الأصلية من جهة، وخوفاً من الاضطهاد التركي الذي أرعبه التحرّك السياسيّ للكرد في كردستان، وفشل الثورات الكردية هناك، وبالذات ثورة الشيخ سعيد بيران عام ١٩٢٥، وما نتج عنها من تهجير جماعيّ للكرد في منطقة ديار بكر، ومع بداية القرن العشرين حضر ٨٠٪ من الكرد المهاجرين إلى لبنان بين العامين ١٩٢٤و ١٩٤٠، وانطلقت من الاعتبارات الآتية: - الظروف المعيشية الصعبة التي مر بها الكرد في تركيا، وما ينقل إليهم عن طريق أقاربهم وأصدقائهم عن رخاء العيش الموجود في لبنان، وإعدام مئات الكرد في إيران بعد سقوط جمهورية مهاباد الكردية هناك، مما انعكس معنوياً على كرد تركيا من جهة، والخوف من مجازر مماثلة قد يقوم بها الحكم ضدهم في تركيا من جهة أخرى. أمّا المحطّة الأخيرة للهجرة فكانت في العام ١٩٨٠ بعد الانقلاب العسكري الذي قام به الجنرال كنعان أفرين في تركيا، إذ تعامل مع الكرد بشدة وقمع متناهيَين، مما هيّأ لهجرة مجموعات كردية أخرى إلى لبنان.

**لذا يمكننا القول:** إنّ الغالبية الساحقة من كرد لبنان جاءت من كردستان تركيا عبر التوجّه إلى منطقة الجزيرة السورية من نصيبين – القامشلي – الحسكة - دير الزور – حلب – حمص – حماة – طرابلس – فبيروت، أما توزيعهم الجغرافي في لبنان؛ فقد تجمع أكثريتهم في ضواحي بيروت، في أحياء مثل (زقاق البلاط)، ومنطقة رياض الصلح،

والكرنتينا، والمسلخ، والمزرعة، والمصيطبة، وبرج البراجنة في حي السباعي، ومنطقة وادي أبو جميل، ومنطقة الباشورة، وفرن الشباك، والمرجه وخلدة، ومنهم من استقر في طرابلس في أحياء التربيعة، والزاهرية، وظهر المغر، والقبة، وفي البقاع في قرى الخيارة، والفرزل، وكفر زبد، ويقدّر عدد كرد لبنان عام ١٩٨٣ بحوالي ٩٠ ألف، وأكثريّتهم يعتنقون المذهب السنّي، ويتكلمون اللغة الكرديّة، ويضاف إليهم حالياً حوالي ٥٠ ألف كردي سوري نزحوا خلال السنوات الأخيرة بسبب الحرب الدائرة في سوريا، حيث بقي قلّة منهم في مخيّمات النزوح، وتوزّع الباقي في المناطق التي يسكنها الكرد في مختلف المناطق اللبنانية.

في العام ١٩٥٦ استطاع عدد كبير من أكراد لبنان الحصول على الجنسيّة اللبنانية، علماً أنّ المتقدّمين للحصول عليها كان قليلاً نسبيّاً، لأسباب عدّة؛ منها عدم القدرة على دفع رسوم التجنيس، بالإضافة الى الخوف من أن يكون الأمر خدعة لترحيلهم إلى تركيا، لكنّ الأمور تبدّلت بعد فترة وجيزة، مع وقف تجنيسهم لأمر عائد الى عدم الإخلال بالتوازن الطائفي في لبنان؛ كون معظمهم ينتمي الى الطائفة السنيّة، فإذا تمّ تجنيسهم فسيرتفع عدد السنة، ومعها الكتل الانتخابية بشكل لا يوافق عليه باقي زعماء الطوائف؛ لأنّ نسبة التمثيل في المجلس النيابي للسنة سترتفع أيضاً، لذلك تمّ استبدال الجنسية بأوراق ثبوتية بتسمية جنسية قيد الدرس، والتي شكّلتْ ثقلاً ماديّاً كبيراً على من حصل عليها؛ بسبب الرسوم المرتفعة التي يتمّ دفعها كلّ ثلاث سنوات عند تجديدها، وحتى الذين حصلوا على الهوية اللبنانية فقد عانوا - ولا يزالون - من عدم ذكر مكان الولادة، ممّا حرمهم من الكثير من المعاملات المتعلّقة بالسفر، حتى إنْ أراد أحدهم العودة من الخارج كان يجد صعوبات وعراقيل بانتظاره، كما أنّ المواليد الجدد يبقون ربّما لسنوات قبل حصولهم على الهوية اللبنانية، رغم أنّهم بنات وأبناء لبنانيين ولبنانيات، وعانى أكراد لبنان الجدد كثيراً في بداية قدومهم الى لبنان، الذي وصلوه صفر اليدين، ودون خلفيّة تعليميّة بسبب الأوضاع المزرية التي كانوا يعانون منها أساساً في دولهم؛ كالعراق وسوريا من تهميش وتجهيل، فعملوا بمختلف الأعمال البدنية خصوصاً في بيروت، وخلال الحرب تعرّض أبناء الجالية الكردية للعديد من المذابح أسوة باللبنانيين، خصوصاً في تل الزعتر والكرنتينا والمسلخ، ثمّ عادت الدولة اللبنانيّة، ومنحت عدداً كبيراً من الأكراد الجنسية بعد انتهاء الحرب من خلال اتّفاق الطائف بعد العام ١٩٩٤.

وكاستمرار لرحلة الترحال، هاجر آلاف من الكرد من لبنان باتجاه الدول الأوروبية طمعاً بحياة أفضل، خصوصاً النروج والسويد والدنمارك وألمانيا وفرنسا، وهو أمر أنعش أوضاع من بقي في لبنان؛ بسبب التحويلات التي كانت تصلهم من أقاربهم المهاجرين.

ويعاني أكراد لبنان من التشتت السياسيّ الذي جعل منهم كتلة انتخابية مقسمة، بينما لو كانوا يداً واحدة فلربما استطاعوا فرض نائب أو أكثر لهم في المجلس النيابيّ على الأقل، أو مقعد أو أكثر من مقاعد المجلس البلديّ في بيروت، أو حتّى في مقاعد المخترة (مخاتير الأحياء)، حيث يوجد في بيروت وحدها ١٢ ألف صوت كرديّ، وهو رقم يرجّح كفة أيّ لائحة انتخابيّة، إلّا أن تشتت الأصوات والتفرّق بين العائلات والعشائر، والاتّكال على الوعود الانتخابية للحصول على المطالب قج أضرهم سياسيّاً، وحرمهم من الحصول على المطالب على حد سواء، علماً أنّه توجد في تاريخ الأكراد في لبنان علامة فارقة مضيئة، وهي سامي الصلح؛ رئيس الوزراء اللبناني الراحل الذي تبنّى قضايا وهموم الأكراد، وكان له دور هام في حصول الآلاف على الجنسية اللبنانية بعد محاولة رجال الدين الموارنة استقطاب الكرد وإغرائهم بالجنسية اللبنانيّة، مقابل تحوّلهم الى الطائفة المارونية.

أكراد لبنانيون يحتفلون بعيد نوروز في منطقة الروشة في العاصمة اللبنانية بيروت.

ولا يزال بعض كبار السن يطلقون عليه تسمية «سامي بابا» تقديراً لجهده معهم. وفي لبنان حاليا بعض التجمّعات التي تعمل منفردة، وأحياناً فيما بينها على تحسين الأوضاع، وهي الجمعية الخيريّة الكرديّة، حزب رزكاري، والجمعية اللبنانية الاجتماعية، والرابطة الثقافية والإنسانية الكردية اللبنانية، واتحّاد الطلبة الأكراد، ومجلس الأعيان، ورابطة آل عميرات، ومؤسسة شيخ موسى العمري، حزب رزكاري، وحزب الولاء الوطني.

## نيروز لبنان

ككل أبناء القومية الكردية يحتفل أكراد لبنان بعيد النيروز في الـ ١٩ من شهر آذار من كلّ عام، فتراهم في تجمعات مملوؤة بالفرح والبهجة، كباراً وصغاراً على اختلاف انتمائاتهم العائلية والحزبية، وكأن النوروز فسحة أمل بغدٍ، ومستقبل أفضل في ظل الأوضاع القاتمة السائدة فوق رؤوسهم بسبب الإهمال والإقصاء المتعمّدين، ولعل أبرز تجمعات يوم النوروز تجمع منطقة الروشة ببيروت قبالة البحر، واحتفالات وادي شحرور وحومال وبدادون.

## لائحة المراجع


**الكتب**

- لبنان التنمية: آفاق و تحديات : أبعاد تنموية و رؤية إنسانية - زياد عبود علوش - دار الفارابي - بيروت - 2014

- أطلس لبنان: الأرض والمجتمع - غالب فاعور وسسيباستيان فيلو - المركز الفرنسي للشرق الأوسط - 2012.

- أسرار حرب لبنان - آلان مينارغ - (ترجمة مجموعة مترجمين ) - المكتبة الدولية / بيروت - 2006.

- القضية الكردية: إشكالية بناء الدولة - عمار عباس محمود - المنهل - بيروت - 2016.

- أكراد لبنان وتنظيمهم الاجتماعي والسياسي - أحمد أحمد محمد - مكتبة الفقيه - 1995.

- الأكراد شعب المعاناة - صلاح عصام أبو شقرا - دار الهادي - 1999.

- فخر الدين المعني الثاني حاكم لبنان: إدارته وسياسته، 1590 - 1635- بولس قرألي - المجلة البطريركية، العدد 10 (شباط/فبراير - أيار/مايو 1935).

**صحف ومواقع الكترونية:**

- الاكراد يذوبون في لبنان الذي اضطهدهم (جزئين) - جريدة الأخبار اللبنانية - فداء عيتاني - 2 نيسان 2007.

- ويكيبيديا - الموسوعة الحرة / الأكراد في لبنان.

- موقع الاتحاد العالمي لكرد المهجر.

- مسيحيو لبنان وشجاعة الاكراد - موقع المدن اللبناني - نديم قطيش - 17/3/ 2016.

- لعنة الأكراد في لعبة الكبار - بيروت انسايت - جوسلين حداد الدبس - 4/1/ 2019.

- الأكراد والماردلية «ينتفضون» ضد المستقبل في بيروت - موقع النشرة اللبناني - علي ضاحي - 5/ايار / 2018.

- الجالية الكردية في لبنان - مؤسسة مؤسسة جياي كورمنج .

- أصول كرديّة في لبنان - كولان - دارا شيخي 5/8/2015.

**خاص:**

- شهادة حول واقع الأكراد في لبنان بقلم حنان عثمان؛ رئيسة رابطة نوروز الثقافية الاجتماعية في لبنان.

- شهادة من الصحافي السوري جوان سوز المقيم حاليا في فرنسا، والذي عاش لفترة طويلة في بيروت.

# العلاقات الكردية الكلدو- آشورية- السريانية

الباحث/ عبدالله شكاكي

## مقدمة

يعتبر الكلدان والآشوريون والسريان من الشعوب القديمة الذين استقروا في الجزء الجنوبي والأوسط من جغرافية ميزوبوتاميا- بلاد الرافدين، وقد عاشوا بجانب أسلاف الكرد من الگوتيين، واللولوبيين، والكاشيين، وشعوب سوبارتو من الخوريين وغيرهم سكان البلاد الباردة العليا في شمال ميزوبوتاميا لآلاف السنين، وينسب إليهم جميعاً حضارة ميزوبوتامياالذين شاركوا وأكملوا مع البناة الأوائل من السومريين الذين لم يثبت انتماؤهم العرقي حتى تاريخه.

يصنف بناة حضارة ميزوبوتاميا إلى مجموعتين رئيسيتين، وهما: المجموعة الزاگروسية التي تنتمي إلى شعوب جبال زاگروس- طوروس المكونة من: الگوتيين، واللولوبيين، والكاشيين، وشعوب سوبارتو أي كردستان القدماء، وقوامهم الخوريون الذين انضم إليهم فيما بعد الشعوب الآرية كالميتانيين والميديين، أما المجموعة السامية فهي التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية المكونة من: الأكاديين، والآموريين، والآراميين، أما الآشوريون وهم أيضاً من شعوب ميزوبوتامياوساهموا في بناء حضارتها فلم يثبت انتسابهم العرقي لأي من المجموعتين رغم سامية لغتهم حيث بقي مكان إقامتهم الأولى مجهولاً، يعتقد بعض المؤرخين أنهم من شعوب زاگروس لكن تبدلت لغتهم تحت تأثير اللغة الأكادية السامية.

## الكلدان:

كانت قبيلة شبه بدوية تعيش في المنطقة الجغرافية التي تقع جنوب مدينة بابل (عراق اليوم) وتدعى كلديا، وقد أخذت اسمها منها كونها استوطنتها لأول مرة، كما يدعى هذا الشعب أحياناً بـ"البابليين" نسبة لمدينة بابل التي كانت عاصمة الامبراطورية الكلدانية التي قامت إثر تحالفهم مع الميديين وقضائهما نهائياً على عدوهما المشترك وهي الامبراطورية الآشورية بعد تدمير عاصمتهم نينوى وذلك سنة ٦١٢ ق.م، وكان أشهر حكام بابل "نبوخذ نصّر" الذي تزوج من "ميداس" كريمة الملك الميدي "كي آخسار» تمتيناً للتحالف، وقد عمرت دولتهم حتى سنة ٥٣٩ ق.م، ثم اندثر اسمهم بعد وقوعهم تحت السيطرة الفارسية ثم الاسكندر المكدوني، وبعد السيطرة العربية الإسلامية اعتنق بعضاً من بقاياهم دين الصابئة أو الإسلام، وآخرون اعتنقوا المسيحية على المذهب النسطوري، وهم يتحدثون بلهجة آرامية شرقية تختلف عن السريانية التي هي الآرامية الغربية، ويشتهرون بالتنجيم وقراءة الكف وينتشرون في ولاية الموصل ويشكلون أكثر من نصف مسيحيي العراق..

## الآشوريون:

يعود ظهور الآشوريين على مسرح أحداث ميزوبوتاميا إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد، لكن حضورهم القوي يعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد إثر تأسيس إمبراطوريتهم بشكل فعلي، عندما أتخذوا من "آشور" إلهاً لهم وتسمّوا باسمه، وقد اتخذوا مدناً عدة عواصم لإمبراطوريتهم مثل: آشور، وشخنة (تل ليلان) ونينوى وحران، ومن ثم اصطدموا بالممالك الخورية- الميتانية وقضوا عليها في نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، حيث كانت منطقة الشرق الأوسط برمتها تحت سلطتهم، وقد سقطت الامبراطورية الآشورية سنة ٦١٢ ق.م على أيدي التحالف الميدي- الكلداني، ومن ثم اندثر الشعب الآشوري رويداً رويدا مع حلول القرن الخامس قبل الميلاد، وإن آخر عادياتهم الأثرية تعود إلى أعوام المائتين قبل الميلاد.

## حقيقة المكون الكلدو- آشوري الحالي:

بعد اندثار الممالك الآشورية- الكلدية عاش من بقي منهم إلى جانب الشعب الكردي تحت ظل الدولة الميدية الكردية، ومن بعدها تحت السيطرة الفارسية واليونانية والبارثية والرومانية والساسانية ثم البيزنطية المسيحية، وبعد السيطرة العربية الإسلامية دخل بعضهم إلى الدين الإسلامي للتخلص من الجزية، وكان قسماً منهم قد دخلوا المسيحية في وقت سابق.

استمرت الحياة المشتركة بين الكرد والمكونات المسيحية من الكلدو- آشور تحت مسمّى "النساطرة"، وقد وردت التسمية نسبة إلى الأسقف نسطوريوس الذي ولد في مدينة مراش الكردية وأخذ تعليمه الديني في

انطاكية، وقد طرد من مجمع أفسوس الديني سنة ٤٣١ م لخلاف ديني، لكنه فتح مدرسة دينية في الرها، وانتشرت أفكاره بين مسيحيي كردستان في المناطق الحدودية بين العراق وإيران وتركيا حسب التسمية السياسية الحالية، وعاشوا بسلام ووئام مع الكرد، إلى أن حدثت الحروب العثمانية الروسية، حيث حاول الروس جذبهم إلى جانبهم كما تغلغلت البعثات التبشيرية الكاثوليكية والبروتستانتية بينهم، التي كانت تحت غطاء جمعيات خيرية في بدايتها، ثم التبشير بالمذهبية المسيحية المغلفة بخلفية سياسية، وتمكنت الإرسالية الكاثوليكية من إعادة قسم من أتباع نسطوريوس إلى الكاثوليكية وهم «الكلدان»، كما انضم قسم منهم إلى الكنيسة الروسية الأرثودوكسية، أما القسم المتبقي من نساطرة كردستان فقد عجزت البعثات عن إخضاعهم فقد دعتهم بـ «الآشوريين».

يلحظ شبه تام بين الآشوريين والكرد في الخصائص الفيزيولوجية والسيكولوجية كالخشونة والروح الحربية، لكن لغتهم آرامية شرقية، وننوه حسب مقال كتبه موفق نيسكو أن معظم عوائل الآشوريين والكلدان الجدد يحملون ألقاب العشائر الكردية مثل: زيباري، برواري، سورجي، بارزاني، داسني، جيلو وغيرهم" كونهم يعيشون ضمن المناطق والعشائر الكردية، وربما بعضهم من أصول كردية اعتنقوا المسيحية، حيث لا تختلف عاداتهم وأزياؤهم عن الكرد.

كما ننوه أن ما نشر من قبل معظم الباحثين وأغلبهم مسيحيون، حول عدم صحة انتماء الآشوريين والكلدان الحاليين إلى الأثنية القديمة في بلاد الرافدين غير ذات أهمية، فالآشوريون أدرى بذلك، وطالما أنهم اختاروا الانتماء لذاك الشعب العريق بمحض إرادتهم يستوجب احترام توجههم.

**" يصنف بناة حضارة ميزوبوتاميا إلى مجموعتين رئيسيتين، وهما: المجموعة الزاغروسية التي تنتمي إلى شعوب جبال زاغروس- طوروس المكونة من: الكوتيين، واللولوبيين، والكاشيين، وشعوب سوبارتو، وقوامهم الخوريون والميتانيين والميديين، أما المجموعة السامية فهي التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية المكونة من: الأكاديين، والآموريين، والآراميين، أما الآشوريون وهم أيضاً من شعوب ميزوبوتاميا وساهموا في بناء حضارتها فلم يثبت انتسابهم العرقي لأي من المجموعتين رغم سامية لغتهم، ويعتقد بعض المؤرخين أنهم من شعوب زاغروس "**

## السريان:

يعتبر السريان من أقدم الطوائف المسيحية في الشرق الأدنى وللتسمية دلالة دينية- مذهبية وليست قومية حسب شهادة المطران الأسير يوحنا إبراهيم أثناء لقاء معه في نهاية القرن العشرين، حيث المؤرخون اليونان هم من أطلقوا تسمية السريان عليهم تمييزاً عن الآراميين الوثنيين، بعد أن تخلّوا عن أصولهم الآرامية الوثنية، لكنهم يتكلمون لهجة آرامية غربية متميزة عن اللهجة الشرقية التي يتكلم بها الآشوريون والكلدان الحاليين، كانت توجد طائفة كبيرة من السريان في جبال طور عابدين في ماردين شمال كردستان لكن أغلبهم هاجروا إلى سوريا ويتكلمون لهجة خاصة تدعى "طورية"، وكان أسلافهم الآراميين قد شكلوا عدداً من الممالك الصغيرة قبل الميلاد منها في حران و»بيت آغوشي» في

تل أرفاد شمال حلب، وقد دخلوا في صراع مع الحثيين والآشوريين والخلديين (سكان آرارات)، وأغلب السريان ينتسبون إلى الكنيسة السريانية الأرثودوكسية، لكن بعضهم تبنّوا الكاثوليكية بفعل التبشير الكاثوليكي، ويتواجدون في سوريا وفلسطين ولبنان وماردين وقليلاً في الموصل، كما لهم طائفة في الهند يرأسهم "مفريان" وهي مرتبة دون البطريرك، ويبلغ تعدادهم حوالي نصف مليون نسمة.

## الإرساليات المسيحية

كانت البعثات التبشيرية المدفوعة من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا قد باشرت أعمالها منذ سنة ١٨٢٠، بتقديم المساعدات الإنسانية للفقراء كالخدمات الطبية والمواد الغذائية والمؤسسات التعليمية تمهيداً لهدايتهم إلى الكاثوليكية أو البروتستانتية، حيث كان مسيحيو الشرق يعتنقون الأرثودوكسية، لكنها كانت تبيت خلف تلك الأعمال أهدافاً اقتصادية وسياسية واستراتيجية، وقد ركزت بداية على الطوائف الفقيرة من الدروز والمسيحيين من الأرمن والسريان في لبنان وسوريا وإيران والعراق، كما عمدوا في لبنان إلى الاهتمام بالثقافة العربية لتكون عصر النهضة المرتقبة مستندة على الطوائف المسيحية الموالية للغرب، لكن نشاط البعثات الأمريكية البروتستانتية كانت الأقوى لأنها كانت تحظى بدعم حكومي مباشر، حيث كان هوى الكاثوليك مع فرنسا والأرثودوكس مع روسيا، وقد بلغ عدد المؤسسات التبشيرية البروتستانتية الأمريكية أكثر من مائتي مؤسسة، وثلاثة وثلاثون مدرسة متنوعة إضافة إلى الجامعة الأمريكية في لبنان التي شيّدت من قبل جمعية البروتستانت، أما الجامعة اليسوعية فقد شيّدت من قبل جمعية الكاثوليك الفرنسية وكلاهما في بيروت.

## العلاقات الكردية مع الكلدو- آشور والسريان

عاشت المكونات المسيحية بسلام ووئام مع إخوانهم الكرد دون تمييز، وقد أشاد كثيرون من الرحالة الأوربيين أنه من الصعب التمييز بين الكردي وأحد المكونات المسيحية الأخرى من حيث العادات والتقاليد وحتى اللغة حيث أغلبهم يتحدثون الكردية مثل الكرد، ولم يلحظ أي تمييز أو خلافات دينية بينهم عبر التاريخ، حيث من المعروف أن الكرد وسطيون وبعيدون عن التطرف الديني، واستمر العيش المشترك بسلام حتى القرن التاسع عشر ويثبت ذلك كثيراً من القصص والملاحم الشعبية، لكن الأمور تغيرت بفعل العامل الخارجي وخاصة من قبل الروس والانكليز بعد اندلاع الحروب العثمانية- الروسية ومن بعدها الحرب الكونية الأولى.

بدأت التناقضات الأولى بين "الآشوريين" والكرد سنة ١٨٤٤ عندما كان الأمير بدرخان يتهيأ لثورة في وجه الدولة العثمانية بغية تشكيل دولة كردية مستقلة، مع أن الآشوريين كانوا يتمتعون بحقوق متساوية مثل الكرد لمئات السنين في كنف أمراء برادوست وبوتان وهكاري، وكان الآشوريون قد نالوا حظاً أكبر من القهر والظلم الاجتماعي والديني من الدولة العثمانية، لكنهم ظهروا كمعارضين لثورة بدرخان بگ التي اندلعت سنة ١٨٤٧، وربما كان السبب عدم اكتراث بدرخان بهم ولم يدعوهم للانضمام إلى الثورة ويطمئنهم على حقوقهم، وقد استغل الانكليز والأمريكان هذه الثغرة بتحريضهم لمعارضتها، من خلال البعثات التبشيرية في أورميه وعن طريق رئيسهم البطريرك "مار شمعون بنيامين"، ولذلك أعلن الآشوريون راية العصيان في قرية "تيارى" على أمير هكاري وحركة بدرخان بگ، وامتنعوا عن دفع الضرائب العادية المستحقة وتحصنوا في قلعة تيارى، بعد أن تمكنوا من الاستحواذ على الأسلحة اللازمة من الانكليز.

وفي خطوة أخرى أعلنوا عن قيام دولة مستقلة انطلاقاً من قلعة تيارى". وأشهروا سلاحهم في وجه بدرخان لإضعافه وإخماد ثورته، حيث كان الانكليز يريدون إفراغ إقليم هكاري من الكرد وجعله منطقة آشورية ذات حكم ذاتي، كما كان الانكليز والأمريكان يعملون لتحجيم الدور العثماني من خلال تأليب مكونات المجتمع العثماني على بعضها وليس مساعدتها.

وبسبب الضغط الذي مارسه بدرخان على الآشوريين أجبر مار شمعون ورجاله إلى الفرار نحو الموصل، وإلقاء أنفسهم في حضن الباشا العثماني ولم يكن هذا لصالحه، مع أن الدكتور گرانت رئيس البعثة البروتستانتية حاول إجراء المصالحة بينهما لكنه فشل في مسعاه بسبب تعنت بدرخان، وقد وقع خبر تشتيت القوة الآشورية وقع الصاعقة على ضابط الارتباط الانكليزي "سير ستراتفورد كولينگ»، حيث أبرق إلى السلطان عبد المجيد طالباً منه إرسال نجدات عسكرية سريعة لأن الكرد سيعلنون عن قيام دولة كردية مستقلة، كما تحرك «ستيڤن» القنصل الانكليزي في مدينة سامسون التركية نحو الموصل، حيث مارس ضغطاً على الباشا العثماني للتدخل الفوري ولجم حركة بدرخان، لكن الباشا لم يحرك ساكناً.

لكن الملفت أنه بعد مرور سبع سنوات على التناقض الكردي- الآشوري اندلعت انتفاضة يزدان شير سنة، وقد شارك الآشوريون إلى جانب المنتفضين الكرد بحماس سنة ١٨٥٤، ويشير هذا إلى أن يزدان شير استوعب الخطأ الذي وقع فيه بدر خان وتجاوزه، لكن بريطانيا تحركت فوراً واعتبرت تحرك يزدان شير تهديداً لمصالحها وتعاظماً للدور الروسي، حيث تمكنت بألاعيبها من إجهاض الانتفاضة.

أما في انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري سنة ١٨٨٠ مع أن قائدها شيخ ديني مسلم، فقد أيدهم الآشوريون أيضاً وعلى رأسهم البطريرك مار شمعون السابق ذكره ووقف مؤيداً إلى جانبه، حيث كان عبيد الله لا يفرق بين المسيحيين والكرد ويزور كنائس الأرمن والآشوريين، لكن التقارب الكردي- الآشوري أقلقت بريطانيا مجدداً، التي كانت تريد من الآشوريين قمع الانتفاضات الكردية والوقوف إلى جانب الدولة العثمانية وحماية المصالح البريطانية، كما كان الانكليز يلعبون دوراً عدائياً عند حدوث أي تقارب بين الكرد والأرمن أيضاً، ولما وصلت قوات الانتفاضة إلى مدينة أورميه وعلم الانكليز بانضمام ثلاثمائة مسلح آشوري إليها، تمكنوا من تحييد الأرمن والآشوريين والحيلولة دون انضمامهم إلى انتفاضة الشيخ عبيد الله.

## العلاقات الكردية- المسيحية إبان الحرب الكونية الأولى

عمل الأتراك بغية التحرر من قبضة الانكليز والروس وبناء العالم الطوراني اعتماداً على ألمانيا، ومع بدء توغل الجيش الروسي في جنوب القوقاز وهجوم الجيش البريطاني على البصرة والزحف شمالاً أصبحت كردستان في أتون الحرب، وكان لا بد من إقحام الكرد إلى أحد طرفي الحرب، وبسبب اصطفاف المسيحيين من الأرمن والآشوريين إلى جانب الحلفاء (الروس والانكليز وفرنسا) أو ما سمي بـ"الجبهة المسيحية»، مع وعود بمنحهم دولاً مستقلة، لم يبق أمام الكرد خيار سوى الاصطفاف إلى الجانب العثماني ودخول الحرب رغماً عنهم، لأن الكرد لم يتمكنوا من عقد صداقات مع الروس والانكليز بسبب غياب تنظيم يجمعهم من جهة، وعدم استساغة الانكليز والروس لصداقة الكرد ربما لأسباب دينية، وإن العلاقات التي عقدت معهما لم تتجاوز مستوى التكتيك في أحسن الحالات، وكانت علاقاتهم مع المسيحيين كذلك بالنمط نفسه، فالعثمانيون كانوا يرون في المسيحيين العدو الأول يليهم الكرد، في حين كان الروس والانكليز يرون في الكرد العدو الأول يليهم

المكونات المسيحية. وقد كتب الدبلوماسي الروسي چاخوفسكي: تريد روسيا إبادة جميع المسلمين، في حين كان العثمانيون يريدون إبادة جميع المسيحيين.

فرض التنسيق العسكري بين الحليفين الروسي والبريطاني فتح طريق تواصل بين جيشيهما إبان الحرب، أي بين البصرة وجنوب القوقاز وهذا يمر عبر كردستان، بغية إيصال الذخائر والمؤن حين الحاجة، ولم يكن اختيار هذا الطريق عبثاً حيث يوجد على أطرافه جيوب مسيحية من الأرمن والآشوريين والكلدان والسريان، ولذلك جاهدتا مسبقاً لخلق جبهة مسيحية بين القوقاز وولاية الموصل التي تضم كافة جنوب كردستان ومن ضمنها الشعوب المسيحية، وقد قامت الدولة العثمانية من جانبها بالمثل إلى خلق جبهة إسلامية موازية قوامها اللاز والشركس والكرد والعرب، مستغلة العواطف الدينية الإسلامية، وعندما زحف الجيش الروسي نحو كردستان أبدى مسلحو حزب الطاشناق الأرمني استعدادها للتعاون مع الروس، أما الآشوريون الذين كانوا في حالة التردد، لكن بعد الضغط الروسي على البطريرك «مار شمعون" في أورميه، انضمت ميليشياتهم مكرهة إلى الجيش الروسي، بعد وصوله إلى بلدة «باشقلة» القريبة من مدينة «وان»، وكان الآشوريين أيضاً يحلمون بتأسيس كيان سياسي يجمعهم في أورميه.

لانعدام تنظيم جامع للكرد أبدت بعض العشائر الكردية تعاونها مع الروس كالعشائر المكرية، في حين تعاون الشكاكيون مع العثمانيين، وبالتالي حدث عداء بين المسلمين والمسيحيين من جهة، وبين الكرد أنفسهم وخاصة من الشيعة والسنة من جهة ثانية، حيث نتج عنها حرق عشرات القرى ومقتل آلاف الكرد في أطراف مدينتي أورميه وسلماس، وإعدام رئيس عشيرة مكري من قبل العثمانيين واعتقال سمكو خان رئيس عشيرة شكاك من قبل الروس ونفيه إلى جورجيا، لكن الكرد الذين تحالفوا مع الشركس واللاز إلى جانب العثمانيين تمكنوا من طرد القوات الروسية واستعادة مدينتي وان و أورميه، وبالتالي كانت التحالفات المسيحية والإسلامية بمثابة كارثة حلت على شعوب ومكونات كردستان التي انشقت على بعضها بفعل العامل الخارجي في الحرب الكونية الأولى، حيث عمدت تركيا إلى تفريغ البلاد من الطوائف المسيحية وإذلال الكهنة وتحويل الكنائس إلى مساجد بدعوى نصرة الهلال.

## العلاقات الكردية المسيحية بعد الحرب الكونية الأولى:

أثناء الاحتلال الروسي لأورمية وسلماس مركز عشائر الشكاك هاجرت عدداً من العشائر الآشورية من اقليم هكاري ربما بتوجيه من زعيمهم «مار شمعون»، بعد أن حنثت روسيا بوعودها تقديم الأسلحة إليهم، لكنهم تسلموا الأسلحة من الجيش الروسي فور وصولهم إلى أورميا، وبانسحاب الروس منها سنة ١٩١٧ إثر قيام ثورة لينين كان بإمرة مار شمعون خمسة آلاف مسلح، حيث كان يعمل لتأسيس كيان سياسي مستقل في أورميه وسلماس، ولكون غالبية سكانهما من عشائر الشكاك الكردية فقد دعا زعيمهم سمكو خان البطريرك مار شمعون إلى قرية قريبة من سلماس للحوار وحل الخلاف ووأد الفتنة، وأثناء الحوار تعرض مكان الاجتماع لوابل من الرصاص قتل على إثرها البطريرك مار شمعون وبعضاً من حراسه، وكان هذا الحادث بداية القطيعة والعداوة بين الآشوريين والكرد، حيث اتّهِمَ سمكو خان بتدبير المؤامرة، لكن سمكو نفاها وردَّ التهمة إلى جماعة البطريرك، وبقي الحادث لغزاً لدى المؤرخين حتى اليوم، وربما كان الحادث مفتعلاً من قبل جهة أجنبية مثل روسيا أو بريطانيا أو تركيا حيث لهم مصلحة في ذلك.

**وبالتالي لم يكن مشروع التبشير الكاثوليكي أو البروتستانتي ومن بعدها تشكيل الجبهة المسيحية إبان الحرب الكونية الأولى من أجل حماية المسيحيين أو تأمين أية حقوق سياسية لهم، وإنما كان من أجل تأليب الشعوب العثمانية وخاصة الكرد والمسيحيين على بعضهم وتفتيتهم، حيث كانت مصلحة جميع الدول المتدخلة في الحرب وخاصة بريطانيا وروسيا تحجيم الدولة العثمانية والسيطرة عليها وليس إزالتها، وإن مسألة حق تقرير المصير للشعوب حسب ما دعي "مبادئ ويلسون أو لينين"، وتقديم بعض المساعدات الغذائية والطبية أو العسكرية لم تكن سوى ذر الرماد في العيون، سواء بالنسبة للكرد أو الأرمن أو شعوب الكلدو آشور والسريان، وتستمر تلك السياسة نفسها حتى اليوم، بغية استثمار الشعوب المغلوبة على أمرها وابتزاز الدولة التركية، ومثالها الحي وثيقة سيڤر التي ولدت على أيديهم ميتة بعد أن أقرت بعض الحقوق للجميع، وكذلك ما يحدث الآن في شمال وشرق سوريا، حيث يعيش الكرد والمكونات المسيحية معاً بسلام ووئام بعد تضمين الحقوق الثقافية والدينية للجميع، حيث تم إطلاق الشيطان التركي بدعم من الدول الكبرى من أجل تدمير ما تبقّى من ثقافة وحضارة شعوب الشرق الأوسط، لتستغلها تلك الدول لمصالحها الاقتصادية والسياسية.**

## المراجع :


- د بهنام ابو الصوف، جدل الهويات ما بين سكان العراق القديم (الاشوريون والكلديون ) و سكان العراق الحديث (الاثوريون والكلدان ).

- د. طه باقر , مقدمة في تاريخ الحضارات , الاشوريين واصولهم.

- رياض رشيد ناجي الحيدري , الاثوروين في العراق 1918- 1936

- شرف د.جورج ، من روسيا حتى قره باخ صراع القوميات في دول آسيا الوسطى والقوقاز ، مركز الدراسات الأرمنية بيروت 1998

قره مان عبدالله، وطن الشمس، الجزء الثالث، دار شلير قامشلو 2017.

- يوسف ملك خوشابا حقيقة الاحداث الاثورية المعاصر.

- موقع العراق- مقال موفق نيسكو.

بالكردية: Bozarslan Zekî, Nêrînek li dîroka Kurdistanê, weŞana Doz, çapa yekê, Îstanbol 2004

نموذج عن الإبادة الثقافية: كنيسة أرمنية في الحي الأرمني بمدينة عينتاب، يشير آثار نقش كتابي إلى تأسيسها سنة 1894 وأزيلت الكتابات الملحقة كما أزيل كل أثر يشير إلى المسيحية، استعمل المبنى كمستودع حتى سنة 1961 ثم أصبح مركزاً للشرطة، وبعدها مكباً للنفايات، وفي عهد الرئيس التركي تورگوت أوزال تحولت إلى جامع، بعد إضافة وصلة على برج الناقوس لتغدو مئذنة ودعي "KurtuluŞ Cami" ويعني جامع التحرير، ومع ذلك بقيت معالم الكنيسة ودلالاتها العامة واضحة للعيان.

# المأساة المستمرة وتحول اليمن إلى بلد الأطلال والأشباح

عبدالله الدهمشي

لم يكن برنامج الغذاء العالمي مبالِغاً حين حذّر في تقرير الجوع العالمي عام 2018م من تحوّل اليمن إلى بلد الأشباح الحية، فهذا البلد الذي كان يُسمى بالعربية السعيدة، فقدَ كل مقومات الحياة والتنمية منذ أن عصفت به الأزمة الشاملة في العام 2011م، وأكلته الحروب الطاحنة منذ العام 2014م.

لا تتوقف المأساة اليمنية عند فصول القتل والتدمير اللذين أحدثتْها حروب الداخل والخارج، بل تمتد إلى المستقبل بما فرضتْه حتى العام 2019م، من تراجع التنمية البشرية إلى عشرين عاماً، وحاجة اليمن إلى عقودٍ لاسترداد ما كان عليه من تنمية حتى العام 2014م وفقاً لتقرير البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة.

فالحالة اليمنية وفقاً لتقارير دولية تُعدّ من أكثر النزاعات تدميراً منذ نهاية الحرب الباردة, إذ لم تتعطل التنمية البشرية بل تراجعت إلى الوراء في ظلّ وضع مأساويّ مفتوح على الاستمرار بسبب استعصائه على الحسم العسكري أو الحلّ السلمي بتسوية سياسية محتملة في آن.

ويمكن تقدير حجم المأساة اليمنية بما ورد في تقارير للأمم المتحدة تتحدث عن أن ٧٥ ٪ من اليمنيين بحاجة للمساعدة والإغاثة لمجرد البقاء على قيد الحياة, ومن المثير للأسى أنّ هذه المأساة التي تُعدّ أسوأ مأساة إنسانية لا نظير لها في عالم اليوم, قد ابتدأت من انقلاب العصابة الحوثية المسلحة على الشرعية السياسية التي كانت قائمة في اليمن عام ٢٠١٤م.

ويمكننا هنا تقديم رؤية تقييمية موجزة للمأساة الإنسانية في اليمن من خلال عرض إيضاحي لبعض مظاهر المأساة وتداعياتها في النقاط المرتبة إجرائياً كما يلي:

## أولاً- الجهات المتورطة في صناعة المأساة:

تتحمل العصابة الحوثية كامل المسؤولية عن صناعة المأساة اليمنية, لأنها فرضت على الدولة والمجتمع مواجهة مسلحة استدعت الخارج, وجعلت اليمن كله مرتهَناً للتجاذبات الإقليمية في المحيط الخارجي, ومع ذلك, فإنّ جهات أخرى تشارك العصابة الحوثية في تحمل المسؤولية عن هذه المأساة واستمرارها وانفتاحها على جحيم لا يتوقف عن خلق الكثير من الويلات التي يصطلي بنيرانها شعب اليمن.

فالحكومة اليمنية المعترَف بها دولياً, تتحمل قسطاً وافراً من هذه المسؤولية عن المأساة اليمنية المفتوحة على الجحيم نظراً لعجزها عن إدارة المناطق المحررة بصورة تعيد للاقتصاد المعيشي عافيته وتتكفل باستثمار الموارد في تحريك مفاتيح التنمية البشرية.

والتحالف الداعم للشرعية اليمنية والذي تقوده السعودية يتحمل جزءاً من هذه المسؤولية, بسبب مسؤوليته عن الحصار الذي يتسبب في جزء من هذه المأساة وعجزه عن توجيه التمويل المالي في مناشط تنفع الناس.

أصبحت الأمم المتحدة بكل منظماتها شريكة في صناعة المأساة اليمنية واستمرارها, نظراً لفشلها المستمر منذ العام ٢٠١١م في إدارة الأزمة اليمنية والتحكم بمساراتها وتعقيداتها التي وصلت باليمن إلى الموت والدمار, بل إنّ الأمم المتحدة متورطة الآن في المتاجرة بالمأساة اليمنية, من خلال فساد منظمات المساعدة الإنسانية والمنظمات الإغاثية.

غير أنّ المسؤولية عن المأساة الإنسانية في اليمن تعود إلى الأطراف اليمنية نفسها التي عجزت عن إدارة الأزمة بصورة إيجابية, وقدمت كلّ ما يساهم في تحوّلها إلى مأساة, وفي استمرارها كمأساة إنسانية لا مثيل لها في تاريخ العالم المعاصر.

## ثانياً- تجليات الوضع المأساوي الإنساني:

وفقاً لتقارير دولية, فإن إجمالي الخسائر المقدّرة مادياً تصل إلى ٨٨,٨ مليار دولار, بينما يصل عدد القتلى والذين توفّوا بسبب الأوبئة, وانعدام الرعاية الصحية إلى ٢٥٠ ألف قتيل وحالة وفاة, ومئة ألف جريح بالإضافة إلى ٣٠ ألف

أسير ومعتقل.

**تتحدث تقارير الأمم المتحدة عن أن ٧٥٪ من سكان اليمن بحاجة إلى المساعدات والإغاثة للبقاء على قيد الحياة، وقدرت منظمة الأغذية العالمية نسبة الذين يعانون من انعدام الأمن الغذائي بواحد من كل يمنيين اثنين، وفي تقرير الجوع العالمي كانت اليمن واحدة من أسوأ معدّلات سوء التغذية في العالم, وقد توزع سكان اليمن في المراحل الخمس لمؤشرات الجوع في العالم كالآتي:**

٣,٤٣٧ ملايين نسمة في الحدّ الأدنى للأمن الغذائي:

٦,٣٢٣ ملايين من السكان في شدة.

١٠,٢٣٩ ملايين من السكان في أزمة.

٩,٦٤٧ ملايين من السكان في حالة طوارئ.

٠,٢٣٨ ألف من السكان في وضع كارثي.

وبلغت تقديرات التقارير الدولية للنازحين في الداخل في فبراير ٢٠١٩م، حوالي ٣,٦٥ ملايين، ولا يُعترف دولياً بوضع اليمنين في حالة لجوء، لذلك فإن الكثيرين نزحوا من اليمن خاصة إلى السعودية التي استقبلت ما يزيد عن المليون يمني, وتستقبل كل من مصر والأردن وتركيا قرابة المليون أيضاً وفق تقديرات غير رسمية.

وقد أدى توقف صرف مرتّبات الموظفين إلى تزايد حدة المأساة الإنسانية، وتدهور الوضع المعيشي لأكثر من ٢١,٧ مليون يمني واجهوا تحدّيّات البقاء أحياء بالمدخرات التي تآكلت مع الاستمرار في الحرب، وفقدان الريال اليمني قيمته في السنوات الأربع الماضية، وكان الأطفال هم الضحايا الذين تأثروا بشدة من الوضع الإنساني المأساوي، حيث بلغ عدد الأطفال الذين يعانون من سوء التغذية الحادّ والوخيم قرابة ٣٦٠ ألفاً في تقرير لليونيسف صدر بإبريل ٢٠١٩م.

وتواصلُ الميليشيات الحوثية تجنيد الأطفال

والزجّ بهم إلى الجبهات، مقابل توفير وجبات الغذاء للمجندين من الأطفال الذين بلغ تقدير عددهم في العام ٢٠١٨م (٤٠٦٥) حالة تجنيد، بينما بلغت ٨٤٢ حالة في مكونات تحالف الشرعية.

## ثالثاً- فساد المساعدات الإنسانية:

على الرغم من الدور الإيجابي الذي تؤديه منظمات الإغاثة الإنسانية للتخفيف من حدة المأساة الإنسانية في اليمن، إلّا أنّ عمل هذه المنظمات قد وقع تحت طائلة الفجوة التمويلية وآليات الفساد ومحاولات الحوثيين عرقلة وصول المساعدات الإنسانية إلى محتاجيها.

ففي العام ٢٠١٧م وصل حجم التمويل المالي للمساعدات الإنسانية حوالي ١,٥مليار دولار، وفي العام ٢٠١٨م وصل إلى ٢,٥ مليار، وفي فبراير عام ٢٠١٩م، قدّم مؤتمر المانحين ٢,٦ مليار دولار لم يصل منها حتى يونيو (حزيران) سوى ٨٤٠ مليون دولار.

وتُقدّر الفجوة التمويلية للمساعدات الإنسانية بـ ١,٧٥ مليار دولار للأمن الغذائي والتغذية، و٣,٣٥ مليار لخطة الاستجابة الإنسانيّة، مع ضمان دفع مرتبات الموظفين، وتشغيل المخزون من العائدات النفطية.

هذا وتواجه المساعدات الإنسانية عراقيل شتّى؛ منها محاولات الحوثيين التحكّم بتوزيعها، وتوظيفها لصالح المجهود الحربي، بالإضافة إلى فساد الصفقات التي تنفذّها المنظمات الإغاثية، حيث تم اكتشاف صفقات أدوية منتهية الصلاحية، وصفقات أغذية فاسدة، وغير ذلك من آليات الفساد التي جعلت من الأوضاع الإنسانية المأساوية في اليمن سوقاً للمتاجرة والاستثمار.

## خاتمة - المأساة اليمنية استمرار ومضاعفات:

لا يبدو في الأفق القريب أي مؤشرات دالة ولو على وجه الاحتمال على قرب نهاية المأساة الإنسانية في اليمن, حيث يستمر القتال دون حسم وتتعطل مسارات التسوية على كل صعيد.

وحين يفتقر من حوالي ٢٤,٣ مليون يمني ٩٠٪ من إلى الكهرباء، وتتدهور الخدمات الصحية وخدمات المياه والمجاري في معظم المحافظات اليمنية، فإنّ اليمنيين ينتظرون الموت بالأوبئة والأمراض، والمجاعة، بالإضافة إلى القصف والألغام.

وما يضاعف من حجم المأساة اليمنية؛ هو أن استمرار الحروب لا يعطل فقط التنمية البشرية، بل يهدم منجزات هذه التنمية التي ظفر بها شعب من أفقر البلدان العربية في العقود الماضية، حيث تم تدمير البنى التحتية، والمنشآت الإنتاجية خلال سنوات الحرب والصراعات العنيفة.

ويقول تقرير أعدّه فريق من الباحثين في جامعة ونفر الأمريكية ونُشر في أبريل - نيسان ٢٠١٩م:

- إن معدّل التراجع في معدّل التنمية سيبلغ ٢٦ عاماً إذا استمرت الحرب حتى عام ٢٠٢٢م، وإن ٧١٪ من سكان اليمن سيعيشون في فقر مدقع، وستزداد الوفيات غير المباشرة الناجمة عن غياب القدرة الشرائية وغياب الرعاية الصحية وخدمات البنية التحتية، حتى تزيد عن خمسة أضعاف الوفيات المباشرة في الحروب.

# الإرهاب أحد ظواهر الاضطراب السياسي في العصر الحديث

الدكتور أنمار نزار الدروبي

**مقدمة**

تُعد ظاهرة الإرهاب من مظاهر العنف الذي تفشت في عالمنا العربي، والإرهاب ظاهرة راهنة، وإن كانت تعود إلى الماضي، لكن خطورتها أصبحت شديدة في ظل العولمة، ولها تجاذبات داخلية وخارجية، عربية وإقليمية ودولية، لأنّ الإرهاب أصبح عالمياً وهو موجود في مجتمعات متعددة ولا ينحصر في دين أو دولة أو أمة أو شعب أو ثقافة أو هوية أو منطقة جغرافية، وإن اختلفت الأسباب باختلاف الظروف والأوضاع، لكنه لا يقبل الآخر، ولا يعترف بالتنوع، ويسعى إلى فرض الرأي بالقوة والعنف والتسيّد.

لم تعد ظاهرة الإرهاب تقتصر على جماعات محدودة، بل إن تهديدها وصل إلى أساسات الدولة والهوية وتحديداً في مجتمعاتنا التي غالباً ما تلجأ إلى العنف في حلّ الخلافات؛ الأمر الذي يحتاج إلى حوار فكري وثقافي ليس بين الشرق والغرب فحسب، بل بين أتباع الديانات والثقافات المختلفة. وإذا كانت منطقتنا العربية وشعوبنا الأكثر اتهاماً بالتطرف والإرهاب فإنها الأكثر تضرراً منه، بيد أنها دفعت الثمن وبشكل كبير من هذه الظاهرة, ثم إن الظاهرة أصبحت ترتبط بعوامل اجتماعية وسياسية وثقافية وتكنولوجية أفرزتها التطورات السريعة المتلاحقة في العصر الحديث. فقد شهدت السنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين تصاعداً ملحوظاً في العمليات الإرهابية والحدّ منه، خاصة بعد اعتماد هذه الظاهرة على الأجهزة التقنية والمعدّات الحديثة واستغلالها في تنفيذ الجرائم الإرهابية. ورغم استفحال الظاهرة وازدياد الاهتمام بها، إلّا أنه لم يتم التوصل إلى تعريف محدد لعناصرها وخصائصها وسماتها المميزة، ورغم المحاولات العديدة في هذا الشأن، حيث أنه من الملاحظ رواج مفهوم الإرهاب بالمعنى العام دون تحديد تعريف جامع مانع له.

لقد أدت إشكالية غياب تعريف محدد ومتفق عليه عن الإرهاب إلى افتقاد العديد من قوانين مكافحة الإرهاب للفعّالية، ما يُبقي الباب مفتوحاً لكلّ الدول لكي تضع لنفسها التعريف الأكثر ملاءمة لمصلحتها السياسية والاجتماعية والأمنية والاقتصادية, بعيداً عن أيّ صيغة متّفق عليها. لكن يبقى موضوع الإرهاب محور صراع مرير بين بلدان العالم الثالث، والبلدان الغربية.

## أهداف البحث

تهدف الدراسة بصفة عامة إلى إيجاد تعريف دقيق وموحد لظاهرة الإرهاب، ومعرفة الأسباب والدوافع للظاهرة، وكذلك بيان الجهود الدولية لمكافحة الإرهاب سواء عن طريق المنظمات الإقليمية والدولية، أو عن طريق الاتفاقيات الدولية والتشريعات الوطنية، ووضع السبل الكفيلة والحلول الناجعة للقضاء على هذه الظاهرة المدمرة. إن القضاء على ظاهرة الإرهاب بمختلف أشكالها وصورها وأساليبها المتنوعة، أمرٌ مربوط في المقام الأول بالوقوف على الأسباب والدوافع الكامنة وراءه، إلى جانب تحديد أهم وأبرز الآثار المترتبة على هذه الظاهرة، الأمر الذي يُعد سبباً مهماً لدفع الدول والمنظمات الدولية والإقليمية إلى العمل بكل ما أوتيت من قدرات وإمكانات لمحاربة هذا المرض اللعين. إنّ التعاون العربي لمكافحة ظاهرة الإرهاب والتطرف في الوطن العربي لم يتمكن حتى الآن من الارتقاء إلى مستوى التحديات الأمنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تشكلها ظاهرة الإرهاب والتطرف التي تجتاح المنطقة العربية منذ عدة سنوات, مما يجعل المنطقة مرشحة لمزيد من التدخلات الأجنبية بحجة مكافحة الإرهاب. ورغم كل المساعي وجهود المجتمع الدولي لقمع الأعمال الإرهابية والحد من تناميها, إلا أن اختلاف الرؤى والمصالح السياسية والاقتصادية للدول انعكس سلباً على فعالية مكافحة الظاهرة والحدّ من تنامي مخاطرها، ما يسمح بالقول إن غياب تعريف دقيق وموحد للإرهاب هو نتاج هذا الاختلاف الذي يعيشه المجتمع الدولي اليوم.

## مشكلة البحث

لقد أصبح الإرهاب أكبر التحديات وأخطرها والتي تواجه الحكومات الساعية إلى الاستقرار الوطني والإقليمي والدولي على حدٍ سواء، فهو عقبة رئيسة أمام تنمية وتطور الشعوب، لذا فقد أدركت الدول والمنظمات الدولية مدى ما يشكله الإرهاب من خطر واضح منذ ثلاثينيات القرن الماضي، وقد كرّست كافة الدول والمنظمات الدولية الجهد الكبير من أجل التعاون فيما بينها من أجل محاربة ومكافحة الإرهاب، الأمر الذي يدعو إلى ضرورة البحث فيما

يقف وراء هذه الظاهرة، والآثار والتداعيات التي تترتب على ظاهرة الإرهاب بأشكاله وصوره المختلفة.

## منهجية البحث

اعتمدتُ في البحث على المنهج الوصفي والذي يقوم على دراسة الواقع الذي قد يفيد القائمين على التعامل مع ظاهرة الإرهاب، الأمر الذي يؤدي إلى محاصرة ظاهرة الإرهاب بكل أشكالها وصورها، ووضعها تحت السيطرة ومن ثمّ الحد من تداعياتها وآثارها المختلفة.

## حدود البحث

تمت معالجة هذا الموضوع في إطار حدودٍ مكانية وأخرى زمنية، فالحدود المكانية تمثلت بأن الإرهاب له تجاذبات داخلية وخارجية، عربية وإقليمية ودولية وصولاً إلى أن أصبح التطرف حالة كونية، أما الحدود الزمنية تعود إلى نشأة ظاهرة الإرهاب في العالم وازدياد ظهورها في ظل العولمة.

## أهمية البحث

إزاء خطورة هذه الظاهرة وما يمكن أن يترتب عليها من نتائج وآثار، كان من الضروري على الباحثين والمهتمين بأبحاث العنف على وجه العموم، وأبحاث الإرهاب على وجه الخصوص أن يكرّسوا جهودهم من أجل إلقاء الضوء على هذه الظاهرة الخطيرة، توضيحاً لطبيعتها وتأصيلاً لجذورها، وتنقيباً عن روافدها وبحثاً عن دوافعها ومثيراتها، وتحليلاً لأسبابها للوقوف على مكامن الخطر، سعياً للعلاج واتخاذ ما يلزم للحدّ من خطورتها، أو بالأحرى القضاء عليها، وإذا كانت المؤسسات البحثية في معظم الدول الغربية قد قطعت شوطاً كبيراً في هذا المضمار، فإن الساحة العلمية العربية ما تزال خالية من الأبحاث والدراسات العلمية والقانونية الدقيقة، التي تتناول هذه الظاهرة بالدراسة والتحليل والتقويم، باستثناء بعض الدراسات التي تُعتبر محاولاتٍ قليلة ظهرت في الآونة الأخيرة لتمثل تطوراً ملموساً في اتجاه البحث العلمي العربي لهذه الظاهرة.

> **"إذا كانت منطقتنا العربية، وشعوبنا الأكثر اتهاماً بالتطرف والإرهاب، فإنها الأكثر تضرراً منه، بيد أنها دفعت الثمن وبشكل كبير من هذه الظاهرة، ثم أنّ هذه الظاهرة قد أصبحت ترتبط بعوامل اجتماعية وسياسية وثقافية وتكنولوجية أفرزتها التطورات السريعة المتلاحقة في العصر الحديث، فقد شهدت السنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين تصاعداً ملحوظاً في العمليات الإرهابية والحدّ منه"**

## فروض البحث

**استندت الدراسة إلى عدة معطيات واقعية وفكرية في تفسير ظاهرة الإرهاب والسعي لمعالجة هذه الظاهرة ضمن إطار فكري وسياسي وهي:**

١. التمييز بين الإرهاب وبين العنف السياسي.

٢. المواجهة الإسلامية للإرهاب، حيث أن الإسلام يحارب الإرهاب بقوة وحزم.

٣. تناول ظاهرة الإرهاب بمختلف مظاهره ومستوياته والمتمثلة بالإرهاب الفردي، وإرهاب الدولة، والإرهاب الدولي، الإرهاب الثوري، الإرهاب العرقي والطائفي، الإرهاب النفسي، وأخيراً الإرهاب الفكري.

## خطة البحث

تتكون خطة البحث عن ظاهرة الإرهاب فصلين: الفصل الأول يتضمن مبحثين: الأول بعنوان تعريف ظاهرة الإرهاب وسيتضمن مطلبين، المطلب الأول هو: تعريف ظاهرة الإرهاب لغوياً

واصطلاحياً. والمطلب الثاني: سنتطرق فيه إلى ظاهرة الإرهاب وتطورها. أما المبحث الثاني فيتضمّن مطلبين. الأول يتحدث عن أشكال الإرهاب. والمطلب الثاني سنتطرق فيه إلى الخصائص المميزة للإرهاب.

وبخصوص الفصل الثاني فسنتناول فيه موضوعاً يتعلق بأسباب الإرهاب وأهدافه وطرق مكافحته. ويتضمن مبحثين. المبحث الأول سنتطرق فيه إلى أسباب ظاهرة الإرهاب وفيه مطلبان؛ الأول يتحدث عن دوافع ظاهرة الإرهاب. والمطلب الثاني. سنتطرق فيه إلى أبرز دوافع الإرهاب في الوطن العربي. وبخصوص المبحث الثاني فسيكون عن الآثار الناجمة عن جريمة الإرهاب وطرق مكافحتها. وفيه مطلبان؛ الأول سيكون عن الآثار الناجمة عن جريمة الإرهاب. وأما المطلب الثاني. فسنتناول فيه استراتيجيّة مكافحة الإرهاب. وسيكون عن دور المنظمات الدولية والإقليمية لمكافحة ظاهرة الإرهاب. بالإضافة إلى والدور العربي لمكافحة هذه الظاهرة.

## مفهوم الإرهاب الدولي ونشأته

**المبحث الأول يشمل تعريف ظاهرة الإرهاب الدولي وسنتناول فيه مطلبين هما:**

المطلب الأول: تعريف ظاهرة الإرهاب لغوياً واصطلاحياً.

المطلب الثاني: نشأة ظاهرة الإرهاب وتطورها.

### المطلب الأول:

### تعريف ظاهرة الإرهاب لغوياً واصطلاحياً

بالرغم من قِدَم ظاهرة الإرهاب. إلا أنه لا يوجد اتفاق حول مفهومه. سواء على المستوى الأكاديمي أو على مستوى العمل الدولي. وهذا يرجع إلى اختلاف البنى الثقافية والعوامل الإيديولوجية والنظرية التفسيرية المتصلة بالمصطلح. بمعنى أنه ما يُعدّ عملاً إرهابياً من وجهة نظر دولة معينة أو مجتمع معين. ليس بالضرورة أن يكون عملاً إرهابياً من وجهة نظر دول أخرى أو مجتمع آخر. وقبل التطرق إلى تعريف الإرهاب لا بدّ من التعرف على المعنى اللغوي لكلمة الإرهاب وهو» إخافة الغير». والإرهابيون وصف يُطلق عل الذين يسلكون سبل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية عادة»(١).

وجاء تعريف الإرهاب في اللغة والاصطلاح: «هو كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أياً كانت بواعثه أو أغراضه, ويقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر, أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر»(٢).

فكلمة الإرهاب من الناحية اللغوية كما نجدها في اللغة العربية مأخوذة من الفعل الماضي رهب بالكسرة والفعل المضارع يرهب رهباً وتعني الخوف مع حَرَز واضطراب (٣).

أما من الناحية القانونية فقد عُرف الإرهاب بأنه «أسلوب من أساليب الصراع يُقصد من ورائه استخدام صورة من صور القتال غير المباشر بهدف تحييد حركة أو إرباك وإذعان الحكومة لمطالب أو جهة معينة, ولفت انتباه الوسائل لحشد الرأي العام حول قضايا تلك الفئة في سبيل تحقيق مطالبهم. فعبر ممارسة الإرهاب ستنشغل وتنقل وسائل الإعلام هذه الممارسات, وهو الأمر الذي يسعى إليه الإرهابيون للضغط على الحكومة لتنفيذ مطالبهم. وفي الوقت نفسه حشد الرأي العام حول قضاياهم لكسب تأييدهم وتعاطفهم»(٤).

١- العياشي، وقاف، مكافحة الإرهاب بين السياسة والقانون، الناشر، دار الخلدونية، الجزائر، ٢٠٠٦م، ص٩

٢- الجحني، علي فايز، محاضرة مقدمة حول ظاهرة الإرهاب، الناشر، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٨م، ص٣

٣- أبو الفضل، جمال الدين، لسان العرب، الناشر، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١م، ص٦٥

٤- سبع، رنا مولود، ماهية الإرهاب وتأثيره على واقع حقوق الإنسان، فرنسا وبريطانيا أنموذجا، الناشر، مجلة دراسات دولية، ٢٠١١م، العدد

## المحاولات الفقهية في تعريف الإرهاب:

### الإرهاب في الفقه العربي:

حاول الكثير من الفقهاء إيراد بعض التعريفات للإرهاب فقد عُرف «بأنه استراتيجيّة عنف محرّم دولياً تحفزها بواعث عقائدية (إيديولوجية). وتتوخّى إحداث عنف مرعب داخل شريحة خاصة في مجتمع معين لتحقيق الوصول إلى السلطة أو القيام بدعاية لمطلب أو لمنظمة, بغض النظر إن كان مقترفو العنف يعملون من أجل أنفسهم أو نيابة عنهم أو نيابة عن دولة من الدول»(٥).

### الإرهاب في الفقه الغربي:

لقد وردت بعض المحاولات الفقهية الغربية في تعريف الإرهاب وكانت محصلتها القول «إن الإرهاب عنف فكري مخطط له, وذلك من خلال استخدام القوة لتحقيق أهداف معينة»(٦).

إلا أن الملاحظ على أغلب الاتفاقيات الدولية التي عُقدت بصدد محاربة الإرهاب بشتى صوره وأنواعه, أنها جاءت دون تحديد متفق عليه لتعريف الإرهاب, إذ لا يوجد لحدّ الآن إجماع دولي على هذه المسألة, وهذا يعود بطبيعة الحال إلى العامل السياسي والإيديولوجي, حيث أثار مفهوم الإرهاب الكثير من الجدل والخلاف بسبب ما أحاط تحديد هذا المفهوم من اعتبارات سياسية ونظرات مصلحية. فعلى المستوى الدولي نجد أن أول وثيقة تضمنت تعريفاً للإرهاب كانت اتفاقية جنيف لقمع ومعاقبة الإرهاب لعام ١٩٣٧م, حيث عُرف الإرهاب على أنه» كل الأعمال الإجرامية الموجهة ضد دولة ما, أو يقصد بها خلق حالة رعب في أذهان أشخاص معينين, أو مجموعة من الأشخاص أو

> **بالرغم من قِدَم ظاهرة الإرهاب، إلا أنه لا يوجد اتفاق حول مفهومه، سواء على المستوى الأكاديمي أو على مستوى العمل الدولي. وهذا يرجع إلى اختلاف البنى الثقافية والعوامل الإيديولوجية والنظرية التفسيرية المتصلة بالمصطلح، بمعنى أنه ما يُعدّ عملاً إرهابياً من وجهة نظر دولة معينة أو مجتمعٍ معين، ليس بالضرورة أن يكون عملاً إرهابياً من وجهة نظر دول أخرى أو مجتمع آخر**

عامة الناس»(٧).

وقد عرفت الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب في المادة الأولى منها والصادرة عن الاجتماع المشترك لوزراء الداخلية ووزراء العدل المنعقد بالقاهرة في ٢٢ أبريل ١٩٩٨م على أنه: «كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أياً كانت بواعثه أو أغراضه, يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي, ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس, أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر, أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة, أو احتلالها أو الاستيلاء عليها, أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر»(٨).

وقد عرف بعض المختصين الإرهاب بأنه «ليس مجرد عمليات مثيرة وإنما نمط من أنماط استخدام القوة في الصراع السياسي, وهو

٤٩، https://www.iasj.net

٥- عوض، محي الدين، حول تشريعات مكافحة الإرهاب في الوطن العربي، الناشر، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ١٩٩٩م، ص٥٤

٦- العموش، أحمد فلاح، مستقبل الإرهاب في هذا القرن، الناشر، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٦م، ص٢٠

٧- يازجي، أمل، وشكري، محمد عزيز، الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن، حوارات لقرن جديد، الناشر، دار الفكر المعاصر، دمشق، ٢٠٠٢م، ص٦٣

٨- الجريدة الرسمية رقم ٤٩٩٢ الصادرة في ٤ أبريل ٢٠٠٢م، https:// adala.justice.gov.ma

استخدام قد تمارسه الجماعات السياسية أو الحكومات من أجل التأثير على القرار السياسي لغيرها»(٩).

وهناك رأي أخر لبعض الفقهاء في تعريف الإرهاب «هو كل استخدام أو تهديد باستخدام عنف غير مشروع يتسبب في حالة من الخوف أو الرعب بقصد تحقيق تأثير أوالسيطرة على فرد أو مجموعة من الأفراد أو حتى المجتمع بأسره وصولاً إلى هدف معين, ويسمى الفاعل وهو الفرد أو الجماعة الإرهابية على تحقيقه. كما إن العمل الإرهابي يتكون من عناصر رئيسية لا بدّ من توافرها, مثل استخدام أو تهديد باستخدام العنف على وجه غير مشروع أو غير مألوف, ويقوم به أفراد أو مجموعة من الأفراد أو من الدولة ذاتها, ويُوجّه ضد فرد أو مجموعة من الأفراد أو ضد المجتمع بأسره, ويهدف إلى خلق حالة من الرعب والفزع, ويبث رسالة ما ويخلق تأثيراً نفسياً معيناً يسمح بالتأثير على المستهدَفين من العمل الإرهابي, وعادة ما يتجاوز العمل الإرهابي حدود الهدف المباشر الذي لا يكون له أدنى علاقة بقضية الإرهابيين»(١٠).

أما في قانون العقوبات المصري فقد نصت المادة ٨٦ منه في تعريفها للإرهاب على أنه «كلّ استخدام للقوة أو العنف أو التهديد به أو الترويج, يلجأ إليه الجاني تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي يهدف إلى الإخلال بالنظام العام أو تعريض سلامة المجتمع وأمنه للخطر, إذ كان من شأن ذلك إيذاء الأشخاص أو إلقاء الرعب بينهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم للخطر, أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بالاتصالات أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو منع أو عرقلة ممارسة السلطات العامة أو دور العبادة أو معاهد العلم لأعمالها أو تعطيل تطبيق الدستور أو القوانين أو اللوائح»(١١).

## المطلب الثاني:

## نشأة ظاهرة الإرهاب وتطورها

عرفت المجتمعات ظاهرة الإرهاب منذ أمد بعيد, وتطورت مع تطور المجتمعات ومع العلاقات الاجتماعية المختلفة, إلّا أنه لم يكن بذات الخطورة التي هي عليها اليوم, حيث تطورت فعالية وخطورة الإرهاب حسب الحاجة, وتتدرج حسب الظروف مستخدمة علوم العصر بكفاءة عالية.

إن من الإجحاف وصف الظاهرة زمنياً بالحديثة, فقد «عرفت المجتمعات كافة هذه الظاهرة ومارستها جميع الأنظمة عبر التاريخ, ومُورِسَ على الصعيد الداخلي ضمن المجتمع الواحد من السلطة الحاكمة, ضد الطبقات المحكومة, أو من فئة كبيرة ضدّ فئة قليلة أو العكس, أو من فئة تسعى إلى مقاومة ظلم السلطة الحاكمة, وقد مورس على الصعيد الخارجي باعتداء الدول القوية على الشعوب الفقيرة, ناهيك عن تدخل الدول الأجنبية في الصراعات المحلية التي تنشب ضمن المجتمع الواحد, لا بل إن رقعة الإرهاب قد اتسعت لتشمل دولاً ومجتمعات متعددة, وكانت دافعاً للقول بالإرهاب الدولي, هذا الإرهاب الذي هو نوع من العنف يختلف عن الجرائم العادية, ويستخدم التقدم العلمي والتقني الحديث في سبيل نشر المقاصد والأهداف المباشرة وغير المباشرة من وراء العمل الإرهابي»(١٢).

## التطور التاريخي لظاهرة الإرهاب:

### أولا. الإرهاب في العصور القديمة:

حفلت العصور القديمة بنماذج مختلفة من الإرهاب, فكل أمة من الأمم كانت السلطة فيها تمارس الإرهاب بالطريقة التي تراها مناسبة

٩- نافع، إبراهيم، كابوس الإرهاب وسقوط الأقنعة، الناشر، مركز الأهرام، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٣٣

١٠- عبد الكافي، إسماعيل عبد الفتاح، الإرهاب ومحاربته في العالم المعاصر، الناشر، موقع كتب عربية، ص١٣، .www.kotobarabia.com

١١- لوقا، نبيل، الإرهاب صناعة غير إسلامية، الناشر، دار البباوي، ص٢٥١

١٢- أحمد أنس، دراسة تحليلية حول ظاهرة الإرهاب، ٢٠١٨م، .www.firatn.com

لإحلال الأمن في البلاد والمحافظة على سلطتها. فقد عرف الإغريق الإرهاب، حيث كان الصراع في أثينا القديمة يتجاوز في كثير من الأحيان حدود المحاولات التي ميّزت الحضارة الإغريقية، سواء تلك المحاولات التي تدور بين الفلاسفة أو المناقشات السياسية الحاصلة بين أفراد المجتمع، ممّا أدّى هذا إلى صراع الطبقات. وكان الحكّام يحرصون على سلامة أمن دولتهم، فكانوا يُجرّمون الأعمال التي تمسّ بأمن البلاد ويُعاقب مرتكبوها بالموت. أما في عصر الفراعنة فقد دلت البرديات في مصر القديمة على ممارسة إرهاب دموي بين أحزاب الكهنة بفعل الخلاف حول بعض الأفكار والمعتقدات السائدة آنذاك. أما الإرهاب عند الرومان فقد اتّخذ صورة العنف سواء من قبل الحاكم ضد المحكومين أو العكس، ويُعدّ التعذيب من أهم الأساليب الإرهابية التي استخدمها الرومان، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل لجأ الإرهاب الروماني إلى استخدام الوحوش الضارية لمصارعة الضحايا. (١٣)

## ثانيا. الإرهاب في العصور الوسطى:

استخدم النبلاء في أوروبا في العصور الوسطى عصابات الإرهاب للإخلال بالأمن ضد خصومهم من النبلاء المنافسين لهم، حيث كانوا يعيثون فساداً في الإقطاعيات التي يملكها النبلاء المنافسون، كما كان العبيد يغزون إقطاعيات أسيادهم، ويشكلون عصابات للانتقام والقتل والسرقة وإشاعة الفوضى في أراضي أسيادهم. كما كانت هناك مجموعات من القراصنة يجوبون البحار ويهددون الملاحة البحرية، وقد استخدمتهم الإمبراطوريات الفرنسية والبريطانية والإسبانية ضد بعضهم بعضاً في حرب غير معلنة في البحار، وهو ما يُعدّ إرهاباً دولياً في العصر الحديث. إضافة إلى ذلك فقد اتسمت القوانين المعمول بها في تلك العصور في الدول الأوربية بالوحشية والقسوة (١٤).

ظهرت ملامح الإرهاب في المجتمع الغربي بشكل واضح عقب سقوط الإمبراطورية الرومانية، وظهور الإسلام الذي بدأ في الانتشار شرقاً وغرباً، فقد رفضت الشعوب الغربية الانصياع للحكم الإسلامي، وأنشأت ما يسمى بمحاكم التفتيش التي كانت تنعقد بغرض القضاء على الوافدين للشريعة الإسلامية، فتفشى الإرهاب بكافة أنواعه، حيث يؤكد ذلك خطاب البابا (أوربان الثاني)، الذي ألقاه في فرنسا سنة ١٠٩٥م، والذي كان سبباً في قيام الحروب الصليبية حيث قال» امضوا وأديروا أسلحتكم التي كنتم تستعملونها ضدّ أخوانكم، ووجّهوها ضد أعدائكم؛ أعداء المسيحية، إنكم تظلمون الأيتام والأرامل، وتتورّطون في القتل والاغتصاب، وتنهبون الشعب في الطرق العامة، وتقبلون الرشاوى، وتريقون الدماء، امضوا إذن وقاتلوا أعداءكم الذين استولوا على مدينة القدس، حاربوا تحت راية المسيح»(١٥).

وقد ارتكب هؤلاء كافة أصناف الترهيب وأشكال الإرهاب في الاستيلاء على القدس بالقتل والحرق والتدمير ضد المسلمين خاصة عن طريق محاكم التفتيش. أمّا في المجتمع الإسلامي فلم تسلم شعوب الشرق هي الأخرى من الجماعات الإرهابية والاعتداءات الإرهابية، فقد انتشرت الحركات الإرهابية بهدف تشويه الإسلام والمسلمين ومحاولة القضاء عليه. (١٦)

## ثالثا. الإرهاب في العصر الحديث:

١٣- للمزيد راجع، العميري، محمد عبد الله، موقف الإسلام من الإرهاب، الناشر، جامعة نايف للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، ٢٠٠٤م، ص٢٢ و عبد السميع مطري، عصام عبد الفتاح، الجريمة الإرهابية، الناشر، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠٥م، ص٢٦

١٤- عز الدين، أحمد جلال، الإرهاب والعنف السياسي، الناشر، دار الحرية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٨٩

١٥- العميري، محمد عبد الله، موقف الإسلام من الإرهاب، مصدر سابق، ص ١١٠

١٦- لمزيد راجع، عبد، محمد فتحي، واقع الإرهاب في الوطن العربي، الناشر، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ١٩٩٩م، ص٦١ص٦٢ والعميري، محمد عبد الله، موقف الإسلام من الإرهاب، مصدر سابق، ص١٨

> **حفلت العصور القديمة بنماذج مختلفة من الإرهاب، فكل أمة من الأمم كانت السلطة فيها تمارس الإرهاب بالطريقة التي تراها مناسبة لإحلال الأمن في البلاد والمحافظة على سلطتها. فقد عرف الإغريق الإرهاب، حيث كان الصراع في أثينا القديمة يتجاوز في كثير من الأحيان حدود المحاولات التي ميّزت الحضارة الإغريقية، فكان حكامها يُجرّمون الأعمال التي تمسّ بأمن البلاد ويُعاقب مرتكبوها بالموت**

اتسم الإرهاب في العصر الحديث بتطور الإيديولوجيات والآليات التي تحكم العمل الإرهابي والجماعات الإرهابية على السواء، وتحديداً في نهايات القرن المنصرم. إن أبرز معالم الإرهاب في العصر الحديث تكون على مرحلتين، **المرحلة الأولى:** الإرهاب ما بعد الحرب العالمية الثانية. **والمرحلة الثانية:** الإرهاب في العصر الراهن.

## أ. الإرهاب ما بعد الحرب العالمية الثانية:

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ظهر الإرهاب بصورة مغايرة للصور السابقة حيث «أصبح لا يعترف بالحدود من خلال الاستفادة مما قدّمه التطور العلمي الهائل في شتّى الميادين, من إعلام ووسائل اتصالات سهلت مهمة هذه الفئة في تصدير هذه الجريمة خارج حدودها, وأصبح هذا الإرهاب إرهاباً عابراً للقارّات بمعنى الكلمة, بيد أن هذه الفترة الممتدة إلى وقتنا هذا شهدت تطوراً جذرياً في الإرهاب سواء من حيث أساليبه أم أشكاله أم سانديه أم منطلقاته. ومن جهة أخرى هناك العديد من المتغيرات التي تدل على حداثة الإرهاب في العصر الحديث, منها متغيرات سياسية واجتماعية وظهور قوى إقليمية جديدة وظهور حركات الانفصال»(١٧).

لقد اتّخذ الإرهاب في هذه الفترة أبعاداً جديدة على المستويين المحلي والدولي سواء في مجال انتشاره الواسع ومساندة بعض الدول له واتهامها بالتالي بدعم الإرهاب. أم من حيث النشاط الملحوظ للتجمعات الدولية والإقليمية لمكافحته. فعلى إثر انهيار الأنظمة الشمولية (الفاشية والنازية).التي كانت تشكل تهديداً خطيراً ليس فقط على الصعيد الإنساني. ولكن كذلك بالنسبة للتوجهات الأساسية السياسية في الدفاع عن الدولة. حيث ظهرت بعض الجماعات الإرهابية شديدة الخطورة. متناقضة الاتجاهات في الدولة الواحدة. (١٨)

## ب. الإرهاب في العصر الراهن:

لا شك أن الإرهاب أصبح في وقتنا الحاضر أكثر الجرائم رعباً. خاصة أن تلك الظاهرة لا تعترف بحدود ولا تتقيد بجنسية معينة أو جنس أو سنّ أو انتماء محدد. لأن الظاهرة الإرهابية بحد ذاتها أصبحت نوعاً من الحروب بين الدول والجماعات, وخطورتها تكمن في أنها بلا أي قواعد أو قوانين أو قيود تنظمها. وهذا ما دفع بعض الفقهاء إلى اعتبار أنّ الإرهاب أصبح يمثل حرباً بديلة عن الحروب التقليدية. ومن جهة أخرى تتّسم الظاهرة الإرهابية بوجه عام في هذا العصر باستخدام التقدّم العلمي الهائل في وسائل الإعلام من قبل الجماعات الإرهابية التي تنقل وسائل الإعلام عملياتها عبر الأقمار الصناعية. وهذا ما يمكّن بعض

١٧- حسنين خليل، إمام، الإرهاب والبنيان القانوني للجريمة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٢٣

١٨- الغنام، محمد أبو الفتوح، الإرهاب وتشريعات المكافحة في الدول الديمقراطية، القاهرة، ١٩٩١م، ص١٥٠ص١٥١

الجماعات الإرهابية الهامشية أن تعلن قضيتها وأهدافها إلى الحكومات والدول, بحيث بات الإرهاب اليوم ليس موجهاً ضد دولة معينة, بل يستهدف النظام الدولي بأكمله. إذ أنّ الإرهاب بمدلوله الحديث يقوم على خلق حالة من الرعب والخوف لدى الآخرين (١٩).

وعلى الرغم من أن القانون الدولي في العصر الراهن قد فشل حتى الآن في إيجاد تعريف موضوعي لمفهوم الإرهاب نتيجة لتضارب مصالح الدول المؤثرة وازدواجية المعايير, وذلك يُعزى دائماً إلى ارتباط موضوع الإرهاب الخارجي» إلا أن هناك إجماعاً دولياً حول بعض الأفعال التي تشكل إرهاباً واتّفِق على شجبها ومكافحتها لأنها تهدد السلم والأمن الدوليين, ومن الأفعال والأعمال التي أصبحت تمثل أشكالاً شائعة من أعمال الإرهاب خطف الطائرات وعمليات القرصنة الجوية, واختطاف الرهائن, واغتيال الدبلوماسيين والشخصيات المحمية دولياً, وتفجير المباني, ووضع القنابل في وسائل المواصلات, واغتيال الملوك والرؤساء ورؤساء الحكومات والوزراء والمسؤولين الحكوميين, وكذلك الهجوم على المدنيين العزّل من السلاح, ووضع المتفجرات في البريد ووسائل الاتصال»(٢٠).

**المبحث الثاني ويشمل أشكال الإرهاب ويتناول هذا المبحث مطلبين:**

المطلب الأول: أشكال الإرهاب

المطلب الثاني: الخصائص المميزة للإرهاب

## المطلب الأول

## أشكال الإرهاب

يتخذ الإرهاب صوراً وأشكالاً شتى, منها ما حرّمها القانون الدولي ومنها ما حرّمها القانون الداخلي, وقد وجُدت عدة معايير في تحديد هذه الأشكال, منها معيار شكل العمل الإرهابي, فقد يكون عملاً مباشراً أو غير مباشر, جزئياً أو عملاً شاملاً, أو قد يكون العمل الإرهابي فردياً أو جماعياً, بالإضافة إلى معيار نطاق العمل الإرهابي.

### أولا. إرهاب الدولة:

يُطلق عليه أحياناً الإرهاب الرسمي المنظم, الذي يعني استخدام الحكومة في دولة ما لدرجة عالية من العنف ضد المدنيين من المواطنين من أجل إضعاف أو تدمير إرادة الشعب في المقاومة أو الرفض, أو ضد جماعات أو دولة أو دول أخرى. وغالباً ما يُنفذ هذا النوع من الإرهاب عن طريق العملاء المنشقين أو عناصر المخابرات أو التدخل العسكري أو غير ذلك من الوسائل الأخرى, ويُصنف هذا الشكل من الإرهاب إلى إرهاب الدولة الداخلي وإرهاب الدولة الخارجي (٢١).

### ثانيا. الإرهاب الفكري:

يمثل أخطر أنواع الإرهاب, وهو بطش بالوعي وبالفكر, وبالذاكرة, وبالحلم, كما أن الإرهاب الدموي الممارس يومياً هو بطش بالجسد, وتخريب البيئة, وقطع العلاقة مع الأرض والتاريخ والذاكرة. وبالإمكان القول: إنّ هذا النوع من الإرهاب الفكري هو استخفاف بعقولنا, «فمشاهد القتل والاغتيال والإبادة والتفجير والتخريب والتدمير والاعتقال والإذلال والظلم, تفضي إلى حالة من الخوف والهلع والشعور بالقلق وانعدام الأمن والاستقرار في النفس. والإرهاب الفكري موجود في كل المجتمعات بنسب متفاوتة, وهو ظاهرة عالمية ولكنه ينتشر في المجتمعات المنغلقة وذات الثقافة المؤدلجة والشمولية, ويتجسّد في ممارسة الضغط أو العنف أو الاضطهاد ضد أصحاب الرأي المغاير أفراداً كانوا أم جماعات, وذلك بدعم من تنظيمات سياسية أو تنظيمات دينية تحرّض عليه وتؤججه, والهدف

١٩- للمزيد راجع، عبد العال، محمد عبد اللطيف، جريمة الإرهاب: دراسة مقارنة، الناشر، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٨

٢٠- الطوالبة، علي حسن، مفهوم جرائم الإرهاب في ضوء التشريعات القديمة والحديثة، بحث، ص٢٣، https://www.policemc.gov.bn

٢١- يزيد، مهيوب، المشكلة المعيارية في تعريف الإرهاب الدولي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة سطيف، الجزائر، ٢٠٠٣م، ص٤٤

> **ظهرت ملامح الإرهاب في المجتمع الغربي عقب سقوط الإمبراطورية الرومانية، وظهور الإسلام، وقد رفضت الشعوب الغربية الانصياع للحكم الإسلامي، وأنشأت ما يسمى بمحاكم التفتيش التي كانت تنعقد بغرض القضاء على الوافدين للشريعة الإسلامية، فتفشى الإرهاب بكافة أنواعه، حيث يؤكد ذلك خطاب البابا (أوربان الثاني)، الذي ألقاه في فرنسا سنة ١٠٩٥م، والذي كان سبباً في قيام الحروب الصليبية**

هو إسكات الأشخاص وإخراسهم ليتسنى لهذه التنظيمات نشر أفكارها دون أي معارضة من التيارات الأخرى، والويل لمن تسوّل له نفسه الخروج عن الخط المرسوم له»(٢٢).

## ثالثا. إرهاب الأفراد والجماعات:

هذا النوع من الإرهاب كان متواجداً منذ العصور الغابرة، ويأخذ شكلين: «شكلاً همجيّاً وشكلاً مذموماً» لأنّ هدفه النهب والقرصنة والاعتداء على الأموال والأشخاص، فهو يعكس صورة الإنسان في صورته الطبيعية المتوحشة، من هنا برزت أهمية السلطة والهدف من تواجدها، أي تحقيق العدل، والحفاظ على الملكية الخاصة وحقوق الأفراد، أما الشكل الثاني فهو عنف مشروع ضد الظلم والتسلط ومن بين أهم العوامل المنتجة له في الماضي وفي المرحلة الراهنة، طبعاً مع اختلاف السياقات التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية، والمرحلة التي وصل إليها نضج الحضارة الإنسانية، طغيان وفساد الأنظمة الحاكمة المتسلطة. الجدير بالذكر هو التأطير الإيديولوجي وتعبئة الأفراد والجماعات، وشحنهم عاطفياً للقيام بالفعل الإرهابي السياسي واعتناقه. وقد تُفسر دواعي هذا الإرهاب السياسيّ على أنه رد فعل تجاه الإقصاء والتهميش والفقر والقمع، وقد يتضمن أهدافاً انفصالية نظراً لما قد تتأثر به من مواقف قومية متطرفة»(٢٣).

## رابعا. الإرهاب الاجتماعي:

هذا النوع من الإرهاب يستهدف تحقيق إيديولوجية أو مذهب اجتماعي أو اقتصادي يتعلق بالتنظيم الاجتماعي والاقتصادي في بلد معين، أو حتى خارج البلد، كالإرهاب بهدف نشر المبادئ الفوضوية وما يشابهها, ويطلق البعض على هذا النوع من الإرهاب، الإرهاب الثوري؛ فهو يسعى إلى إحداث تغيرات أساسية وجذرية في توزيع السلطة والثروة في المجتمع ويعمل على تغيير النظام الاجتماعي القائم (٢٤).

## خامسا. الإرهاب العرقي أو الانفصالي:

تعود أسباب هذا النوع من الإرهاب إلى عوامل إثنية وجغرافية، فتطالب فئة عرقية معينة تقطن منطقة جغرافية محددة بالانفصال عن الدولة المركزية، لتقيم كيانها المستقل، ومن ثمة توجه هذه الفئة العرقية أو القومية أنشطتها الإرهابية ضد أفراد ومؤسسات الدولة التي تعتبرها مسؤولة عن حرمانها من إقامة كيانها القومي المستقل من جهة، وضد المتعاونين من أبناء هذه المجموعات العرقية أو القومية مع تلك الدول من جهة أخرى. هذا النوع من الإرهاب يتميز بالعنف الدموي وبالاستمرارية وبالطابع الشعبي, أي أنّ له امتداداً بين فئات

٢٢- حنا، عيسى، الإرهاب، تاريخه، أنواعه، أسبابه، ٢٠١٤م، www.abouna.org

٢٣- مقتدر، رشيد، الإرهاب والعنف السياسي، مقاربة مفاهيمية ونظرية، https://www.aljabriabed.net

٢٤- للمزيد راجع، حريز، عبد الناصر، النظام السياسي الإرهابي الإسرائيلي، دراسة مقارنة، الناشر، دار الجيل، بيروت، ص٥٤

الشعب التي يعبر عنها ويعمل باسمها، كما أنّه يعتمد بشكل كلي على تأييد قطاعات عريضة من أبناء الفئات العرقية أو القومية التي تسعى لتحقيق أهدافها الانفصالية، كما أنّ هذا النوع من الإرهاب تحكمه وحدة الهدف المتمثل في العمل على خلق كيان قومي مستقل (٢٥).

### سادساً. الإرهاب السياسي:

إن الهدف الرئيس لموضوع الإرهاب السياسيّ هو السيطرة، لكن لا تكفي السيطرة وحدها لتحديد الإرهاب السياسي، بل يجب أن يستهدف هذا الأخير الروابط الاجتماعية من النظام العام، فإذا ما أهملت هذه الروابط أو افتقدت فسوف نكون أمام إرهاب ليس سياسياً.

ومن هذا المنطلق، يظهر أنّ الإرهاب السياسي لا يسعى فقط إلى ضرب الأشخاص البعيدين وزرع الرهبة في نفوسهم من حيث صفتهم الفردية الذاتية، بل يسعى أيضاً إلى ضرب المؤسسات من حيث صفتها الإدارية والمؤسساتية المحددة، بقدر ما يسعى إلى ضرب ما يمثله الأشخاص والمؤسسات في النظام الاجتماعي السياسي العام (٢٦).

## المطلب الثاني
## الخصائص المميزة للإرهاب

**تنفرد ظاهرة الإرهاب بخواصّ نوعية تجعلها تتميز عن باقي الظواهر الإجرامية الأخرى المشكّلة لها، وسنعرض بعض هذه الخصائص.**

### أولاً. استخدام القوة والعنف:

إن استخدام العنف أو التهديد به يكون مصاحباً لأغلب العمليات الإرهابية بغرض السيطرة ونشر الرعب لدى الجماهير، وقد لا يكون استخدام القوة والعنف ظاهراً في العمل الإرهابي، كالإرهاب الإلكتروني (٢٧).

### ثانيا. التنظيم المتصل بالعنف:

إن العنف في النشاط الإرهابي لا يمكن أن يُحدِث أثره إلا إذا كان منظماً من خلال حملة إرهابية مستمرة ونشاط متّسق يؤدي إلى خلق حالة من عدم الاستقرار والرعب، وبالتالي يصل إلى غايته (٢٨).

### ثالثا. الهدف السياسي للإرهاب:

إن ما يميز العمل الإرهابي عن الجريمة المنظمة أنه يسعى لتحقيق أهداف سياسية وليس تحقيق مكاسب مادية، فالواقع أن الإرهاب يستهدف النظام الحاكم والقرار السياسي، ما يُعطيه قدرة من الأهمية والخطورة على حد سواء، فهو يحاول الضغط على متخذي القرارات السياسية بغية تحقيق المطالب السياسية للجماعة الإرهابية.

### رابعاً. عدم استهداف الضحية:

غالباً ما تكون ضحايا الإرهاب غير مستهدفين شخصياً، إنما جاءت الأقدار لتضعهم في هذا الموقف، لاسيما أنّ المهم لدى مرتكب العمل الإرهابي ردّ الفعل الذي يعكسه هذا العمل الإرهابي في خلق حالة من الرعب والخوف.

### خامساً. عدم التقيّد بالحدود الإقليمية:

اتّسم العمل الإرهابي في العصر الحديث بأنّه ليس لديه حدود معينة، بمعنى أنّه لا يتقيّد بالحدود الإقليمية للدولة، فقد تُرتكب عملية إرهابيّة في أراضي دولة معينة ضد مصالح دولة أخرى، ويكون ضحاياه من رعايا عدة دول، أو قد يكون المخططون في دولة غير الدولة؛ مسرح العملية.

٢٥- الغزال، إسماعيل، الإرهاب والقانون الدولي، الناشر، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ١٩٩٠م، ص٢٤

٢٦- للمزيد راجع، محب الدين، محمد مؤنس، الإرهاب في القانون الجنائي، دراسة قانونية مقارنة على المستويين الوطني والدولي، الناشر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢٤٤

٢٧- للمزيد راجع، اليوسف، عبد الله عزيز، الأنساق الاجتماعي ودورها في مكافحة الإرهاب والتطرف (دراسة تحليلية للمجتمع السعودي)، الناشر، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٦م، ص٧

٢٨- للمزيد راجع، العمري، محمد بن عبد الله، موقف الإسلام من الإرهاب، مصدر سابق، ص٦٨

**سادساً.** الإرهاب يمثل جريمة ضد الإنسانية:

ينطوي الإرهاب على القتل والإبادة الجماعية (٢٩).

**سابعاً.** السرية والتعقيد:

الواقع أنّ الإرهاب أصبح نشاط بالغ التعقيد تديره منظمات سرية على قدْرٍ عالٍ من التنظيم والتدريب والتسليح والمعرفة الفنية، بل والأخطر من ذلك أنه قد يُدار الإرهاب من قبل أجهزة الاستخبارات في بعض الدول كأحد أسباب الصراع على الساحة الدولية.

**ثامناً.** الإرهاب سلاح الضعفاء:

يُعتبر الإرهاب سلاح الضعفاء الذين لا يملكون عناصر القوة التقليدية لتحقيق أهدافهم, وقد يكون الإرهاب سلاحاً تستخدمه دولة أو قوة إقليمية أو عالمية لتحقيق أغراض سياسية ضد دولة أو قوة إقليمية أو عالمية أخرى، حيث لا تستطيع استخدام القوة العسكرية التقليدية أحياناً لأسباب معينة، وقد يكون السبب تفوق الدولة الأخرى عليها من الناحية العسكرية، وهذا ما يجعل الإرهاب وسيلة أو أسلوباً أو سلاحاً في نطاق الصراع الداخلي أو الدولي. ومن هذا المنطلق فلا يمكن الخلط بين استخدام الإرهاب بواسطة الدول في العلاقات الدولية وبين دكتاتورية الدولة أو أعمالها غير المشروعة في التعامل مع خصوم النظام السياسي في الداخل (٣٠).

**ومن خصائص الإرهاب أيضاً:** الخروج على إجماع المجتمع ، وهو ما يُعبَّر عنه بالأغلبية، وبخاصة في المجتمعات العربية والإسلامية، حيث تجنح الجماعات الإرهابية إلى مخالفة ما عليه إجماع عموم الناس من أهل الحلّ والعقد وغيرهم من العلماء وأهل المكانة، مثل بعض حالات الغلوّ والتشدّد والتطرف في الرأي، الذي قد يجبر صاحبه على تكفير أعضاء المجتمع أو قيادته, استناداً إلى أدلّة مغلوطة وتأويلات خاطئة، أو تفسيرات مغرضة ليس لها في الدين الصحيح أي دليل أو سند، وليس لها من وسطية الإسلام وتشريعاته السمحة القويمة من القرآن والسنة أي حظ أو نصيب، وربما يذهب بعضهم إلى إصدار فتاوى بجواز القتل لأعضاء الدولة ورجال الأمن والقيادات الاجتماعية، بالإضافة إلى استخدام الوسائل التي تؤدي بطبيعتها إلى إحداث حالة من الدمار الشامل أو القتل البشع حتى يتغلغل الرعب في نفوس المقصودين(٣١).

## أسباب الإرهاب وأهدافه وطرق مكافحته

**سنتناول في هذا الفصل مبحثين:**

المبحث الأول: **أسباب ظاهرة الإرهاب.**

ويتناول مطلبين:

المطلب الأول: **دوافع ظاهرة الإرهاب.**

المطلب الثاني: **أبرز دوافع الإرهاب في الوطن العربي.**

المبحث الثاني: **الآثار الناجمة عن جريمة الإرهاب وطرق مكافحته.**

**وسنتطرق في هذا المبحث إلى مطلبين وهما:**

المطلب الأول: **الآثار الناجمة عن جريمة الإرهاب**

المطلب الثاني: **نحو استراتيجية لمكافحة الإرهاب**

### المبحث الأول:
### أسباب ظاهرة الإرهاب

المطلب الأول:

### أسباب ودوافع ظاهرة الإرهاب

أولا. الأسباب المباشرة

**١.الدوافع السياسية:**

يرى بعض الفقهاء أنّ الحالة التي آلت إليها الأوضاع الدولية على المستوى السياسي وفّرت

٢٩- الإرهاب وحدود التمكين لحقوق الإنسان، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة فرحات سطيف، الجزائر، ص٣٣ص٣٤ ولاحقا، https://www.univ-setif.dz

٣٠- الزهراني، هاشم بن محمد، الإرهاب الدولي مرحله ومخاطره، بحث، ٢٠١٢م، ص١٦ص١٧، https://repository.nauss.edu.sa

٣١- خصائص الإرهاب، ٢٠٠٩م، https://www.nejatngo.org

البيئة الملائمة لبروز ظاهرة الإرهاب. فكان لسقوط الشيوعية كتحالف عسكري، وانتهاء الحرب الباردة وتسيّد الولايات المتّحدة الأمريكية المشهد السياسي العالمي، وانفرادها بالقرار الدولي أحد أهم الدوافع السياسية لبروز ظاهرة الإرهاب. وقد أدى انهيار الإيديولوجيات القديمة والبحث عن إيديولوجيات جديدة إلى تنامي الحركات الإرهابية، بالإضافة إلى الموقف المنحاز للنظام العالمي الجديد ضدّ القضايا الإنسانية وخاصة في دول العالم الثالث.

لقد كان لعجز مجلس الأمن الدولي عن اتخاذ موقف قانوني مؤيّد لقضايا الشعوب المقهورة، والوقوف ضدّ ما يحدث من انتهاكات لبعض الفئات على مستوى العالم وفي مختلف المناطق ما يبرّر استخدام العنف من جانب هذه الفئات للدفاع عن وجودها إزاء حملات الإبادة التي تتعرض لها، ومن الأسباب السياسية الأخرى لظاهرة الإرهاب, هي الصراعات العرقية في مختلف المناطق، والتي تأخذ الطابع المسلح، بالإضافة إلى عجز الشعوب عن الحصول على استقلالها وحقها حتى الآن في تقرير مصيرها رغم القرارات الدولية والتي تُجمِع على حقها في التمتع باستقلالها والحرية على أراضيها، الأمر الذي يدفع حركات التحرر الوطني إلى القيام ببعض العمليات خارج حدود دولتها ضد مصالح الدول المستعمِرة. وقد استُخدِم الإرهاب كبديل عن الحرب التقليدية بوصفه أسرع تأثيراً وأقلّ تكلفة للحصول على مكاسب وامتيازات سياسية على المستوى الدولي, ويُعتبر عدم الانضباط في احترام القوانين الدولية والتسيّب الدولي أحد أهم الدوافع والأسباب السياسية لاتّساع ظاهرة الإرهاب، فهو الذي يفتح المجال واسعاً أمام أخطبوط الإرهاب الدولي الذي يجمع في صفوفه بين القتلة والمجرمين والمرتزقة والمأجورين وغيرهم من المغرَّر بهم دينياً أوسياسياً أو عقائدياً، وتشجيعهم على التمادي في احتقار القانون الدولي (٣٢).

### ٢. الدوافع الاقتصادية:

يؤثر العامل الاقتصادي غالباً على كمّ الإرهاب والإجرام أو نوعية الجرائم المرتكبة، حيث تتعدد مظاهر العامل الاقتصادي ذات الصلة بحركة الإجرام في المجتمع، كالتوزيع الطبقي للمجتمع و دور التقلبات الاقتصادية، كالفقر والكساد والبطالة. لقد ذهبت بعض النظريات إلى الربط بين الجريمة والنظام الاقتصادي الرأسمالي، فاعتبرت الجريمة منتَجاً رأسمالياً، أما الرأي الآخر فيربط بين بعض الظروف والظواهر الاقتصادية وبين حركة الإجرام بصفة عامة، بحيث تتضافر كل هذه الظروف مع غيرها من العوامل الأخرى لوقوع الجريمة. فالجريمة ظاهرة اجتماعية مرتبطة بوجود الإنسان، بيد أنه لم ينجح بعدُ أي نظام اقتصادي في القضاء على جميع أشكال الإجرام، ومن ثم فإن العوامل الاقتصادية هي عوامل مساعدة جداً لبروز ظاهرة الإرهاب، ولعل تغييب الحق في المساواة الاقتصادية والمادية بين طبقات وفئات المجتمع الواحد، والذي يولد ظاهرة الفقر والبطالة، وغياب عدالة توزيع الثروات الاقتصادية، من الأسباب الأكثر أهمية في اللجوء إلى العمليات الإرهابية.

وتمثل العقوبات الاقتصادية على الدول، والمراكز الصناعية والزراعية والتجارية، وتجميد الأرصدة والأنشطة الاستثمارية، والتهديد بالاستيلاء على مصادر الثروة، والطاقة بحجة المغالاة في الأسعار وحمايتها من المخاطر الإرهابية، وضمان تدفقها للمستوردين تارة أخرى، ما هو إلا دافع آخر من الدوافع الاقتصادية للإرهاب.

### ٣. الدوافع الاجتماعية والثقافية:

تتمثل هذه الدوافع في حالة التنوع والانسجام الثقافي في المجتمع، فكلما كانت هناك درجة

٣٢- ملكاوي، عصام، الأسباب العالمية لبواعث الإرهاب، بحث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠١٤م، ص٧ص٨ ولاحقا

> **تتعدّد مظاهر العامل الاقتصادي ذات الصلة بحركة الإجرام في المجتمع، كالتوزيع الطبقي للمجتمع، و دور التقلبات الاقتصادية؛ كالفقر والكساد والبطالة، فإنّ تغييب الحق في المساواة الاقتصادية والمادية بين طبقات المجتمع الواحد وفئاته المتعدّدة، والذي يولد ظاهرة الفقر والبطالة، وغياب عدالة توزيع الثروات الاقتصادية، أي التفاوت الاقتصادي الهائل، من الأسباب الأكثر أهمية في اللجوء إلى العمليات الإرهابية**

عالية من الانصهار الثقافي والحضاري في المجتمع، قلّتْ درجة الميول الإرهابية بسبب سيادة الهوية العامة (الثقافة الشخصية العامة في المجتمع)، وهذا بدوره يُنشئ نظاماً سياسياً مركزياً، بحيث يسهل الوصول إلى الإجماع حول القضايا السياسية. أما في المجتمع التعددي، فغالباً ما تسيطر عليه عمليات الاضطهاد الاجتماعي والعرقي، بالإضافة إلى أنّ مسألة الإثنية أو التنوع العرقي تلعب دوراً كبيراً في دفع الجماعات المسيطرة إلى اللجوء إلى العنف أو التمييز العنصري في أكثر الحالات، كما أنّ التعصب لمبدأ فكريّ أو إيديولوجي معيّن يولد حالات من العنف الطائفي والفئوية (٣٣).

**٤. الدوافع الدينية:**

يُعتبر كل من الدين والعقيدة والمذهب من أهم العوامل المؤثرة في حياة الأفراد، و هذا التأثير يُولد مع ولادة الإنسان ويكبر معه ولا ينتهي بوفاته، ومثل هذه العلاقة بين الإنسان ودينه لا تتأثر بمدى تمسّك الإنسان بتعاليم دينه، وإن كانت تختلف درجتها بين الأكثر التزاماً والأقلّ، وهذا ما يفسر وقوع العديد من الحروب ولاسيما الأهلية منها لأسباب دينية أو عقائدية. دون أدنى شك إن الغلوّ في الدين والتعصب الديني والطائفي والمذهبي يؤدي إلى الإرهاب, ويرى الباحثون أن الحلّ لهذه المشكلة هو في الدور المهم والأساسي للمؤسسات الدينية في توصيل الفهم الصحيح للدين سواء في المساجد أو عن طريق ندوات بالجامعات والمدارس, ووضع رقابة من المؤسسات الدينية على القنوات الفضائية وذلك لما نلاحظ من فتاوى دينية من غير المتخصص، مع تطوير المناهج الدراسية في الدراسات الدينية بالمدارس ووضع مادة للثقافة الإسلامية كمادة عامة في التعليم الجامعي (٣٤).

**٥. الدوافع الإعلامية:**

ساهمت الثورة الإعلامية الهائلة في العالم في نشر الفكر المتطرف، حيث يعتمد المتطرفون في تحقيق أهدافهم على نشر الأفكار التي تعمل من أجلها وطرحها أمام الرأي العام العالمي والمنظمات الدولية, للحصول على دعمها وتأييدها لقضية ما, فقد ترى إحدى المنظمات الثورية أن هناك تجاهلاً في الرأي العام لقضيّتها فتلجأ إلى تنفيذ بعض العمليات الإرهابية المثيرة، بقصد لفت الانتباه العالمي إلى القضية التي تتبناها وتدافع عنها، وخلق نوع من التعاطف مع من يدافعون عنها وإجبار الحكومات والدول على الاعتراف بعدالتها وشرعيتها والاهتمام بها على المستوى السياسي, فبات من المهم جداً محاربة هذا الإعلام عن طريق وضع رقابة على هذه الوسائل من الدولة وإبرام اتفاقيات بين الدول المختلفة لمنع بث القنوات الفضائية التي تحرّض وتنشر

٣٣- للمزيد راجع، مطري، عصام عبد الفتاح، الجريمة الإرهابية، الناشر، دار الجامعية الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠٥م، ص٣٤ص٣٥

٣٤- للمزيد راجع، يوسف، شكري علي، الإرهاب الدولي في ظل النظام العالمي الجديد، الناشر، دار ينزك، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٧٥

الأخبار الكاذبة والخاطئة (٣٥).

### ٦. الدافع القومي:

يمثل الدافع القومي سبباً آخر لممارسة الإرهاب في المجتمعات التي تضم أكثر من قومية واحدة. فحين تسيطر قومية ما على باقي القوميات الأخرى عبر إدارتها أمورَ البلد، ومنح المكاسب والامتيازات وحصرها بأتباع قوميتها على حساب الآخر، مثل هذا الأمر من شأنه أن يولّد حالة من الاستياء والشعور بالإقصاء المتعمد، ونتيجة لذلك ينشأ ما يُعرف بالصراع القوميّ المستتر داخل أطياف المجتمع الواحد، خاصة إذا شعرت قومية ما بأنّها لا تتمتّع بكامل حقوقها وحرّياتها الأساسية، مما يدفعها إلى انتهاج طريق العنف وممارسة الإرهاب، حينما يتعذّر عليها الحصول على تلك الحقوق بالطرق السلمية لانعدام الحوار الديمقراطي البنّاء الذي يزيد من حدة الفوارق ما بين القوميات أكثر فأكثر، فلا يبقى أمامها سوى ممارسة الإرهاب لتحقيق ما تصبو إليه، فحتى الدول الديمقراطية نجدها تعاني أيضاً من عملية التمييز القومي داخل مجتمعاتها والتي كادت في كثير من الأحيان أن تؤدي إلى انفصالها عن الدولة المركزية لتقيم لنفسها دولة مستقلة بذاتها من أجل التمتع بكل حقوقها(٣٦).

### ٧. الدافع النفسي:

مع التقدم في مجال الاتصالات والمعلومات والمواصلات بفضل الثورة التكنولوجية الحديثة، نجد أنّ هذا التقدّم قد ساهم إلى حد كبير في إذكاء العنف والتشجيع على ممارسة الإرهاب، عبر نقل ونشر وسائل التكنولوجيا المتطورة لكلّ ما يجري من ممارسات إرهابية في بلدان مختلفة من العالم، وعملية النقل هذه قد أثّرت كثيراً على عقول الأشخاص وتفكيرهم، خصوصاً لدى الأفراد الذين يمتازون بضعف النفس والغريزة العدوانية والرغبة للظهور والحصول على الشهرة، ومع انعدام فرص العمل وتردّي الأوضاع الاقتصادية وتفاقم المشكلات الاجتماعية التي تواجهها المجتمعات المختلفة خاصة فئة الشباب التي لا تجد سبيلاً لتحقيق طموحاتها وتطلعاتها المستقبلية، فتقع ضحية أولئك الأشخاص وتعمل على العبث بعقولهم وعواطفهم لاستمالتهم وإقناعهم بعمليات إرهابية ضد المجتمع والدولة على السواء، على أساس أنها الوسيلة الوحيدة للتعبير عن رفضهم للواقع المرير الذين يعيشون فيه، ومن جهة أخرى «إن ظهور الأفكار والقيم السلوكية الجديدة في ظل العولمة وانتشارها وتبنّيها من قبل المجتمعات الأخرى بشكل أعمى, مما أفقد القيم الروحية والأخلاقية القديمة أهميتها ومكانتها خاصة بعد انهيار الأدوار الأسرية الأساسية والتنشئة الاجتماعية والتربية والتوجيه والتوعية لجيل الشباب»(٣٧). هذه السلوكيات الجديدة نجدها قد أفقدت الفرد والمجتمع الجانب القيمي والخلقي السوي والتوازن العقلاني في التفكير عند مواجهته للمشاكل والتحديات اليومية التي يواجهها (٣٨).

## المطلب الثاني

## أبرز دوافع الإرهاب في الوطن العربي

رغم انتشار ظاهرة الإرهاب في مختلف المناطق على مستوى العالم، إلا أن هناك ربطاً بين الإرهاب والحركات الإسلامية المتطرفة بصفة خاصة، استناداً إلى مجمل الأعمال الإرهابية التي تشهدها البيئة الدولية، والتي تصدر عن تنظيمات وفصائل وجماعات تنسب نفسها إلى الإسلام، وقد وجدت المنظمات

٣٥- للمزيد راجع، عز الدين، أحمد جلال، الإرهاب والعنف السياسي، الناشر، دار الحرية، ١٩٨٩م، ص١٥١

٣٦- للمزيد راجع، عبد اللطيف، خالد إبراهيم، الإرهاب الدولي، الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م، ص٦٩

٣٧- الإرهاب تاريخيا وسياسيا واجتماعيا ونفسيا، بحث، www.com.moqatel

٣٨- للمزيد راجع، عبد السلام هيثم، مفهوم الإرهاب في الشريعة، الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص١٣٨

والجماعات المتطرفة طريقها إلى المنطقة في إطار المخططات الرامية عبر تأجيج الصراعات الطائفية والإيديولوجية والعرقية, وبثّ الفتن بين أفراد المجتمع. في هذا السياق تشهد بعض من الدول العربية في الوقت الراهن تحدّياً رئيسياً لأمنها القومي يتمثل في انتشار هذه الظاهرة, والتي تهدف إلى زعزعة أمن واستقرار تلك الدول والعمل على تهديد مواطنيها ومؤسساتها, وإجهاض أجهزتها الأمنية وقواتها المسلحة تمهيداً لإسقاط الدولة ودخولها ضمن زمرة الدول الفاشلة. ولقد برز جلياً دور التنظيمات المتطرفة والإرهابية في التغييرات التي طرأت على العديد من الأنظمة السياسية في المنطقة العربية خلال السنوات الأخيرة.

## نشأة جريمة الإرهاب في الوطن العربي:

بالعودة إلى تاريخ الإرهاب نجده قديماً قِدَم الوجود البشري على سطح الأرض, فالدول العربية كغيرها عرفت ظاهرة الإرهاب عبر مختلف العصور والأزمنة التي مرت عليها, ولعلّ أكبر تطور لهذه الظاهرة عرفته المنطقة هو أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م, وما تبعتْه من تداعيات لمواجهة جريمة الإرهاب واعتبار المسلمين والعرب أول المتهمين بالأعمال الإرهابية. كما عرف الوسط العربي تحولاً كبيراً جرّاء الحركات الاحتجاجية أو ما يُسمى بالربيع العربي المطالبة بالحرية والديمقراطية عام ٢٠١١م, الأمر الذي تسبّب في إسقاط بعض الأنظمة السياسية, فاتسعت الفجوة بين الشعب والسلطة وانتشرت الفوضى, هذا الوضع كان قد استغلته الجماعات الإرهابية للتوغل أكثر في قلب الأمة العربية وفرض سيطرتها ونشر ثقافتها, وهو ما انعكس سلبا على سياسات هذه الدول بصفة عامة والأفراد والأبرياء بصفة خاصة.

## أسباب جريمة الإرهاب في الوطن العربي:

### أولا. الأسباب السياسية:

إن معظم العمليات الإرهابية في الوطن العربي تكمن وراء دافع سياسي, مثل أعمال العنف والإرهاب من أجل الحصول على حق تقرير المصير, أو توجيه الرأي العالمي أو لممارسة ضغط على دولة ما. ويحدث الإرهاب كذلك نتيجة للتحول السياسي مثلما حدث في أغلب الدول العربية, حيث أنّ أغلب التحولات الديمقراطية عرفت عنفاً منظّماً, كما في الجزائر وليبيا وسوريا, وهذا كان نتيجة عدّة أسباب؛ أوّلها حرمان الأحزاب السياسية وأغلب ممثّلي الشعب من حرية الاعتراف بها, والسبب الثاني, غياب الحوار الوطني وعدم وجود مجتمع مدني يشارك في توجيه القضايا السياسية المصيرية للأمة, كما يمكن أن ترتبط الأسباب السياسية في التدخل الخارجي كما حدث في العراق. وممّا سبق يمكننا القول: إن الباعث السياسي يُعدّ سبباً رئيسياً في ظهور الإرهاب وانتشاره وتوسّع نشاطه (٣٩).

### ثانيا. الأسباب الاقتصادية:

مع التطور الذي شهِده العالم وظهور ما يُسمى بالعولمة أصبحت معظم دول العالم الثالث تابعة إن لم نقل خاضعة اقتصادياً لدول العالم الغربي الرائدة في هذا المجال, محققة بذلك المساعي التي جاءت بها العولمة» والمتمثلة في صندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية وغيرها من الآليات الأخرى التي شجعت على خصوصية القطاعات, الأمر الذي أدى إلى غياب التكافؤ بين أفراد المجتمع الواحد, فاغتنى الغني أكثر وافتقر الفقير وانتشرت البطالة وغيرها من الآفات السلبية التي ساعدت على ظهور الإرهاب وتوسّع نشاطاته وأعماله»(٤٠).

---

٣٩- للمزيد راجع، بوجليطة بو علي، أحميدي، سياسات مكافحة الإرهاب في الوطن العربي، دراسة مقارنة بين الجزائر ومصر، مذكرة ماجستير، كلية العلوم السياسية والإعلام، الجزائر، ٢٠١٠م، ص٣٤، و عطية، أدريس، الإرهاب في أفريقيا، دراسة في الظاهرة وآليات مواجهتها، مذكرة ماجستير، كلية العلوم السياسية والإعلام، الجزائر، ٢٠١١م، ص٦٧

٤٠- شهاب، هيثم فاتح، جريمة الإرهاب وسبل مكافحتها في التشريعات الجزائرية المقارنة ، الناشر، دار الثقافة، عمان، ٢٠١٠م، ص ٥٠

والمجتمع العربي كغيره تأثر بهذا التطور، مما أدى إلى «تدهور النظام الاقتصادي في معظم الدول العربية، وظهور بعض الطبقات التي عرفت ثراء فاحشاً من خلال اختلاس أموال الخزينة العمومية والاستيلاء على الاقتصاد القومي، في حين تعيش طبقة أخرى من المجتمع حالة البطالة وأزمة السكن وانتشار كل أنواع الفساد الاقتصادي» (٤١).

من هنا يتبين لنا أن العامل الاقتصادي «يؤثر بشكل مباشر على انتشار جرائم الإرهاب، حيث يرتبط هذا العامل بانتشار الجريمة في المجتمعات بسبب التوزيع الطبقي للمجتمع الصناعي والتقلبات التي يعرفها الاقتصاد، مما جعل المساواة في توزيع الثروات الاقتصادية غائبة تماماً، الشيء الذي يساعد على قيام العمليات الإرهابية بغرض الاحتجاج والاعتراض على الوضع السائد»(٤٢).

**ثالثا. الأسباب الاجتماعية:**

تُعد الأسباب الاجتماعية أحد العوامل الرئيسة لظهور الإرهاب وانتشاره، وذلك عائد إلى الدور الذي يلعبه المجتمع، وكيفية نشأة أفراده وتربيتهم وتوفير كافة احتياجاتهم، ولكن عند غياب العدالة الاجتماعية في المجتمعات والتي تُعتبر من أهم ركائزه التي يقوم عليها السلم والأمن، تبرز هذه الظاهرة بصورة كبيرة. وبالعودة إلى المجتمعات العربية نجدها مليئة بالتغييرات الاجتماعية، والتي ساعدت بشكل كبير إلى تفاقم ظاهرة الإرهاب وتفشيها. ولعل من بين أهم الأسباب الاجتماعية زيادة نسبة البطالة بين الشباب الذين كانوا هدفاً سهلاً للجماعات الإرهابية والمتطرفة التي أقنعتهم بالانضمام إليها وبكل سهولة. كما أن تشوّه البناء الاجتماعي والثقافي لشعوب الوطن العربي ساهم في انتشار ظاهرة الهجرة غير الشرعية للشباب وهروب الأدمغة، بالإضافة إلى تفاقم الجريمة والمشاكل الاجتماعية، وكذلك غياب البرامج الاجتماعية أو استغلالها من قبل فئات ليست بحاجة إليها. كل هذه الأوضاع زادت من تفاقم أوضاع الفئات المحرومة في معظم البلدان العربية، والتي هيّئت لظهور جيل من الشباب الحاقد على المجتمع وعلى الدولة وعلى السلطة (٤٣).

**رابعا. الأسباب الدينية:**

يُعتبر العامل الدينيّ من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الجماعات الإسلامية المتطرفة ذات الفكر الديني المتطرف, فلقد كان الفراغ الفكري والفهم الخاطئ للدين «هدفاً سهلاً للجماعات المتطرفة التي تقوم على تعبئة هذا الفراغ الفكري بما تشاء، ويعود السبب الرئيسي لهذا الفراغ الفكري إلى افتقار الحوار من قبل علماء الدين ومناقشتهم لهذه الأفكار المتطرفة، ومحاولة القضاء عليها، واستبدالها بأفكار بنّاءة توجّه المجتمع، وتفيد شبابه. ولعل من أهم الأسباب الدينية التي ساعدت على ظهور الجماعات المتطرفة، التشدد والغلوّ في الدين الذي يكونان نتيجة للفهم الخاطئ لمقاصد الدين والشريعة الإسلامية، والذي تغذّيه عدة عوامل تساعد على انتشاره ونموّه، من بينها استفزاز المشاعر الدينية لدى الشباب عن طريق تشويه الإسلام»(٤٤).

## المبحث الثاني
## الآثار الناجمة عن جريمة الإرهاب وطرق مكافحته

**وسنتطرق في هذا المبحث إلى مطلبين وهما:**

المطلب الأول: **الآثار الناجمة عن جريمة الإرهاب.**

المطلب الثاني: **نحو استراتيجية لمكافحة الإرهاب.**

٤١- العموش، أحمد فلاح، مكافحة الإرهاب، الناشر، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ١٩٩٠م، ص١٠١

٤٢- الإرهاب وحدود التمكين لحقوق الإنسان، مصدر سابق، ص٣٤

٤٣- للمزيد راجع، قبراط، محمد مسعود، الإرهاب دراسة البرامج الوطنية واستراتيجية مكافحته، الناشر، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠١١م، ص٦٩ص٧٠

٤٤- ليدية، شرشور، ومحند، إقجطال، التعاون العربي في مكافحة جريمة الإرهاب، مذكرة لينل شهادة الماجستير في القانون العام، جامعة عبد الرحمن ميرة، الجزائر، ٢٠١٦م، ص19

## المطلب الأول

## الآثار الناجمة عن جريمة الإرهاب

نظراً لتدهور الأوضاع في المنطقة العربية نتيجة الحروب والحركات الانفصالية التي تعيشها الكثير من الدولة العربية، والتي لعب الإرهاب دوراً كبيراً فيها، مما أثر على حياة الأفراد، وكذلك على استقرار الدول داخلياً وخارجياً، سنتناول في هذا المطلب الآثار الناجمة عن جريمة الإرهاب.

### أولا. الآثار التي يخلفها الإرهاب على الدولة والأفراد:

يُعتبر الإرهاب من أهم الأسباب التي تهدد أمن واستقرار الدولة، فتطور وتقدم أي بلد يعتمد على استقرار أمنه الداخلي, ويؤثر الإرهاب على الدولة من عدة جوانب، ففي الجانب السياسيّ يؤثر في العلاقات السياسية بين الدول, كما أنّ للإرهاب أثره الاجتماعي على الدولة، حيث تسعى الجماعات المتطرّفة إلى إحداث الفتن والانشقاقات بين مختلف الفصائل والمذاهب الموجودة في تلك الدولة. لقد كان للأعمال الإرهابية «آثارها على الجميع، ولا تقتصر على من يقوم بها فقط، وقد كان للممارسات الإرهابية التي وقعت في بلاد الغرب أو في بلاد المسلمين تأثيرات سلبية كبيرة على مصالح المسلمين، والإضرار بمكانة المسلمين في العالم، هذا فضلاً عن الخسائر في الأرواح والممتلكات, وهذه الأضرار لا تقتصر على الخسائر المادية فحسب، بل تشمل الخسائر المعنوية أيضاً، وهذه الخسائر أكثر ضرراً على المستوى البعيد من الخسائر المادية»(٤٥). يهدد الإرهاب أمن واستقرار الأفراد سواء على أرواحهم أو ممتلكاتهم؛ فالأعمال الإرهابية تحدث آثار سلبية مؤلمة على أفراد المجتمع، حيث تنتهك حقوقه بأبشع الطرق الإجرامية، كالحق في الحياة والأمن والاستقرار والسلام, ولقد أدى انتشار الإرهاب وتزايد العمليات الإجرامية إلى اغتصاب الكثير من حقوق الأفراد الأساسية (٤٦).

### ثانيا. الآثار التي تخلفها الحرب على الإرهاب:

لقد أفرزت مكافحة الإرهاب انعكاسات سلبية على عدة أصعدة، وأدت إلى خرق العديد من قواعد القانون الدولي خاصة في الوطن العربي، وهذا نتيجة للفهم الخاطئ الذي استقر عليه العالم العربي فيما يخص الإرهاب، مما أدى إلى ظهور فكرة الإرهاب الإسلاموي، ومن هذا المنطلق اتّخذت الولايات المتحدة الأمريكيّة، والدول الحليفة لها استراتيجيّة مكافحة ظاهرة الإرهاب، والتي أدّت إلى خرق العديد من قواعد القانون الدولي العام, لاسيما في الوطن العربي, ومن بين الانعكاسات السلبية التي أفرزتها الحرب على الإرهاب كذلك هو انتهاك حقوق الإنسان، حيث أنّ الكثير من الدول سعت إلى إصدار قوانين تشمل نصوصاً مشدّدة وإجراءات غير مألوفة، ممّا يتناقض مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، كما أدّت مواجهات الظاهرة الإرهابية في العديد من الدول إلى انتهاك حقوق الإنسان, وأفرزت تداعيات سلبية على الحريات المدنيّة والتوسّع في تطبيق عقوبة الإعدام والاعتقالات العشوائية.

لقد أصبح الإرهاب اليوم «سلاحاً تستخدمه بعض الدول كبديل للحرب التقليدية في صراعاتها نحو تحقيق مصالحها وأهدافها, بغضّ النظر عن مشروعية الوسائل القانونية المستعملة لمكافحة الإرهاب, ولقد خرقت الولايات المتحدة الأمريكية والدول الحليفة لها في حروبها على الإرهاب العديد من قواعد القانون الدولي, وأهمها خرق مبدأ السيادة، وخرق مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول»(٤٧). ويشير الواقع إلى زيادة انتهاك

٤٥- اليوسف، عبد الله، أحمد، الإرهاب أضراره وعلاجه، https://org.annabaa

٤٦- ليدية، شرشور، ومحند، إقجطال، التعاون العربي في مكافحة جريمة الإرهاب، مصدر سابق، ص٢٢ص٢٣

٤٧- علي، لونيسي، آليات مكافحة الإرهاب الدولي بين فاعلية القانون الدولي ودوافع الممارسات الدولية الانفرادية، رسالة دكتوراه في القانون، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٢م، ص٤٥٨

حقوق الإنسان في سياق مكافحة الإرهاب, مثل زيادة المحاكمات العسكرية, والاعتقالات الطويلة والمعاملات القاسية أثناء استجواب المواطنين, ومصادرة الممتلكات, وإغلاق المحطات الفضائية والصحف وتجميد الحسابات المصرفية. وتجدر الإشارة إلى أنه في الدول الغربية سُنّت قوانين لمكافحة الإرهاب حسب العرق والدين والأصل, بيد أن العالم الغربي قد شهد عاصفة من التمييز القانوني ضد الإسلام والمسلمين والعرب (٤٨).

**ثالثا. الآثار الاقتصادية للإرهاب:**

يُجمِع علماء الاقتصاد بصفة عامة والاقتصاد الإسلامي بصفة خاصة على أنّ الإرهاب يؤدي إلى الخوف والفزع والقلق والخلل في آليات المعاملات الاقتصادية, وهذا يقود إلى التخلف وضنك الحياة, وهذا ما نشاهده بعد كل عملية إرهابية, حيث نجد خللاً في أسواق النقد والمال والبورصات, وارتفاع الأسعار وظهور السوق السوداء, وهروب الاستثمار إلى الخارج, وهذه الآثار جميعاً تقود إلى خلل في آلية المعاملات الاقتصادية ومن ثم إلى إعاقة التنمية. إنّ التخريب في البنية الأساسية والتي تُعتبر من مقومات التنمية بسبب العمليات الإرهابية, يُعتبر تدميراً للاقتصاد ويتطلب أموالاً باهظة لإعادة بنائها وتعميرها, وهذا كله على حساب الاستثمارات التنموية, كما أنّ التصدي للإرهاب ومحاربته يحتاج إلى نفقات وتكاليف باهظة كان من الممكن أن توجَّه إلى مشروعات تنمويّة فيما لو كانت الحياة آمنة مستقرة, بالإضافة إلى أن انتشار الخوف والرعب والحذر واليقظة بين الناس بسبب توقع حدوث عمليات إرهابية, يقلل من الإنتاج ويضعف الإنتاجية (٤٩).

وقد خلصت بعض الدراسات إلى «أنّ أثر الإرهاب

٤٨- للمزيد راجع، هيكل، فتوح أبو الذهب، التدخل الدولي لمكافحة الإرهاب وانعكاساته على السيادة الوطنية، الناشر، مركز الإدراك للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دبي، ٢٠١٤م، ص١٣٧ص١٣٨

٤٩- شحاتة، حسين، الإرهاب وأبعاده الاقتصادية والعلاج الإسلامي، بحث، com.darelmashora.www

> **إن التبنّي الأعمى من قبل المجتمعات الأخرى للأفكار والقيم السلوكية الجديدة في ظل العولمة, قد أفقدت القيم الروحية والأخلاقية القديمة أهميتها ومكانتها خاصة بعد انهيار الأدوار الأسرية الأساسية والتنشئة الاجتماعية والتربية والتوجيه والتوعية لجيل الشباب. هذه السلوكيات الجديدة نجدها قد أفقدت الفرد والمجتمع الجانب القيمي والخلقي السوي والتوازن العقلاني في التفكير عند مواجهته للمشاكل والتحديات اليومية التي يواجهها.**

على الإنتاج في الاقتصاديات المتقدمة أقل بكثير بما هو الحال عليه الاقتصاديات النامية. فلو أدى الإرهاب إلى تعطيل أنشطة إنتاجية في قطاع واحد في اقتصاد متنوّع يمكن أن تتدفّق الموارد بسهولة إلى قطاع آخر لم يتضرّر, ناهيك عن قدرة الاقتصاديات الغنيّة على تخصيص جزء من مواردها لمواجهة الإرهاب, نظراً لامتلاكها قدراً أكبر وأفضل من الموارد, الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى خفض الأنشطة الإرهابية, لكنّ هذا الأمر غير موجود في الاقتصاديات النامية والضعيفة ذات القطاعات الإنتاجية المحدودة, فالموارد يمكن أن تتدفق من قطاع متضرر إلى أنشطة أقل إنتاجية داخل البلد, كما أنّ الاقتصاديات النامية تفتقر إلى الموارد المتخصصة التي يمكن استخدامها في مكافحة الإرهاب, الأمر الذي سينعكس على المستثمرين والمنتجين ويخوّفهم»(٥٠).

٥٠- طنش، خلود أحمد، الجوانب الاقتصادية لظاهرة الإرهاب من منظور اقتصادي إسلامي، الناشر، المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، المجلد ١٣، العدد ٤، ٢٠١٧م، ص٤٦٦، aabu.repository.www. jo.edu

**رابعا. أثر الإرهاب على السياسة الدولية:**

إن المتغيرات الحاصلة في حقل السياسة والعلاقات الدولية وتشكيل هياكل ذلك النظام الدولي الراهن, قد تأثرت كثيراً بتلك التفاعلات والأنشطة الدولية الاستثنائية, والتي دفعت ببعض دول العالم إلى أن ترتبط بعلاقة صريحة ومباشرة مع بعض التنظيمات المتطرفة, التي تؤكد اتجاه هياكل بنائها ووحداتها التقليدية إلى مسارات في التغيير بإقامة علاقات قائمة على أنشطة يبدو أنها خرجت بالفعل من دائرة المنطق والعقلانية وحتى المشروعية, إلى دائرة الفوضى والاضطراب واللامشروعيّة الدولية. لقد ذهبت بعض الدول من أجل التخلص من عقدة الخوف والرغبة في عدم مواجهة هذه التنظيمات, أو لتفادي مزيد من الخسائر إلى خيارات الهدنة أو حتى الابتعاد عن التدخل, فيما اتخذ النموذج الآخر شكل التعاون السرّي, والدليل على ذلك هو استمرار تعاون بعض الدول الكبرى وحتى بعض الوحدات الدولية الصغيرة مع تلك التنظيمات الدولية بطرق مباشرة أو غير مباشرة منذ عقود طويلة وحتى الآن, حيث يجد المتتبع لتاريخ التنظيمات الإرهابية وعلاقاتها مع العديد من دول العالم, الكثير من التناقضات بين الواقع على الأرض ولغة الخطاب السياسي المعلن في ما وراء الحرب على الإرهاب, بل والأخطر من ذلك هو تحوّل تلك العلاقة إلى علاقة تعاون وشراكة وتبادل للمصالح تُستثمر لبقاء واستمرار أطرافها على رقعة الشطرنج الدولية, في وقت تتوسع فيه قوة تلك التنظيمات وتتزايد مخاطر انتشارها أو حتى تطور استراتيجياتها وأشكال بنائها التنظيمية (٥١).

لقد كان للأحداث الإرهابية في العالم «الأثر الكبير في تغيير استراتيجيات العلاقات الدولية بين الدول, وبعد أن كانت في معزل عن إقامة علاقات تصالح لأسباب سياسية فها هي تسعى مجدداً لإعادة تلك العلاقات لهدف أو لآخر بشكل يكفل لها الحماية من أي اعتداء إرهابي قد يعرض لأمنها واستقرارها الدولي. لذا تبقى العلاقات الدولية مرهونة بالمصالح والسياسات المشتركة بعيداً عن أي علاقات أخرى لا تهدف إلى مصالحها, في ظل وجود الصراعات المحيطة بها. لذلك يظل التصالح الدولي هو الأمن والحرية والسلام في إطار السياسات المشتركة بين دول العالم»(٥٢).

## المطلب الثاني

## نحو استراتيجيّة لمكافحة الإرهاب

لا تكفي ردود الفعل للقضاء على الإرهاب والتطرف, الأمر يحتاج إلى خطة طويلة الأمد واستراتيجيّة اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية وقانونية وتربوية, بهدف اجتثاث هذه الظاهرة من جذورها وتجفيف منابعها الفكرية والسياسية والثقافية, وهذا يتطلب اعتماد القانون وتطبيق مبادئ المساواة والشراكة وعدم التمييز والعدالة, لاسيما العدالة الاجتماعية, بالإضافة إلى الحريات, مثل حرية التعبير, وحق التنظيم الحزبي والنقابي والمهني وحق الاعتقاد والحق في المشاركة في تولي المناصب العليا دون تمييز. إن الفكر المتطرف والتكفيري «يَعتبر كل خلاف معه محرّماً, وعليه إقصاؤه وإلغاؤه واستئصاله, والإرهابي لا يؤمن بالحوار ويحاول أن يبسط سلطانه على محيطه بالقوة, وبدلاً من الإقناع يلجأ إلى التفجير والمفخخات خارج أي اعتبار إنساني, حيث يسعى للوصول إلى هدفه بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة, وقد تكون هذه الأخيرة مشروعة طالما يحاول أدلجة سلوكه, وإعطاء نفسه مبررات لقمع الآخر أو لتصفيته, سواء كان ذلك بزعم الدخول إلى الجنة أو إبادة الخصم الكافر أو القضاء على المُروق والإلحاد, أو مصلحة الحزب والثورة أو تحرير فلسطين أو مصالح الكادحين, أو غير ذلك من

٥١- الفطيسي، محمد بن سعد، أثر التنظيمات الإرهابية على مستقبل العلاقات الدولية، مقال، ٢٠١٩م، com.alwatan.www

٥٢- الحربي، أمل، الإرهاب في العلاقات الدولية، ٢٠١٦م، https://: com.makkahnewspaper

محاولات إخضاع الآخر»(٥٣).

لقد دمّر الإرهاب القائم على التطرف والتكفير علاقات المجتمعات مع بعضها، وأضرّ بعلاقات فئاتها وأديانها ومذاهبها وأفرادها، مثلما أشبع المجتمعات الدولية، ولكن الكارثة الأكبر هي السيطرة على عقول الشباب أفراداً وجماعات والعبث بها، خصوصاً بزراعة الكراهية وتبرير العدوان وإيجاد الذرائع لإقصاء الآخرين واستسهال عمليات القتل والتفجير (٥٤).

لقد احتلت ظاهرة الإرهاب مساحة واسعة ومهمة على الصعيد القانوني في أوروبا، نظراً لاتساع خطورة العمليات الإرهابية التي تفاقمت على مرّ السنوات القليلة الماضية، ونتيجة لذلك واجه التنظيم القانوني الوطني الكثير من التحديات عند صياغته لقوانين مكافحة الإرهاب، فعلى الرغم من وجود ظاهرة الإرهاب بشكله المعاصر في أوروبا منذ سبعينيات القرن الماضي، إلا أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر ألقت بظلالها على طبيعة التشريعات القانونية الوطنية الخاصة بمكافحة الإرهاب، والأخير خلق إشكالية كبيرة تمثلت بعدم قدرة تلك الدول للتوفيق بين عملية تطبيق تلك القوانين والحفاظ على حقوق الإنسان واحترامها وصيانتها، فالدول الأوروبية كدول ديمقراطية يحقّ لها اتخاذ تدابير وقائية رادعة لتحمي نفسها من التهديدات الإرهابية، والتي تمس مبادئها واستقرارها الأمني وفقا للقوانين الدستوريّة والدوليّة، ومع ذلك فإنّ مسألة اتّخاذ تلك التدابير يجب أن تكون مقيّدة، ومراعية للمعايير الدولية الخاصة بحماية حقوق الإنسان (٥٥).

## دور المؤسسات الأهليّة في مكافحة الإرهاب:

تعتمد أيّة استراتيجيّة وطنية لمكافحة الإرهاب على التنسيق بين الأجهزة الأمنية والاجتماعية وكل المواطنين، ويتعيّن تضافر جهود كل مؤسسات الدولة مع إشراك المواطنين في مكافحة الإرهاب، وذلك من خلال دور المؤسسات الشعبية في مكافحة الإرهاب، حيث تسعى تلك المؤسسات لمساعدة الأفراد خاصة الطبقة المهمّشة على إدماجها ونشر الوعي وتوسيع نطاق الحريات وتقديم خدمات إنسانية واجتماعية، وعليه فهذه المؤسسات أكثر اتصالاً بأفراد المجتمع وأكثر وعياً بحقوقهم، مما يجعل لديها القدرة والمرونة الكبيرة في تحفيز الأفراد والجماعات للمشاركة في أعمالها التي تهدف إلى مكافحة الإرهاب وتقصّي الأفراد الممارسين للأعمال الإرهابية. كما أنّ مشاركة هذه المؤسسات في عملية مكافحة الإرهاب سوف يساعد على الحفاظ على التوازن بين الأمن الجماعي والحريات الفردية، وبهذا تعزز تماسك المجتمع.

وتجدر الإشارة إلى دور الجمعيات الخيرية في مكافحة الإرهاب، حيث غالباً ما يشرف على هذه الجمعيات صفوة اجتماعية تقوم بتوفير الخدمات المالية والعينية للفقراء، وبالتالي فهي تبعد الجريمة عن قطاع في المجتمع من السهل انجرافه نحو الإرهاب، كما تقوم المؤسسات الدينية بدور هام جداً في مكافحة الإرهاب من خلال الإفتاء والإرشاد والدعوة إلى الإسلام المعتدل والتصدي للفتاوى المضللة، وإقامة الحجة على مخالفتها للشرع الإسلامي وبيان الآثار الخطيرة للإرهاب في المجتمع. إن الواقع يُشير إلى وجود وعي اجتماعي متزايد بدور القطاع غير الحكومي في مواجهة الإرهاب، وتناول العواقب المترتبة على التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بل إن في الوقت الحاضر أصبحت المؤسسات الأهلية

٥٣- شعبان، عبد الحسين، التطرف والإرهاب إشكالية نظرية وتحديات عملية، كراسات علمية، العدد 42، الناشر، مكتبة الإسكندرية، ص24

٥٤- شعبان، عبد الحسين، التطرف والإرهاب إشكالية نظرية وتحديات عملية، مصدر سابق، ص٢٢ص٢٣

٥٥- للمزيد راجع، الإرهاب الدولي، الناشر، جامعة الإسكندرية، ٢٠١٠م، ص٣٤

تسهم بفعالية أكثر في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الدول كافة. ومن المعتقَد أن هذه المؤسسات تحرّك وتنظم المواطنين للمساهمة الفعالة المباشرة وغير المباشرة في نهضة البلاد (٥٦).

## دور مؤسسات الدولة الرسمية في مكافحة الإرهاب:

يقع على عاتق الدولة ومؤسساتها الرسمية الدور الريادي في مكافحة الإرهاب، وذلك من خلال وضع تشريعات متكاملة تُجرِّم فيها الأعمال الإرهابية، وتُرصد فيها عقوبات مشددة، حيث يجب على الدولة منع وقوع الجريمة الإرهابية أساساً من خلال تحديث المؤسسات الأمنية وتطويرها عبر إنشاء جهاز متخصص في مكافحة الإرهاب، بالإضافة إلى ضرورة تبنّي الدول لسياسة ثابتة ومعلنة، يتطلب الأمر فيها إلى توفير نظام فعّال يرتقي بأسلوب الممارسة الأمنية ويوفق بين الأدوار المختلفة للأجهزة الأمنية، ودورها في حماية حقوق الإنسان حتى إنْ كان مجرماً، واتخاذ كافة التدابير اللازمة بإعادة تأهيل السجناء بطريقة متوازنة بين إرضاء العدالة وبين دفاع المجتمع ضد الإجرام (٥٧).

## الاستراتيجيّة العربية لمكافحة الإرهاب:

في سياق الجهود الإقليمية لمكافحة الإرهاب اتخذت الدول العربية بدورها العديد من الخطوات الإيجابية للحد من تنامي مخاطر الأعمال الإرهابية وسبل مكافحتها، وقد تبلورت أولى الجهود العربية الهادفة إلى مكافحة الإرهاب في الاستراتيجيّة الأمنية العربية المعتمَدة من قبل وزراء الداخلية العرب سنة ١٩٨٣م، التي نصّت على ضرورة الحفاظ على أمن الوطن العربي وحمايته من الأعمال الإرهابية سواء الموجهة من الداخل أو الخارج، وتواصلت الجهود والمشاورات للوصول إلى اتفاقية عربية لمكافحة الإرهاب، إلا أنها تعثّرت خلال فترة التسعينيات بسبب ما يُعرف بحرب الخليج. وبعد العديد من المشاورات وقّع وزراء الداخلية العرب اتفاقية موحدة لمكافحة الإرهاب تحت ما يسمى الاستراتيجيّة العربية لمكافحة الإرهاب.

لقد تنامى خطر الإرهاب في الوطن العربي بوتيرة متسارعة لدرجة أصبح يهدّد أمن واستقرار المنطقة بشكل خاص وفي كل الجوانب، فوجدت الدول العربية نفسها أمام عدوّ مشترك اسمه الإرهاب، ممّا دفعها إلى وضع استراتيجيّة فعّالة هادفة لمواجهة هذه الظاهرة من خلال تعزيز التعاون فيما بينها بإبرام الاتفاقيات والمعاهدات واتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة الإرهاب. لقد كانت ثمرة هذه الجهود العربية بعقد الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب والتي دخلت حيز التنفيذ عام ١٩٩٩م، وكذلك الاتفاقية العربية لمكافحة جرائم غسيل الأموال وتمويل الإرهاب، والتي جاءت مكملة للأولى (٥٨).

كما كثّفت دول مجلس تعاون الخليج العربي مساعيها رغبة في الوصول إلى استراتيجيّة أمنية لمكافحة الإرهاب، حيث وبعد العديد من المشاورات والاجتماعات أبرمت في عام ٢٠٠٤م، الاتفاقية الأمنية لمكافحة الإرهاب بهدف التعاون وتنسيق الجهود فيما بينها لمحاربة الإرهاب، فقد أكدت ديباجة الاتفاقية على التزام دول مجلس التعاون الخليجي بالمبادئ الدينية والأخلاقية والتراث الحضاري والإنساني للمجتمع الدولي، والأمتين العربية والإسلامية، وقيم وتقاليد المجتمع الخليجي، والتي تدعو جميعها إلى نبذ العنف والإرهاب بكافة أشكاله وصوره، وتؤكد على أن الإرهاب لا يمكن تبريره بأي ظرف أو باعث أو غاية، وبالتالي يجب

٥٦- الإرهاب والقرصنة البحرية، الناشر، جامعة نايف للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، ٢٠٠٦م، ص١٣ص١٣١ ولاحقا

٥٧- الإرهاب وحدود التمكين لحقوق الإنسان، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، مصدر سابق، ص ١٩٠

٥٨- عيسى محمود ضياء الدين، التنظيمات الإرهابية في الدول العربية وإجراءات مواجهتها، الناشر، مجلة الأمن العربي، العدد الأول، ٢٠١٧م، ص٢٤

مكافحته بجميع أشكاله ومظاهره بغضّ النظر عن أساسه وأسبابه وأهدافه، وتأكيداً على حق الشعوب في الكفاح ضد الاحتلال الأجنبي والعدوان بمختلف الوسائل، بما في ذلك الكفاح المسلح من أجل تحرير أراضيها(٥٩).

## دور المنظمات الدولية والإقليمية في مكافحة الإرهاب الدولي:

مع تزايد عمليات الإرهاب الدولي اهتمت العديد من المنظمات الدولية والإقليمية بمناقشتها ودراستها، وذلك للقضاء عليها أو التقليل من حدّتها، فالمنظمات الدولية والإقليمية لها دور كبير في مكافحة الإرهاب. فقد اهتمت الأمم المتحدة بالبحث في ظاهرة الإرهاب، وذلك عندما بدأت عمليات خطف الطائرات بالازدياد في بداية السبعينيات واحتجاز المبعوثين الدبلوماسيين، من خلال وضع تعريف مناسب للإرهاب والأسباب التي تؤدي إليه وكيفية علاجه، وكذلك فإنها اهتمت بتشكيل اللجان اللازمة لإعداد اتفاقيات دولية منظمة في إطار التعاون الدولي لمنع وقوع بعض أشكال الإرهاب، بيد أن قبل أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م، كان موضوع الإرهاب الدولي لم يشكل بعدُ حيزاً كبيراً في منظمة الأمم المتحدة، ولكن بعد هذه الأحداث ظهر موضوع الإرهاب الدولي وشغل حيزاً كبيراً في مجلس الأمن. أما الجمعية العامة للأمم المتحدة فكان لها هي الأخرى دور مهمّ في مكافحة الإرهاب، فقد صدر إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الخامسة والعشرين عام ١٩٧٠م، حيث تضمّن واجب كل دولة بالامتناع عن تشجيع الأعمال الإرهابية على إقليم دولة أخرى، أو تقديم المساعدة للإرهابيين، أو السماح لهم بالعمل على إقليمها أو من خلاله (٦٠).

أما على المستوى الإقليمي فقد تمّ إبرام عدد من الاتفاقيات التي تختص بمكافحة الإرهاب، وقد بدأت الفكرة من القارة الأمريكية بإبرام اتفاقية واشنطن في عام ١٩٧١م، التي أعدتها منظمة الدول الأمريكية، أما في القارة الأوروبية فقد أبرمت الاتفاقية الأوروبية لمكافحة الإرهاب في ستراسبورغ في عام ١٩٧٧م. والجدير بالذكر في عام ١٩٩٩م، أبرمت اتفاقية «مينسك» في إطار كومنولث الدول المستقلة، حلفاء الاتحاد السوفيتي السابق لمكافحة الإرهاب (٦١).

## المعاهدات الدولية المناهضة للإرهاب:

تُعتبر اتفاقية طوكيو الخاصة بالجرائم وبعض الأفعال الأخرى المرتكبة على متن الطائرات والمبرمة في عام ١٩٦٣م، أول معاهدة دولية لمناهضة الإرهاب, وقد اعتُمدت بعض الاتفاقيات الأخرى في فترة السبعينات مثل، اتفاقية قمع الاستيلاء غير المشروع على الطائرات عام ١٩٧٠م، واتفاقية منع الجرائم المرتكبة ضد الأشخاص المتمتعين بحماية دولية بمن فيهم الموظفون الدبلوماسيون في عام ١٩٧٣م. وكذلك اتفاقية قمع الأعمال غير المشروعة الموجهة ضد سلامة الملاحة البحرية، والأعمال غير المشروعة الموجهة ضد سلامة المنشآت الثابتة. وقد شهد عقد التسعينات عقد عدة اتفاقيات كان من أهمها، الاتفاقية الدولية لقمع الهجمات الإرهابية بالقنابل عام ١٩٩٧م. وفي عام ٢٠٠٥م، اعتمدت الأمم المتحدة أهم اتفاقية والتي تخص قمع أعمال الإرهاب النووي (٦٢).

٥٩- الوافي، سامي، الإرهاب بين الاتفاقيات الدولية والتشريعات الوطنية، ٢٠١٧م، https://:democraticac.de

٦٠- رمضان، شريف عبد الحميد، الإرهاب الدولي أسبابه وطرق مكافحته في القانون الدولي والفقه الإسلامي دراسة مقارنة، ص١١٥٦ص١١٥٨ ولاحقا، https://:eg.ekb.journals.mksq

٦١- الأشعل، عبد الله، تطور الجهود القانونية الدولية لمكافحة الإرهاب، الناشر، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٤٩، ٢٠٠٢م، ص ٦٠

٦٢- أودونيل، دانيال، المعاهدات الدولية لمناهضة الإرهاب واستخدام الإرهاب أثناء النزاعات المسلحة من قبل القوات المسلحة، بحث، الناشر، المجلة الدولية للصليب الأحمر، المجلد ٨٨، العدد٨٦٤، ٢٠٠٦م، ص٢٠٤ص٢٠٥

# العصبيّة عند ابن خلدون

**فاطمة وحمان**
من المغرب

**ينطلق ابن خلدون في دراسته للعصبيّة، والأساس الذي تقوم عليه، والدور الذي تلعبه في الحياة الاجتماعية عموماً وحركة التاريخ خصوصاً، من فكرته في الوازع الذي جعله ضرورة من ضرورات الاجتماع والتعاون، فالمنطلق الأساسي لأبحاث ابن خلدون في العصبيّة؛ هو منطلق يستجيب تماماً لطبيعة المشكل الذي ملك عليه اهتمامه، وأيضا لطبيعة المعطيات الاجتماعية الخاصة بالمجتمعات.**

إنّ فكرة الوازع عند ابن خلدون تتدرّج من السلطة المعنوية لشيوخ البدو وكبارهم، إلى السلطة المادية. فبصفة عامة يعدّ الوازع بالنسبة له وازعاً اجتماعيّاً؛ باعتبارها سلطة اجتماعية تستمدّ خصائصها من نوع الحياة الاجتماعية السائدة. فهو لا يهتمّ بالوازع الذاتي؛ كالأخلاق والدين رغم أنّ الدين له دور في تقوية الروابط الاجتماعية في ظروف خاصة، بل يهتم أساساً بالوازع الأجنبي الذي تؤكّده القوة، سواء كانت قوة فرد أم جماعة. فهذا الوازع تفرضه ضرورة الاجتماع والتعاون، كما ورد في لسان العرب" أن العصبيّة هي "أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوِئُهم، ظالمين كانوا أو مظلومين" ومن هذا نستشف أنّ العصبة تقوم أساساً على القرابة، وأن تكون الملازمة، فهذان العنصران شرطان أساسيان وضروريان لوجود العصبة، فهي توجد بوجود الأفراد الذين تتشكّل منهم، وتبقى مستمرّة متفرغة بوجود أفرادها، وباستمرار نسلهم، فهي غير مقيدة بمكان خاصٍ أو زمان معيّنٍ، فرغم بُعد المسافات، سواءً المكانيّة أو الزمانيّة أو فصل الموت بينهم، يعتبرون أنفسهم يشكلون وحدة واحدة معهم، لأنّ الرابطة التي تربط بينهم رابطة دموية سيكولوجية تتعدّى الزمان والمكان.

إنّ شأن العصبيّ عند ابن خلدون يتناولها من الجانب الذي يهمّه بالدرجة الأولى، هو مفعولها السياسي، بمعنى أنّ ما يهم في العصبيّة عنده؛ هي النتائج السياسية التي تترتب عليها في أعلى درجات وجودها، وأرقى مراحل تطورها هي المرحلة التي تصبح فيها العصبيّة، باعتبارها اتفاق الأهواء على المطالبة.

## **المطلب الأول :** مفهوم العصبيّة وفعاليتها وفسادها

**من خلال هذا المطلب سنتناول مفهوم العصبية أولاً، وفعّاليتها، وفسادها ثانياً.**

### **أوّلاً :** مفهوم العصبيّة

**لغة:** هي شدّة ارتباط المرء بجماعته، والجد في نصرتها، والتعصب لمبادئها، والدعوة إلى نصرة عصبته، والتألّب معهم على أن ينالهم، ظالمين كانوا أو مظلومين، وقد تعصّبوا عليهم إذ تجمعوا، فإن تجمعوا على فريق آخر قيل تعصّبوا.

**اصطلاحا:** تعدّ العصبيّة من المصطلحات التي كانت شائعة الاستعمال في اللغة العربية، خاصة بعد الإسلام الذي أعطى لها معنى التنازع والفرقة والاعتداد بالأنساب، والتي استقرّت في الأذهان على اعتبار العصبيّة دعوة مفرقة تقوم على تناصر فريق ضد فريق آخر في حالَتَي النزاع والخصام، وهذا التناصر العصبيّ الذي يصطلح عليه أيضا بالنصرة القبلية، لا يستهدف إنصاف المظلوم، أو إقراراً بالحقّ، بل يقومُ هذا التناصر على مؤازرة المتعصب له، سواء كان على حق أم لا، وسواء كان ظالما أم مظلوماً.

### **ثانيا:** فعالية العصبيّة وفسادها

**- فعالية العصبيّة:**

**هناك شروط تتشكل فيها العصبية، وتصبح قوة فعّالة من بينها:**

القرابة والملازمة، وتعتبران شرطَين ضروريَين لوجود العصبيّة، فهي مستمرة باستمرار وجود الأفراد، واستمرار تناسلهم، فكما يجمع النسب أفراد العصبة الواحدة، أو عصائب القبيلة الواحدة، ويعمل على تفريق الأفراد الذين يربطهم نسب قريب أو بعيد، وغالبا ما كان للنسب الدور الفعّال الذي لا يمكن إهماله في إذكاء الصراعات القبيلة بين القبائل العربية، وذلك لأنه لا يصدق دفاعهم وانقيادهم، إلا إذا كانوا عصبيّة، وأهل نسب واحد، لأنّهم بذلك تشتدّ شوكتهم، ويخشى جانبهم، إذ أنّ نعرة كل أحد على نسبه وعصبيّته هي الأهمّ.

نقاء النسل والفضيلة ويوجد شرط ضروري لكي تؤدي العصبيّة على نيل الملك سواء في داخل القبيلة أو خارجها ذلك الشرط هو نقاء النسل، وهو نقاء يفوز به المتمسك بأصوله وأيضا هناك شرط مهم فبدونه تصبح العصبيّة كما يقول ابن خلدون "كشخص مقطع الأعضاء" وهو الفضيلة فهذه الأخيرة في نظر ابن خلدون ضرورية لمن يطمح إلى نيل الملك فالملك من يطمح إليه أن يكون عادلاً، كذلك يقول ابن خلدون: إن الملك هو خليفة الإله في أرضه، وأن الإله قد اختاره لينفّذَ أوامره.

أمّا المصلحة المشتركة فهي بمثابة القوى المحرّكة للعصبيّة، فالمصلحة المشتركة تجعل من العصبيّة متماسكة متضامنة، وعصبيّتها قوية صامدة، أما إذا تحوّلت المصلحة المشتركة للعصبيّة إلى مصالح شخصية، أو طغت هذه على تلك، فإنّ التضامن الذي كان بالأمس، ينقلب حينئذ إلى فُرقةٍ ونزاع، فتطغى الأنا الشخصيّة على الأنا العصبيّة، وتفسد العصبيّة.

بالإضافة إلى العدوان أو الصراع فيقظة العصبيّة تشترط وجود تهديد، وفاعليتها تشتدّ عندما تمس المصلحة المشتركة للجماعة، وهي المصلحة التي تتشكّل فيها أمور المعاش؛ العنصر الرئيسي والفعال. يرى ابن خلدون "أنّ الصراع من أجل البقاء يقع نتيجة قلة الموارد، لأنّ الناس في اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت، بالمقدار الذي يحفظ الحياة، ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه، وللعجز عما وراء ذلك...." فتجدهم يتنازعون ويفترقون من أجل مواطن الرزق فلا يمنعهم شيء من أن يعتدوا على ممتلكات غيرهم. "... فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه امتدت يده إلى أخذه....." فترى القبائل مسلّحة باستمرار، مهيّأة للدفاع أو الهجوم. "فطبيعتهم انتهاب ما في أيدي الناس، وأن رزقهم في ظلال رماحهم"

> **"إنّ فكرة الوازع عند ابن خلدون تتدرّج من السلطة المعنوية لشيوخ البدو وكبارهم، إلى السلطة المادية. فبصفة عامة يعدّ الوازع بالنسبة له وازعاً اجتماعيّاً؛ باعتبارها سلطة اجتماعية تستمدّ خصائصها من نوع الحياة الاجتماعية السائدة، فهو لا يهتمّ بالوازع الذاتي؛ كالأخلاق والدين رغم أنّ الدين له دور في تقوية الروابط الاجتماعية في ظروف خاصة"**

**- فساد العصبيّة:**

**من بين أسباب انكسار العصبية:**

**الترف والقهر:** إذ أنّ طبيعة الملك تعرف الترف، فأهل العصبيّة يأخذهم الترف أكثر من سواهم، لمكانهم من الملك والنعيم، فالترف والقهر عنصران هادمان، بحيث يصير القهر وجهً لمرض القلوب وغيرتها على الملك، فيخاف على ملكه فيأخذهم بالقتل والإهانة وسلب النعم الذي تعودوا عليها وعيشة الترف، فيهلكون ويقلون وتفسد عصبيّة صاحب الدولة منهم، فإذا كثر الترف في الدولة، وصار عطاؤهم تجاهها مقتصراً فقط على حاجياتهم منها، ونفقتهم للعيش بنفس المستوى، إذْ يحتاج صاحب الدولة إلى الزيادة دائماً حتى يسد خللهم، وبهذا ينقص عدد حاميه إلى أقل الأعداد بسبب تلاشي وانعدام ملازمته. فتضعف وتسقط الدولة، ويتطاول عليها كلّ من يجاورها من الدول، أو من تحت

وصايتها من القبائل والعصبيّات.

يقول ابن خلدون في هذا الصدد: "فإنّ من عوارض الترف والغرق في النعيم كاسر من سورة العصبيّة التي بها التغلب، إذا انقرضت العصبيّة قصر القبيل عن المدافعة والحماية فضلّ عن المطالبة، والتهمت الأمم سواهم، فقد تبين أن الترف من عوائق الملك".

وأيضا خاصيتا الخضوع والانقياد يكسران شوكة تشكّل وتلاحم العصبيّة، يقول ابن خلدون: "الخيرات والأموال بوجه من وجوه الاستغلال ولو كانت ضرائب ومغارم" لما بها من خضوع للقبيلة لأن في المغارم والضرائب ضيماً ومذلة لا يحتملان، وإنّ عصبيّتها تكون حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية؛ لأنّ المذلّة والانقياد كاسران للعصبيّة، وشدّتها، فإن انقيادهم ومذلّتهم دليلان على فقدانها، ومن كانت عصبيّته لا تدفع عنه الضيم فكيف له بالمقاومة والمطالبة، فالعصبيّة تكون حيث يكون الناس أحراراً من كل سلطة خارجية، سواء كانت سلطة الدولة أو سلطة عصبيّة غالبة مستبدة.

## **المطلب الثاني:** العصبيّة والسلطة في كل من مرحلة من مراحل العمران البدوي والحضري

سنتطرق في هذا المطلب إلى العصبيّة والسلطة في مرحلة العمران البدوي أولا، ثم العصبيّة والسلطة في مرحلة العمران الحضري.

### **أولا:** العصبيّة والسلطة في مرحلة العمران البدوي

بعد أن درس ابن خلدون مفهوم العصبيّة، وأسباب وجودها أو فقدانها، انتقل إلى موضوع في غاية الأهمية "الرئاسة"، مبيّناً دور العصبيّة فيه، والذي سيتطور في العمران الحضري إلى مفهوم الدولة، فخلال مرحلة العمران البدوي يوجد صراع بين مختلف العصبيّات على الرئاسة ضمن القبيلة الواحدة، باعتبار أنّ كلّ حيّ أو بطن من القبائل، وإن كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام، ففيهم أيضاً عصبيّات أخرى لأنساب خاصة هي أشد التحاماً من النسب العام، ومن هنا ينجم التنافس بين مختلف العصبيّات الخاصة على الرئاسة، إذْ تنتصر فيه العصبة الأقوى التي تحافظ على الرئاسة إلى أن تهزمها عصبة أخرى. فهذا هو سر اشتراط الغلب في العصبة، ومنه وجب استمرار الرئاسة في النصاب المخصوص.

لقد حدّد ابن خلدون مدة وراثة الرئاسة ضمن العصبيّة القوية بأربعة أجيال على العموم، وفي نهاية بحثه خلص إلى نتيجة حددت أن السلطة في تلك المرحلة، وهي مبنية أساساً على العصبيّة، بحيث لا يمكن أن تكون لها قائمة دونها.

### **ثانيا:** العصبيّة والسلطة في مرحلة العمران الحضري

الحضارة يقصد بها أسلوب الحياة الأرستقراطية المقدّمة في العاصمة، والتي تعيش من الإمارة، وهي مقرونة بالملك، وأهل الحضارة، وهم أهل الدولة في مرحلة هرمها.

انطلاقاً ممّا تطرّقنا إليه سابقاً واصل ابن خلدون تحليله على نفس النسق فيما يتعلّق بالسلطة في المجتمع الحضريّ، مبرزاً أنّ العصبيّة الخاصة بعد استيلائها على الرئاسة تسعى إلى ما هو أرقى، أي إلى فرض سلطتها وسيادتها على قبائل أخرى بالقوة؛ لجعلها تحت سيطرتها، وذلك عن طريق الحروب، للوصول إلى مرحلة الملك أو الدولة، والتي لا تتم إلا من خلال العصبيّة.

ومن خلال هذه المرحلة يبدأ العمران الحضري لتصبح السلطة التي تم تشكيلها تفكّر في تدعيم وضعها، آخذة بعين الاعتبار جميع

العصبيّات التابعة لها، حيث أنّها لم تعد تعتمد على عامل النسب، بل على عوامل اجتماعية وأخلاقية، يسمّيها ابن خلدون الخلال، ومن هنا تدخل الدولة في صراع مع عصبيّتها؛ لأن وجودها أصبح يتنافى عمليّاً مع وجود تلك العصبيّة التي كانت في بداية الأمر سبباً في قيامها، وبذلك تتوسّع قاعدة الملك، ويصبح الحاكم أقوى من ذي قبل.

تبلغ الدولة الجديدة قمّة مجدها في تلك المرحلة، ثم تأخذ في الانحدار شيئاً فشيئاً؛ بسبب كثرة الإنفاق على ملذّات الحياة، على الجيوش وعلى مختلف موظّفي الحكم... وبذلك يكون الحكم قد دخل مرحلة الهرم الذي ينتهي حتما بزواله، وقيام ملك جديد يمر بنفس الأطوار التي حدّدها ابن خلدون في خمس مراحل حددت في مرحلة الظفر والبغية؛ مرحلة الاستبداد على القوم والانفراد دونهم بالملك، مرحلة تحصيل ثمرات الملك، مرحلة القنوع والمسالمة، ثم مرحلة الإسراف والتبذير.

فما وقع في تونس، مصر كان بمثابة انتفاضة شعبية، وليست عصبيّة لأنها غير مرتبطة بحزب أو فئة أو طائفة معينة، بل كانت انتفاضة شعبية عارمة دون عصبيّة، حيث عبّرَ فيها الشعب عن رفضه السياسات المنهجة في البلاد، وبهذا تكون حركة التاريخ حسب ابن خلدون قد بدأت من جديد، خلافاً لما يقع في ليبيا، حيث تشكّلتِ العصبيّةُ في بداية الحراك الجماهيريّ، لكنَّها لم تتطور بالنظر لمجموعة من التحولات الجيوسياسية والاقتصادية، وطبقاً لنظرية العصبيّة استعادت القوى القبليّة بعد الانقلاب دورها، وأعادت من جديد دورة التاريخ حسب منظور ابن خلدون، أمّا فيما يخصّ لبنان، فالعصبيّة تقوم في الوقت الراهن على الانتماء الدينيّ والمذهبيّ، وهذه الأخيرة تعتبر أشد قوة وجذّراً من العصبيّة الدينيّة، لكونها تستفيد من روابط الدم، الدين، والمذهب، خلافاً للعصبيّة الدينية التي تستفيد فقط من الدين والمذهب،

**”إنّ خاصيتَي الخضوع والانقياد تكسران شوكة تشكّل وتلاحم العصبيّة، يقول ابن خلدون: ”الخيرات والأموال بوجه من وجوه الاستغلال، ولو كانت ضرائب ومغارم“ لما بها من خضوع للقبيلةٍ لأن في المغارم والضرائب ضيماً ومذلة لا يحتملان، وإنّ عصبيّتها تكون حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية؛ لأنّ المذلّة والانقياد كاسران للعصبيّة، وشدّتها، فإن انقيادهم ومذلّتهم دليلان على فقدانها.“**

والحال أنّ الدولة العصبيّة المعاصرة والراهنة في الشرق الأوسط والعالم العربي تقوم على مكونات عصبيّة، يكون العقد الاجتماعي فيها محكوماً بقانونِ الغلب العصبيّ، وهو ما يشكل تهديداً مؤكّداً للدولة.

ومن خلال هذا نستنتج حقيقة مفادها أنّ ابن خلدون يؤكّد أنّ المجتمع يستقيم بوجود دولة، وبذلك تكون الدولة ضرورة فرضها واقع المجتمع الإنساني، وهذه الدولة لن تحصل إلا عن طريق العصبيّة.

# بنية العصبيات-الفكر الأصولي والاستبداد

أحمد دالي

## في مفهوم العصبية

العصبية في اللغة تعني شدّة ارتباط المرء بجماعته والجدّ في نصرتها والتعصب لمبادئها، ويعرّف ابن منظور التعصب بأنه شعور داخلي يجعل الإنسان يتشدّد، فيرى نفسه دائماً على حقّ ويرى الآخر على باطل بلا حجة أو برهان. وبعبارة أخرى؛ تعني العصبية نصرة الإنسان لجماعته على الآخرين ظالمين كانوا أم مظلومين، ويظهر هذا الشعور عادةً على صورة مواقف وممارسات متزمّتة ينطوي عليها احتقار الآخر وعدم الاعتراف بحقوقه وإنسانيته.

ويرى آخرون أن التعصب هو عدم قبول حقوق الآخرين حتى عند ظهور الدليل على تلك الحقوق بناءً على الميول لمصلحة طرف أو جهة أخرى, ومهما اختلفت المفردات والعبارات يبقى التعصب في صفّ الانغلاق في مواجهة الانفتاح, وفي صف التحجّر ضد التفكّر, والتعصب في المجمل هو ضدّ التسامح وقبول الآخر والتعايش معه.

وفي جميع الأحوال فإن المتّفق عليه هو أن التعصب ظاهرة قديمة حديثة ترتبط بها مفاهيم متعددة, مثل التمييز العنصري والديني والجنسي والطائفي وحتى التعصب الفكري والثقافي, ولا يبالغ من يقول إن جميع الصراعات والحروب الطائفية والفكرية والسياسية التي شهدها العالم و مازال يشهدها إلى اليوم, قد نتجت جميعها و تمخّضت عن سبب مشترك هو التعصب, ولا شكّ أن هذه الظاهرة تنتشر بكثرة حيث تجد البيئة الخصبة لنموّها, ولذا نجدها تتواجد على نطاق واسع في المجتمعات التي تقوم على أساس مذهبي أو قبلي أو طائفي, وربما تنتشر ظاهرة العصبية هذه أكثر في المجتمعات التي تتعدد وتتمايز فيها ألوان البشر وأصولهم العرقية وتوجهاتهم الإيديولوجية والدينية, ويمكن القول: متى ما وُجد التباين والاختلاف بين أصناف البشر... وُجد التعصب.

يرى كثيرٌ من الدارسين والباحثين في شؤون المجتمعات البشرية وتطورها على سلم الارتقاء, أن العصبية ظاهرة إنسانية كونية قديمة ومتأصلة لدى جميع البشر, ويعود إليها بعض الفضل في انتقال الإنسان عبر تطوره من طور إلى طور آخر أكثر تقدماً وارتقاء, باعتبارها تمثل البذور الأولى للوعي التعاوني والتعاضدي لدى البشر, كما كانت تمثل جانباً مهماً من التطور المعرفي والفكري لدى الإنسان في كل عصر, وبهذا لم تكن العصبية في قِدمها سلبية أو رجعية بالمطلق كما يُنظر إليها اليوم.

والعصبية عند ابن خلدون تعني التناصر عند جماعة ما يرتبط أفرادها برابطة الدم أو النسب أو التحالف أو الولاء, ويعتقد ابن خلدون أنّ أيّ مجتمع تتكوّن في داخله عددٌ من الجماعات المنغلقة المتعصبة لذاتها, ويرى أن هذا التعصب يُنتج القوة للجماعة بحيث إذا اكتسبت جماعة ما قوة أكبر من غيرها من الجماعات, فإنها تميل إلى السيطرة والتغلب على البقية طوعاً أو كرهاً, وبالتالي انتزاع السلطة منها وامتلاكها نفسها. ويذهب ابن خلدون أيضاً إلى أن العصبية تمثل أساس نشأة الدولة, ومن ثم تمرّ الدولة بثلاثة أطوار, من البداوة إلى الحضارة ثم طور الانحلال, ويُرجِع أسباب انحلال الدولة إلى ضعف العصبية في الطورين الثاني والثالث, ومما لاشكّ فيه أن هذا التفسير لنشأة الدولة وانحلالها لم يعد متناسباً أبداً مع الدولة الحديثة التي تُؤسس وتُبنى على الدستور والقوانين والمؤسسات على اختلاف أشكالها.

والتعصب في علم الاجتماع هو مرض اجتماعي يولّد الكراهية والعداوة في العلاقات الاجتماعية والشخصية, بحيث يمنح التعصب صاحبه تميّزاً واهياً عن الآخرين ويمدّه بأسباب وهمية وباطلة لتفويت فرصة حلّ مشاكله وأزماته بطريقة منطقية وسويّة.

ولقد صدر في العصر الحديث عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في تشرين الثاني عام ١٩٨١ إعلان خاص بشأن القضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمَين على أساس الدين أو المعتقدات, والمقصود بالتعصب بحسب الإعلان هو أي تمييز أو استثناء أو تقييد أو تفضيل يقوم على أساس الدين أو المعتقد يكون هدفه إنقاص الاعتراف بحقوق الإنسان والحريات الأساسية.

## من العصبية التقليدية إلى العصبية الحديثة

وعلى ذلك يمكننا أن نفهم العصبية القديمة بأنها تحالف بين أفراد قبيلة أو جماعة أو حلف ما, لتوليد القوة اللازمة للسيطرة والتغلب وإخضاع الجماعات الأخرى الأقلّ قوةً لسلطان الجماعة الغالبة ظالمين كانوا أم مظلومين, سواء أكانوا على حقّ أم على باطل. لكن في المقابل تقوم العصبيات الحديثة ضمن الدول والمجتمعات الحديثة على التحالف الاقتصادي أو السياسي الذي بنتيجته يكون الأخير خادماً للتحالف الأول, لأن الاقتصاد حين يأخذ تسمية (اقتصاد سياسي) يصبح الأمر مكشوفاً أن السياسة ما هي إلا أداة تحايل, ووسيلة مراوغة للوصول إلى الاقتصاد. والفرق بين العصبيتين هو أن العصبية الحديثة لا تمارس العنف العصبي ضد الجماعات الأخرى, وإنما تحقق مصالحها بالتغلب على مؤسسات الدولة واستغلالها إما بالمخالفة الصريحة أو بالاحتيال على القوانين (بحسب الدكتور أحمد موسى بدوي), وكلما أوغل الفساد في مؤسسات الدولة الحديثة قويتْ شوكة العصبيات الحداثية, وفي مراحل لاحقة من ضعف الدولة تنشأ بين العصبيات قوانين شفاهية عرفية مهمتها تنظيم عمليّة الاستغلال وإدارة توزيع الثروات والنفوذ بينها, بعيداً عن المصلحة العامة للدولة والمجتمع, وهكذا تنشأ أركان الدولة العميقة.

## عصبيات حداثية

تظهر في المجتمعات العصرية عصبيات حديثة؛ وليدة الحداثة والظروف, وجميعها للأسف تفتقر إلى مراعاة المصلحة العامة, وتهتم فقط بالعصبية الفئوية الضيقة التي ترعى مصالح جماعات محددة, دون التفاتة إلى ما تقتضيه حاجة الناس والمجتمعات, ويمكن تلخيص هذه العصبيات الحديثة بثلاث فئات؛ سياسية واقتصادية وتكنوقراطية.

ففي الفئة السياسية نجد التحالف بين العصبيات الحزبية الحديثة لتشكيل أحزاب

**"التعصب ظاهرة قديمة حديثة ترتبط بها مفاهيم متعددة, مثل التمييز العنصري والديني والجنسي والطائفي وحتى التعصب الفكري والثقافي, ولا يبالغ من يقول إن جميع الصراعات والحروب الطائفية والفكرية والسياسية التي شهدها العالم و مازال يشهدها إلى اليوم, قد نتجت جميعها و تمخّضت عن سبب مشترك هو التعصب, ولا شكّ أن هذه الظاهرة تنتشر بكثرة حيث تجد البيئة الخصبة لنموّها"**

تحمل أفكاراً كبيرة وبرّاقة, لكنّها تفتقر في الغالب إلى القاعدة الجماهيرية, والأمر نفسه ينسحب على أعضاء البرلمانات الذين ترشحوا عن تلك الأحزاب. وكذا الأمر في العصبيات الاقتصادية عندما تتحكم عائلات أو جماعات بعينها في اقتصاد بلد أو مجتمع ما, أما عصبية التكنوقراط فتقوم على توريث الوظائف والمهن عالية المكانة من الآباء إلى الأبناء والأقارب, بحيث تجد أن القدماء يعيدون إنتاج أنفسهم من خلال الجيل الجديد الذي هو من نسلهم, وتصبح حينها بعض الوظائف والمهن حكراً عليهم ولا يُتاح أي مجال لغيرهم للدخول إلى ميدانهم.

## العصبية التقليدية لا تعني بالضرورة؛ نفي الآخر

ليس من الضروري أن تؤدي العصبية الكلاسيكية إلى صراع لنفي الآخر وإقصائه

وإنكاره, فقد تتحول العصبية إلى عنصر تعايش وبناء بدلاً من كلّ ذلك, وهذا ما أثبته المجتمع الزراعي في مصر الذي اختلط بشعوب مختلفة قريبة وبعيدة, غريبة وصديقة, بسبب الحروب والتجارة والهجرات على مدى حقب زمانية طويلة, فانصهرت على طرفي وادي النيل ومنطقة الدلتا عناصر بشرية متنوعة منها زنجية قادمة من وسط وجنوب إفريقيا, ومنها عربية من الجزيرة العربية, وأخرى آسيوية من الشرق, أو أمازيغية قادمة من شمال إفريقيا, وبفضل توفر المياه والتربة الخصبة غلب العمل بالزراعة على الرعي, وبالتالي انعدمت الحاجة للبحث عن المراعي ومصادر المياه وتشكيل الأحلاف للتغلب على الجماعات المالكة لتلك الأراضي والمياه. إن الاشتغال بالزراعة والاستقرار أسهما في تفكيك كيان القبيلة ليحلّ محلها كيان الأسرة, وهنا فقدت القبيلة وظيفتها العصبية, لأن الوضع الجديد (الاستقرار والزراعة) يحتاج إلى قوة العمل لا قوة القتال, وبالتالي فالفلاح المصري لم يعد يفكر في الكيان الكلي للقبيلة التي ينتمي إليها, إنما بدأ يفكر في مصلحة أسرته التي ينحدر منها, وبذلك حلّ التعصب للعائلة أو الأسرة محلّ التعصب للقبيلة, وبدأت هنا عملية انتقال حضاري من القيم البدوية الصراعية إلى القيم الزراعية التعاونية.

## إشكالية العصبية

يبرز عنصر الإشكالية دائماً على السطح عند إكساء العصبية وإلباسها ثوب التفاضل والتمايز بين البشر, أي اتّخاذ العصبية كتكوين ومبدأ تقليدي ذي مضمون عصبي عنصري إلغائي يتّخذ من إنكار الآخر المختلف وإقصائه نهجاً وطريقة, فالعصبية بهذا المفهوم تستند إلى فكرة القوة والغريزة والأنانية المفرطة والمغالبة, وهي بذلك على طرفي نقيض مع مبدأ العدالة و التكافؤ, وتعارض تماماً المجتمعات القانونية الحديثة التي تتبنى أسساً و مبادئ مختلفة تستند إلى مقولة (حقوقنا وحقوق الآخرين, حريتنا وحرية الآخرين) سواء داخل المجتمع الواحد أم بين مجتمعات متعددة.

ولا يختلف الأمر كثيراً في دراسة التعصب سواء أكان موضوع الدراسة هو الإنسان أم المجتمع, لأن كلا البابين أو لنقل كلا الطريقين (الإنسان والمجتمع) سينتهيان بنا إلى سؤال واحد: "لماذا بعض الأفراد تراهم في حالة تطور دائم في حين أن بعضاً آخر توقف عند نقطة معينة؟ وبالمثل نتساءل: - لماذا بعض المجتمعات تجد فيها عجلة التقدم في صيرورة طردية مع تقدم الزمان, في حين أن مجتمعات أخرى قد تجمّدت صيرورتها على عقارب ساعة ما في لحظة ما؟"

لاشكّ أن الواقع نفسه الذي تعيشه الدول الحديثة في الوقت الراهن هو حصيلة أفرادها ومجتمعاتها بالمنظور الذي تقدّم, وكمثال واضح للدول التي قفزت قفزات نوعية في اختصار شديد للزمن وحرق للمراحل: دول جنوب شرق آسيا (نمور أو أسياد آسيا).

## أسباب التعصب و العودة إليه

تنبع العصبية في عصرنا هذا من فكرة الضعف والشعور بالنقص الذاتي والدونية وعدم القدرة على التغلب على الذات المنكسرة, والبكاء على أطلال الماضي من خلال تصوره على أنه الماضي الذي لا تشوبه شائبة ولا يعيبه عيب, وهي تكشف جلياً عن نظام بدائي ورجعيّ قوامه التحكم بسلوكيات وتوجهات الأفراد والجماعات, والتأثير على آليات التفكير لديهم و على نظرتهم إلى كل من الماضي والحاضر والمستقبل. ومن الأسباب الأخرى للتعصب تضخّم الذات والمغالاة في الافتخار بالذات الفردية أو الجماعية. وعلى ما يبدو أنّ المستفيد من نمو العصبية بهذا الشكل الرجعيّ, الذي يخلو من أية صورة إيجابية, يرمي من وراء انتعاشها إلى برامج وأهداف محددة, تظهر

أحياناً في محاربة كل حديث ومتطور, وتطرح نفسها أحياناً أخرى في هيئة محاربة الآخر بقصد استحلال مكتسباته, وقد تتطور إلى الدعوة إلى العيش على نهج السلف الصالح على حدّ زعم المؤمنين بها.

إن هذه النمطية الجوفاء للعصبية, ترمي بجميع صور العصبية التي ربما كان لها بعض الفضل في الحفاظ على وحدة الجماعة البشرية وتكاتفها؛ ترمي بها جميعاً في سلة التمييز والتعصب العنصري, مفسحة المجال واسعاً للذوبان في الـ (نحن العصبية) وإطلاق العنان لسلوك العنف والإقصاء في مواجهة العصبيات الأخرى المختلفة إما لوناً أو ديناً أو لغةً.

إن هذا المشهد نتيجته حتماً انعدام وغياب مبدأ المواطنة, إذ يحلّ محلّه مبدأ التوازنات ما بين القبائل والطوائف والأثنيّات, حيث ينعدم السلم المجتمعي ويظهر بدلاً عنه عرقلة جهود البناء الديمقراطي والحضاري, بسبب أن الدولة الشكلية أو الصورية في هذه الحالة تستمدّ وجودها من كيانات متعددة متخفية في عباءة الدولة, لكنها موجودة في الحقيقة على الأرض.

لا ننكر إلى جانب ما سبق من المشاكل الذاتية في العصبية نفسها وجود مشاكل وأسباب موضوعية خارجية تعمل على تأجيج نار العصبية, لتحول دون تقدم مجتمعات معينة, فالعصبية في الشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا من أكبر الجوائز والهدايا المقدَّمة إلى الرأسمالية العالمية, وهذا ما جعل أبواب التدخل في تلك المناطق مفتوحة على مصاريعها بسبب فقدان المناعة التي تعاني منها الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية هناك, نتيجة مرض عضال اسمه العصبية العمياء, لأن وتيرة العنف والإقصاء والاقتتال أسرع من وتيرة تشجيع التعايش السلمي بين الجماعات المختلفة من حيث (اللون, المذهب, العرق, التوجّه.....).

**"إنّ العصبية في الشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا من أكبر الجوائز والهدايا المقدّمة إلى الرأسمالية العالمية, فهذا ما جعل أبواب التدخل في تلك المناطق مفتوحة على مصاريعها بسبب فقدان المناعة التي تعاني منها الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية هناك, نتيجة مرض عضال اسمه العصبية العمياء, لأن وتيرة العنف والإقصاء والاقتتال أسرع من وتيرة تشجيع التعايش السلمي بين الجماعات المختلفة"**

لقد بدأت "حروب الذاكرة" بنشاط غير مسبوق في السنوات الأخيرة, وأصبح استنهاض الهويات سلاحاً إيديولوجياً غير مادي لخلق حروب العصبيات الطائفية والمذهبية والقبائلية, بحيث يعتقد جميع المقتتلين فيما بينهم أنهم يجاهدون للاحتفاظ بالورقة الأخيرة التي ستحافظ على وجودهم, والنتيجة الوحيدة هي تكريس الانغلاق الفكري و تصاعد النزعة الأنانية للفرد والجماعة على حدّ سواء, وهذا ما يسمح أو يسهّل على "أدلجة الذاكرة" وتسخيرها والتلاعب بها بحسب رأي الكاتب الفرنسي "بول ريكور", والنتيجة أيضاً مزيد من تصارع الذاكرات لمصلحة الانغلاق الضيق المبني على الهوية, ما يمنح الطائفة أو الجماعة المؤمنة بتلك الهوية شعوراً عارماً بالتفوّق المعرفيّ والروحي وصفاء العرق والنسب, فتُغرِق نفسها بقيم مثالية خدّاعة.

**”عرّفت الموسوعة الأمريكية للفنون والعلوم الأصولية الدينية بأنّها «كل إيديولوجيا تدعو إلى تسييس الدين، وإقامة نظام سياسي مبني على تعاليم إلهية». ويبدو هذا الطرح متوافقاً مع الطرح الإسلامي عن نظام الحكم, فالحاكم الحقيقي هو الله, وليس لأحد من دون الله حق في التشريع, والحكومات التي لا تحكم بأمر الله لا يجب طاعتها“**

## الاستبداد

الاستبداد في اللغة: التفرّد بالشيء والاستئثار به, وعليه يكون الانفراد بالحكم استبداداً به. أما التعريفات الاصطلاحية للاستبداد فقد تفاوتت من مفكر لآخر, فقد عرّفته موسوعة السياسة بأنه «حكم أو نظام يستقلّ بالسلطة فيه فرد أو مجموعة من الأفراد دون خضوع لقانون أو قاعدة, و دون النظر إلى رأي المحكومين», بينما عرّفت الموسوعة الفلسفية العربية الاستبداد بأنه «الانفراد بالأمر والأنفة عن طلب المشورة أو قبول النصيحة حيث ينبغي الطلب و القبول». والاستبداد عند عبد الرحمن الكواكبي صاحب كتاب (طبائع الاستبداد) «هو اقتصار المرء على رأي نفسه فيما ينبغي الاستشارة فيه», ويمكن إضافة تعريفات كثيرة ولكنها جميعاً ستتفق على أن الاستبداد هو تصرّف مطلق في شؤون الآخرين وتعدٍّ على حقوقهم الطبيعية والمدنية.

والاستبداد في السلطة وباءٌ حقيقي حين تُصاب به, والحكم الاستبدادي هو أسوأ وأقسى أنواع الإدارات السياسية والحاكمة, وأكثرها خطراً على الإنسان وتمزيقاً للمجتمعات والأوطان؛ لأن الإنسان الذي يخضع لحكم الحكومات المستبدّة تغلب عليه دائماً نزعة القلق والاستسلام, والروح السلبية المتشائمة وهدر الطاقة الإيجابية الخلاّقة, والمجتمع الذي يتحكم به الاستبداد هو مجتمع خامل ومعطّل وبائس, حيث تموت الحوافز والطموحات والأهداف وتتكسّر جميعها على صخرة التفرّد بالحكم والاستبداد به.

وحسب أفلاطون فإن المستبدّ يستولي على السلطة بالقوة و يمارسها بالعنف, وبعد الحصول على السلطة يسعى إلى التخلص من خصومه الذين يرى فيهم خطراً عليه, ويُكثر من الوعود, ويفتعل الحروب ليظلّ الشعب في حاجة دائمة إلى قائد, وهذه الحروب المفتعلة تؤدي بالضرورة إلى افتقار المواطنين بسبب الضرائب الباهظة التي تُفرض عليهم لتغطية نفقات الحرب, فيدفعهم ذلك إلى زيادة ساعات العمل مما لا يترك لهم وقتاً ومجالاً للتفكير في التآمر على المستبدّ, ومن جهة أخرى تخدم هذه الحروب المستبدّ في التخلص من معارضيه, وكل هذا يدفع بالجماهير إلى الاستياء والتذمّر بمن فيهم أعوانه وأنصاره الذين أوصلوه إلى السلطة, والمستبدّ في هذه الحالة لا يجد أمامه إلا سبيل القضاء على معارضيه بجميع وسائل العنف والقوة, فيزيد من تسلّحه ومن حرّاسه, وهذا بدوره يتطلب نفقات كبيرة ما يدفع المستبدّ إلى نهب المزيد من خزائن الشعب الذي يدرك ذلك لكن بعد فوات الأوان.

لا شكّ أن الذي يتبادر إلى الأذهان عندما سماع كلمة استبداد هو الحكومات الدكتاتورية الظالمة والإدارات والسلطات الفاسدة, فالناس على دين ملوكهم كما يُقال, فإن فسدت الحكومات فسد المجتمع وإن صلُحت صلح

المجتمع, ثم إن العمل على إصلاح الفرد والمجتمع لا طائل منه إذا كان الحاكم يعيث في الأرض فساداً. ولا بدّ هنا من التمييز بين حكومات الاستبداد التي تقوم على العنف والقوة والترهيب والحكومات المستبدّة التي تقوم على الخداع والتدليس والدجل من خلال الأبواق المأجورة وعلماء البلاط, فالنوع الأول يتحكّم في أجساد العباد, بينما يتحكم الثاني بأرواحهم, فقد يكون الأول مؤقتاً زائلاً بزوال الأسباب, بينما يستمر الثاني طويلاً لأنه يسيطر على القلوب والعقول.

## الفكر الأصولي

يمكن تعريف الفكر الأصولي بأنه ذلك الفكر الذي يعبّر عن امتلاكه الحقيقة المطلقة في الفكر والسلطة والتصرف, و يرفض كل ما يخالفه من أفكار و مبادئ سواء على المستوى الفردي أو الجماعي أو حتى في رسم وفهم الحياة المدنية والمجتمعية, فالأصولية ترى في أفكارها سلوكاً مقدّساً يجب اتّباعه والاقتداء به, وكل ما عدا ذلك هو كفر وحرام, و الأركان الأساسية للأصولية هي الجمود ومحاربة النمو, والتصدّي للتكيّف مع الظروف المستجدة, والانتساب إلى الماضي والانغلاق والتحجّر المذهبيّ.

وما يميّز الأصولية أكثر هو معاداتها لإعمال العقل والتفكر والتأمل والرؤى التنويرية, وحتى أن المشاركة في إبداء الرأي بالاجتهاد أو الإبداع قد لا يكون متاحاً أمام الجميع, لأنها تقوم في أصلها وأساسها على السمع والطاعة والتبعية المطلقة غير المشروطة والانقياد للرموز والقيادات, وحينها تصبح تلك الرموز مقدسة في ذاتها, وبدلاً من أن تكون عرضةً للانتقاد تتحول لترقى فوق النقد.

ويرى بعض المتخصصين أن ظهور مصطلح الأصولية تاريخياً يعود إلى بروز الأصولية الحديثة في الغرب كحركة بروتستانتية, في القرن التاسع عشر بعد مؤتمر «نياغرا» ١٨٩٥ الذي انعقد حينها؛ بهدف إحياء تلك الأفكار المتعلقة بعودة المسيح المنتظر, ولقد عرّفت الموسوعة الأمريكية للفنون والعلوم هذه الأصولية الدينية بأنها "كل إيديولوجيا تدعو إلى تسييس الدين وإقامة نظام سياسي مبني على تعاليم إلهية". ويبدو هذا الطرح متوافقاً مع الطرح الإسلامي عن نظام الحكم, فالحاكم الحقيقي هو الله, وليس لأحد من دون الله حق في التشريع, والحكومات التي لا تحكم بأمر الله لا يجب طاعتها.

## أخيراً...

تبدو التقاطعات جلية ما بين كل من العصبية والأصولية والاستبداد, فالعصبية من حيث كونها شعوراً يجعل الإنسان يتشدّد فيرى نفسه الأفضل ودائماً على حقّ, ويرى الآخر على باطل بلا حجة أو برهان, وتدعو إلى نصرة الإنسان لجماعته على الآخرين ظالمين كانوا أم مظلومين, إلى جانب المواقف والممارسات المتزمّتة التي ينطوي عليها احتقار الآخر, وعدم الاعتراف بحقوقه وإنسانيته؛ لا شكّ أنها ستفضي إلى التفرّد والاستئثار بكل شيء, ما يؤدي إلى الاستبداد, والحاد العصبية مع الاستبداد ليس من الغريب أن يتوافق مع الفكر الأصولي الذي يعادي كل جديد ومبتكر.

## المراجع


.ماهية الفكر الأصولي .أحمد عزت سليم

.الاستبداد السياسي والديني .وحدة في الأهداف والأساليب: علي عبد الرضا .مجلة النبأ العدد 36

.العصبية الحديثة والدولة العميقة في مصر .المركز العربي للبحوث والدراسات

# حول أثنوغرافية المرأة الكردية

روشن مسلم

تكمن الأهمية التاريخية للمرأة الكردية القديمة في منظومة القيم والرسالات الإنسانية التي شملت كل نواحي الحياة، وكونت بمرور الأجيال الجذور الحقيقة التي تستمد منها البشرية تراثها الإنساني في إجماله، ومن أهم هذه القيم الإنسانية الاعتراف بأهمية دور المرأة في المجتمع.

يعتمد الوضع الاجتماعي لكل شعب أو مجتمع في أي عصر كان على عاداته وتقاليده الاجتماعية، وعلى الديانة السائدة في هذا المجتمع وشرائعه وقوانينه، ولشخصية المرأة الكردية ومدى التزامها بعاداتها وتقاليدها دور كبير في الحفاظ على تراثها الثقافي، وباعتبارها الشريك الوحيد للرجل في جميع مناحي الحياة، فلا بد من امتلاك ناصية المفهوم الصحيح للمرأة الكردستانية.

**المرأة هي الشق الثاني من الإنسان المعمر لهذه الأرض، وجاء لفظ المرأة من (مرأ) كما في قاموس (لسان العرب):**

مَرَأَ: مَرَأ الرجل يمرءُ مُرءَة والمُرُوءَة: الرجولة والإنسانية.

والمَرَءُ: الإنسان. تقول هذا مَرْءٌ وتأنيث المرء: مَرْأَة. فإذا عرفوها قالوا: المرأة.

وللعرب في المرأة ثلاث لغات، يقال: هي امْرأَتُهُ وهي مَرأَتُهُ وهي مَرَتهُ.

كوردستان تتألف من مقطعين(كورد) يعني الشجعان، و(ستان) يعني البلاد، فتصبح (بلاد الشجعان) بالفارسية، وقديماً كان يُطلق اسم (كوردونس) على بلاد الكورد، بينما أطلق عليها العرب اسم (بلاد الجبال).

وكما أوردت الروايات فإن لفظ (كردستان) في الأصل أطلقه السلجوقيون، إما على المنطقة الواقعة بين إيالتي أذربيجان ولورستان، وإما على البلاد الواقعة في غربي جبال زاغروس، فبحسب الرواية الأولى يكون هذا اللفظ قد وُضع لما يلي: (سنة- سنندج)، دينور، همدان، (كرماشان، كرمانشاه). وبحسب الرواية الثانية لولايتي شهرزور،(كوي- وكيسنجر) فقط.

يقول المستر لوسترنج في كتابه بلدان الخلافة[1]، في أواسط القرن السادس الهجري، فصل السلطان سنجر السلجوقي البلدان الواقعة في غربي الجبال التي كانت تابعة لمقاطعة كرماشان فجعلها مقاطعة مستقلة وسماها كردستان، ثم نصب سليمان شاه ابن اخيه حاكماً عليها. وبقي سليمان شاه هذا حاكماً عليها مدة سنتين ( ٥٥٤- ٥٥٦)، حاكماً على إقليم العراقيين بدلاً من عمّه. وهذا هو عين ما رواه المؤرخ الفارسي الشهير (حمد الله المستوفي)، حيث يقول: «إن أحوال كردستان في عهد (سليمان شاه) تحسنت تحسناً كبيراً حتى بلغ إيراد هذا البلد ما يقارب مليونين من الدنانير[2] في عام واحد.

ويقول الأمير شرفخان البدليسي في كتابه (شرفنامه) «إن هذا اللفظ (كردستان) أطلق على مقاطعة (درسم) خاصة، كما يقول مثل ذلك صاحب كتاب (نجات وأحكام) إذ قال: **- إنّ لفظ كردستان يطلق على منطقة جمشكزك.**

هذا وقد كثر الكلام في الآونة الأخيرة عن المرأة الكردية، وقبل أن أتحدّث عن حياة المرأة الكردية، وتصوير مظاهر حياتها الاجتماعية، ومكانتها في المجتمع، لابد من دراسة عميقة للحياة الاجتماعية والثقافية، ودراسة التكوين العرقي، واللغة، والعادات، وإعادة التوطين، بالاستناد إلى ملاحظات تفصيلية كتبها المؤرخون وعلماء الاجتماع، لما تقوم بها المرأة الكردية فعلياً في البيئة الاجتماعية التي عاشت فيها.

## اللغة الكردية

أَولى الرحّالة الذين عاشوا بين الكورد اهتماماً غير كبير باللغة الكردية، ولم يحاول القسم الأكبر منهم دراستها، وأما أولئك الذين تعرفوا عليها فقد قاموا بدراسة هذه اللهجة أو تلك دون أن يكون لديهم اطلاع على متطلبات علم اللغة.

في عام ١٧٦٢م عبّر مخائيلس عن الرغبة في أن يقوم الرحّالة الذين يرسلهم ملك الدانمارك بمحاولة جمع معلومات عن اللغة الكردية، وفي عام ١٧٦٤م وضع تلميذه الكبير شلوستر، الأكراد ولغتهم ضمن خطة رحلة إلى الشرق[3]، والمعروضة على الإمبراطورة يكاترينا الثانية، الأمر الذي لم يكن صعباً التأكد منه من أقوال شلوستر نفسه: «إن كان لابد منه، وإن تكن لدي الإمكانية سأدخل إلى فارس وأرى أطراف دجلة والفرات وأعود عبر بحر قزوين». وقد كان شلوستر الذي أتى على ذكر المؤلف آنفاً يقصد بذلك الكورد الذين رأى فيهم أحفاد الخالدين القدماء.

إنّ أوّل من قام بتعريف العلماء على اللغة

١ بلدان الخلافة الشرقية ص ١٩٢

٢ مليون جنيه إنكليزي تقريباً

٣ صدرت الخطة في مجلة لوزارة التعليم الشعبي الجزء ٢٥، ص ١-٤، ١٨٤

الكردية كان الراهب غازوني عضو جمعية روما للدعاية، والذي عاش منذ عام ١٧٦٤م وخلال ١٨ عاماً بصفة مبشر في العمادية، **وأصدر أعماله تحت عنوان:** (propaganda Fide)، إنّ هذا الكتاب نادر للغاية، وكان كل من "فال وميخائيلسي" أول من وجّها إليه اهتمام العلماء في العالم وذلك بعد أن قدّما عرضاً له. وقد جاء مضمون الكتاب حسب الترتيب التالي: المقدمة[٤]، وحروف الهجاء من الصفحة: (١١-١٦) واسم العدد والصرف من الصفحة: (١٧-١٨) والأسماء والصفات والضمائر (١٩-٢٣) والفعل من الصفحة (٢٣-٤٨)، وجدول عن الحروف والظروف من الصفحة (٤٩-٥٤)، ومجموعة من الكلمات موزّعة حسب مواضيعها، وهي عن الزمان والمناخ والطبيعة وجسم الإنسان، وأواصر القربى من الصفحة (٥٤-٦٢)، وعن أداء التحية والسلام وغيرها من الجمل العادية من الصفحة (٦٧-٦٩)، وأحاديث من الصفحة (٧٠-٧٤)، وقاموس (إيطالي، كردي)، ودعاء ربنا Ave Maria باللغة الكردية من الصفحة (٢٨٣- ٢٨٤)، وتصويب الأخطاء المطبعية من الصفحة (٢٨٦- ٢٨٧).

قدم المبشر "هورنيله" عرضاً موجزاً للهجات اللغة الكردية، وكتب يقول: **"فيما يتعلق باللغة الكردية فقد تأكدنا في أثناء رحلتنا من صحة المعلومات التي قمنا بجمعها، وهي أن كل عشيرة تقريباً تتحدث بلهجة خاصة بها. وعلاوة على ذلك توصلنا إلى قناعة وهي أن لمعظم اللهجات الكردية أصل واحد، وأن العشائر المختلفة تفهم بعضها البعض**، وقد كوّنت الدارسات المقارنة المختلفة اعتقاداً لدينا حول أن جذور اللغة الكردية لها أصل فارس (أغلب الظن أن المؤلف أراد القول أن الأصل العام لها أصول فارسية)، ومتناسقة مع الفارسية. ولذلك ينسجم النظام الداخلي للغة الكردية مع النظام الداخلي للغة الفارسية. كما أن قواعد الاشتقاق في اللغة الفارسية موجودة كلها ودون استثناء تقريباً في اللغة الكردية لا تجد كلمات لها جذور أخرى فحسب، بل لواحق وتصاريف أخرى، كما أن اللفظ يختلف عن اللغة الفارسية حتى في تلك الكلمات المقتبسة عن اللغتين العربية والفارسية.

ثمة لهجتان رئيستان في اللغة الكردية هما الجنوبية واللهجة الشمالية، وتنقسم كل واحدة منهما إلى فروع وكل فرع إلى فروع جديدة أخرى. وتنتمي إلى اللهجة الشمالية فروع عشائر مكري وهكاري وشكاك ولهجة اليزيديين في جبل سنجار مع أن الأخيرة بعيدة عن الفروع الأخرى للهجة ذاتها. ولهذه الفروع الأربعة أقسام أخرى مختلفةً، وتسكن العشائر الكردية التي تتحدث بها في الجبال الواقعة إلى الغرب والجنوب وإلى الشمال غرب بحيرة أورميا، وتمتد جنوبًا حتى سنو ومنها إلى السليمانية ومن ثم إلى الأعلى عبر كركوك وماردين وحتى ديار بكر ومنها إلى بحيرة وان، حيث تمتد هذه الأراضي مسافة ١٨٠٠ميل ويبلغ عدد سكانها ٣٠٠٠٠٠ نسمة.

وقد قمنا بجمع معلومات غير وافية عن اللهجة الكردية الجنوبية في الشمال (في أورميا) وتنتمي إليها الفروع التالية: (ليكي، كورماجي، كلهور، كوراني، واللوبي). وتسكن العشائر التي تتحدث بهذه اللهجة في أودية جبال زاغروس وفي جنوب سنو وفي كرمنشاه وإلى الأسفل حتى لورستان.

ويخضع قسم من هذه العشائر لحكم إيران أو تركيا أما القسم الآخر منها فهي مستقلة. ومن هنا يبدو أن كلتا اللهجتين مختلفتين اختلافاً شديداً، في حين أن فروعها تكون أكثر تقاربًا مع بعضها بعضًا. ويبدو أن العشائر التي توجد في لهجتها فروع عديدة تتفاهم بين بعضها بسهولة.

يقول المبشّر ذاته في مكان آخر: "من الواضح أن ثمة فرقًا بين الفروع الشمالية والجنوبية، يتجلى أحيانًا في اللفظ وأحيانًا أخرى في الكلمات، وأحيانًا في البنية الداخلية للّغة نفسها".

٤ من الصفحة الأولى وحتى العاشرة

وقد يصبح ما رواه الرحالة "ف. ديتل" في عرضه لرحلة إلى الشرق التي دامت ثلاث سنوات بمثابة تتمة لهذه الإشارات السطحية على وجود ألوان محلية في اللغة الكردية ؛إنها تنقسم إلى لهجات عديدة لم يأتِ أحد على ذكرها حتى الآن. كما أن الشعب الكردي نفسه ينقسم إلى عشائر كثيرة لا يمكن إحصاء غالبيتها. وبما أنّ المقاطعات التي يعيش فيها الكورد تشغل جزءاً من تركيا فإنه لا مناصّ من تأثير اللغة التركية على لهجات تلك العشائر. ويبدو أنّ الفارسية هي السائدة في لغة الكورد في إيران. كما أنّ اللغة العربية التي تشكل عنصراً في اللغتين التركيّة والفارسية فإنها تدخل أيضًا في اللغة الكردية، وخاصة في الأدب الكردي. وينقسم هذا الشعب إلى قبائل أو عشائر كثيرة، لانعرف سوى عدد قليل منها بأسمائها (حتى ٧ عشرية حسب هامر) وبلغ عدد العشائر حسب معطيات ريتر عام ١٨٤٤ حوالي ٢٠٠ عشيرة. ولهذا من الصعوبة بمكان الإشارة بدقة وصواب إلى كافة اللهجات التي يتحدّث بها السكان الكورد في كردستان. وفي إيران يجري تسمية العشائر الكردية الكثيرة العدد بالليكي، وتتحدّث بلغة تختلف عن لهجة اللور بما فيها عشيرة بختيار الكبيرة التي لها أدبها أسوة بالعشائر الأخرى.

وبناء على أساس المواد التي قام بجمعها كل من الأب غارزوني وهيولدينشت وكلابروت، وعلى مجموعة من الترجمات إلى اللغة الكردية من الفارسية التي جلبها المبشّر هورنيله قام عالمان لغويان ألمانيان شهيران هما "بوت و ريوديغر" بنشر عدد من الأبحاث حول اللغة الكردية في kunde des morgenlandes d.f.Zeitschr. وبعنوان Kurdische studien.

يتبين من الدراسات التي أجراها ريوديغير و بوت أن اللغة الكردية تنتمي إلى مجموعة اللغات الإيرانية، وهذا ما يبدو من نظامها الصرفيّ، ومن قسم كبير من الكلمات على السواء، كما أن لها صلة القربى باللغة الفارسية المعاصرة، بيد أنها تعرضت في جوانب كثيرة للحتّ أكثر منها، وخاصة في حقل الاختصار وفي غيرها من التغييرات في الحروف الصوتية وفي التصريف وزوال الزوائد المشتقة وغياب الأفعال المساعدة، في حين أن اللغة الفارسية المعاصرة أصبحت لغة الأدب، وبذلك تمكنت من إنقاذ نفسها من الهدم السريع.

قبل ظهور الكتابة في اللغة الفارسية كانت اللغة الكردية وحتى حقبة زمنية معروفة قريبةً جدًا من اللغة الفارسية، لكنها سلكت سريعاً طريقها الخاص بها. وتنحدر هاتان اللغتان من جذر واحد وقريبتان إلى اللغة الزندية. فمن ناحية كان للغتين الكردية والفارسية مصير مشترك واحد. ومع انتشار الإسلام في المناطق الكردية والفارسية دخلت كلمات عربية كثيرة إليهما، والتي تستخدم خاصة في الاتحاد مع الأفعال الطبيعية المساعدة **مثل:** عمل، أعطى، فعل الكون. وفيما بعد مرحلة متأخرة تمت إضافة زيادة جديدة من الكلمات التركية، رغم أنها أقل من الفارسية، إلى اللغة الكردية وخاصةً في أجزاء من كردستان الغربية والشمالية الغربية. إلا أنه لم يكن للعنصرين التركي والعربي تأثيرًا هامًا على البنية النحوية الداخلية للغة الكردية، وظل العنصران بحيث كان من السهولة تمييزهما عن العنصر الكردي الحقيقي. وفيما يتعلّق بالكلمات الآرامية واليونانية القديمة الموجودة في اللغة الكردية فقد جاءت إمّا عن طريق اللغة العربية أو التركية التي من السهولة معرفتها، أو أنّها كانت تستخدم منذ القدم، كما توجد حالة مماثلة في اللغة الفارسية أيضاً. وعدد الكلمات الآرامية قليل جدًا، وأغلب الظنّ أنّها جاءت عن طريق المسيحيين المجاورين للسريان والناطرة.

## المرأة الكردية وجوداً ونشوءاً

يشكل الوجود والوعي قضية محورية في الفلسفة، ومصطلح الوجود بالتحديد لا ينفكّ يتصدّر قائمة المصطلحات الفلسفية التي

غالباً ما يدور الجدل والفضول حولها.
أما المصطلح التوءم الذي يلازمه فهو الزمان. وهما لا ينفصلان عن بعضهما البعض أبداً. ولذا يستحيل التفكير في الوجود بلا زمان. فالزمان أيضاً عدم من دون الوجود. أي أن الزمان معني تماماً بالوجود. والعلاقة بينهما متعلقة بالأكثر بمصطلح النشوء. فهما يتحققان حتمياً بالنشوء. إنّ الزمان يُرغم على النشوء متجسدًا في الوجود. أو بالأحرى، سيرورة الوجود ممكنة بالنشوء. ولدى حديثنا عن الوجود وهو في حالة نشوء، يكون الزمان قد وُلد إذا كان النشوء موجودًا، أي إذا وجدت وردتان مختلفتان في مكان ما على سبيل المثال، فهذا معناه أن الوجود والزمان موجودان هناك. وغياب النشوء يعني انعدام الوجود والزمان في آن معًا. والنشوء حالة اختلاف وتجسّد عيني للوجود. وأي وجود ليس في حالة نشوء، هو وجود غير موجود، وزمان غير موجود.
وعلى هذا يتبين من الدارسات التي أجراها المستشرق الروسي بيتر ليرخ[٥]، بأن الكورد عاشوا في الجبال منذ القدم، وقد اشتبك معهم زينفون[٦]، في الجبال الواقعة بين أرمينيا وبلاد ما بين النهرين (جودي داغ حاليًا)، حيث كّد على أنّهم عاشوا هنا بصورة مستقلة منقسمين إلى قبائل، ولم تكن روح الوحدة الشعبية على جانب كبير من القوة والتماسك بينهم كما هو الأمر عندهم الآن.
وكانت فرائص جيرانهم في الغرب ترتعد خوفاً من غاراتهم العنيفة آنذاك، ولهذا كان مقرّ الوكيل الأرمني الذي يتاخم مقاطعة كينتريت (بيوختانجايو حاليًا)، يقع على الحدود ولم تكن توجد بجواره أية قرى أرمينية.
انتشر الكورد خلال قرون على جزء كبير من آسيا الغربية، ففي الشمال امتدّت أراضيهم إلى أعالي نهر الفرات وحتى أراكس، ويعيشون

> **يعتمد الوضع الاجتماعي لكل شعب ما، أو مجتمع في أي عصر كان، على عاداته وتقاليده الاجتماعية، وعلى الديانة السائدة في هذا المجتمع، وشرائعه، وقوانينه، ولشخصية المرأة الكردية، ومدى التزامها بعاداتها، وتقاليدها، دور كبير في الحفاظ على تراثها الثقافي، وباعتبارها الشريك الوحيد للرجل في جميع مناحي الحياة، فلا بدّ من امتلاك ناصية المفهوم الصحيح للمرأة الكردستانية.**

في الأراضي الروسية في إقليم يريفان وفي قره باغ، وفي الغرب امتدت أراضيهم حتى أنغورا[٧]، ووصلت جحافلهم قبل سنوات عديدة إلى القسطنطينية.
وعددهم غير قليل في ميزوبوتاميا[٨]، وفي سوريا أكثر وبالتحديد حول مدينة حلب. وفي الغرب انتشر الكورد في معظم الأراضي الممتدة من بحيرة أورميا وحتى الخليج. وأخيراً فهم يعيشون في خراسان.
يقطن الكورد منذ القدم تلك الأراضي على ضفاف نهر دجلة والفرات في جبال زاغروس وطوروس، حيث ظهرت مراكز الحضارة الإنسانية الأولى في التاريخ، وانطلاقاً من هذه الوجهة التاريخية فإنّ الكورد بالذات كانوا أصل الدول القديمة مثل: ( سومر- أكاد).
لقد جرت متغيرات مهمّة في جبال زاغروس وطوروس المتاخمة من جهة الشمال مع

٥ زينفون ( ١٨٢٨-١٨٨٤)، وهو من أبرز المستشرقين في القرن التاسع عشر
٦ (هو أحد تلامذة سقراط )، أول كاتب يوناني أتى على ذكرهم في كتابه "أناباسيس"،
٧ إلى الشمال الشرقي من بحيرة الملح الكبيرة
٨ بلاد ما بين النهرين

ميزوبوتاميا السفلى، حيث سكن المزارعون ومربّو المواشي في كوردستان ما قبل التاريخ، وذلك في الألف الخامس قبل الميلاد.

خلف سكان حضارة حسونة تأثيراً قوياً على الحضارات المجاورة، قبائل حلف، التي قطنت حسب اللقايا الأرخيولوجية، من منطقة (وان) شمالًا حتى جبال طوروس في شمال سوريا جنوبًا. إنّ أغلبية الباحثين يتحدّثون عن دمج حضارتَي حسونة وحلف، وبالتالي دمج سكان جبال زاغروس وطوروس. وانطلاقًا من هذا؛ لابد من وضع طبيعي كامل، بأنّ أراضي طوروس حتى قبل قدوم عصر المزارعين كان يقطنها أجداد الكوتيين. وبالفعل لدى مقارنة خرائط امتداد حضارتي حسونة وحلف في الألف الخامس قبل الميلاد، مع الخارطة المعاصرة لطوروس وزاغروس وشمال ميزوبوتاميا، فإننا من الغريب أنّنا لن نخرج خارج إطار حدود كوردستان التي تسمى ببلاد الكورد من قبل جميع الشعوب المجاورة؛ العرب واليهود والإيرانيين. إن هذا الاستنتاج حول انتماء ممثّلي حضارة حلف للكوتيين- الكورد، يتعزز بوجود آثار قبائل حلف في قلب كوردستان، وعلى مقربة من بحيرة وان شمالاً بعيداً عن الساحل السوري.

من الضروري الإشارة إلى أنّ آلهة الأكاديين NiN MaMo تحمل الاسم الكوردي الأصيل MaMo. أما اسم الإله ENLiL الذي سارع لمساعدة الطوفان، يرجع مباشرة إلى الكوردية. Ley- EyaN (طوفان، فيضان زوبعة).

وانطلاقاً من وجود طبقات ثقافية كاملة مقتبسة في السومرية من نصوص المحادثة للجبليين- الكوتيين، التي تؤكدها لغة أجدادهم- الكورد، لابد من الاتفاق مع رأي المؤرخ والأرخيولوجي البريطاني البروفيسور" دايفيد رول" الذي كتب: (من الممكن جدًا، بأنه مثل إينان، العديد من بنتيونات[9] الآلهة السومرية كانوا في أول الأمر آلهة للمناطق الجبلية في الشرق. عندئذ، من المنطقي جداً الافتراض بأنه فيما لو نزلت الآلهة من الجبل إلى السهل، فمن المحتمل أن الناس قد نزحوا في نفس الاتجاه، حاملين معهم ديانتهم السابقة وطقوسهم في العبادة. بهذا الشكل، فيكون القسم الأكبر من سكان سومر جاؤوا من مَسيف جبال زاغروس).

جاء ذكر الكورد باسمهم القومي القديم الهندو- جرماني لأوّل مرة باسم (قبائل كوتي أومان ماندر) في النصوص المسمارية الأولى لكل من سومر وأكاد في الألف الثالث ق.م، كسكان أصلاء لزاغروس و طوروس الذين قادوا حروبًا مستمرة ضد دول العبودية الأولى؛ أعداء ميزوبوتاميا. تعود كلمة (كوتي) في علم الاشتقاق إلى أقدم اللغات الهندو- أوربية وتعني حبة ( بذرة القمح) وفي معناها الواسع تعني الزراعة أو الحراثة في تصنيفها الاجتماعي. إن الكلمة ذاتها في الأصل الهندو- أوربي هي كوتان وتعني (المحراث لفلاحة الأرض) و( طاحونة لطحن حبوب القمح).

لقد بينت السنوات الطويلة من المتابعة والبحث العلمي لعلماء متخصّصين في علم الانتقاء، وعلى رأسهم العالم الروسي المتخصص في علم النبات «نيقولاي فافيلوف» الذي كرّس حياته لدراسة وتحسين القمح والذرة، بأنّ جبال زاغروس وطوروس هي بالذات المناطق الجغرافية التي امتلك سكانها القدامى في الألف الثالث قبل الميلاد القمح البري، مما وضعوا فيما بعد أسسًا لازدهار الحضارة الزراعية الأولى في أودية ميزوبوتاميا.

ولقد ورد ذكر السكان القدامى لزاغروس وطوروس باسم (الكوتيين- أومان ماندا) و(لولويوم) في المصادر المسمارية بلغات عدة ولقرون طويلة، بدءاً من نقوش وكتابات الملك الأكادي «نارام سين» ( ٢٣٠٠ق.م) ثم في قوانين ملوك الحثّيين (١٦٠٠ق.م) وينتهي نسبياً في مراسيم الملك الفارسي قير العظيم (القرن السادس قبل الميلاد).

تقع كردستان في موقع جيوسياسي مهمّ، غني بالثروات النفطية وبالموارد المعدنية؛ ولكن الأهم بالنسبة للشرق الأوسط المياه العذبة،

٩ مدفن عظماء الأمة

طالما تنبع تماماً من جبال كردستان، مثل نهرَي دجلة والفرات اللذين على ضفافهما نشأت أولى الحضارات الإنسانية، وذلك حوالي الألف الثالث قبل الميلاد. لذلك قيل قديماً في الشرق: (من يضع يده على كردستان يضع يده على قلب آسيا)، ونتيجة لذلك؛ وبسبب الحروب المستمرة مع المحتلين الأجانب؛ حُرم الكرد من إمكانية كتابة تاريخهم القومي بشكل مستقل.

لقد تعرّض التاريخ الكردي لوقت طويل إلى التشويه المقصود خدمةً لإيديولوجية تقسيم كردستان بين إيران وتركيا وسوريا والعراق.

تركت هذه الأعمال السياسية بصماتها على العلوم التاريخية، فمثلًا راح العلماء الأتراك يبحثون عن وسائل علمية لبرهنة أصالة الترك في آسيا الصغرى، ولهذا السبب أعادوا أصل شعبهم إلى الحثيين (الهندو أوروبيين القدامى)، بينما أطلقوا على الكورد الهندو أوروبيين مجرّد اسم: "أتراك الجبال" متناسين أصولهم التركية. فهذه النظرية اللا علمية والكاذبة عن الكورد كأتراك الجبال قد أخذت به إلى حين بعض العلماء في دول أوروبا الغربية.

وفي الوقت ذاته وبهدف تبيان أقدمية الفرس أعلن المؤرخون والإثنوغرافيون للنظام الشاهنشاهي في إيران بأن الكورد البختيار هم إيرانيون أقحاح؛ هؤلاء الذين تمكنوا على امتداد آلاف السنين من التاريخ الاحتفاظ بالملامح والسمات الأهمّ الخاصة بالهندو آريين عصر آفيستا وريكفيداد.

وهنا لابد من التذكير بأمر خطير حدث بالنسبة لكوردستان الكبرى (الموحدة)، وهو أن التركيب القومي الأساسي للبلاد، ومنذ الأزمنة القديمة كان وما يزال دوماً من الكورد. أما -الهندو الأوروبيين- و كل الشعوب الأخرى من آشور، وعرب وأتراك فيُعتبرون أقلية قومية. ولذلك يطرح سؤال قانوني نفسه حول مشروعية وجود الدول الثلاث حديثة العهد هذه التي تشكلت على الأراضي الكوردية في أعقاب المؤتمر الدولي برئاسة دول التحالف في لوزان عام ١٩٢٣م.

لا شكّ أنّ أعداء كوردستان يدركون جيدًا وجود هذه المسألة؛ لذلك يحاولون بشتى الأساليب تشويه تاريخ شعب كوردستان وثقافته وتعداد سكانه، فالإحصائيات الجارية في كل من سوريا وتركيا والعراق لم تعطِ أبداً أرقاماً دقيقة بعدد سكان الكورد، بل غالباً ما استبدلت قومية الكورد بخانة - مسلم- عند إجراء الإحصاء السكاني.

تبلغ مساحة كوردستان وفق إحصائيات العلماء حوالي ٥٥٠- ٦٠٠ ألف كم٢، وفي قلب هذا البلد الخارق في الجمال تعتلي منظومة الجبال الأساسية في آسيا الوسطى: زاغروس، طوروس وأنتي - طوروس. حيث يصل معدل ارتفاع الجبال إلى ٢٠٠٠م في حين تتجاوز بعض القمم الجبلية ٥٠٠٠ متر.

كوردستان بلاد جبلية، تنبع منها أنهار شرق أوسطية ضخمة أسطورية، وميزوبوتامية مثل دجلة والفرات، بوتان- سو، الزاد العلوي والسفلي (الكبير والصغير)، الخابور، والتي تعد المصدر الأساسي، والرئيسي لمياه الشرب العذبة لمجموعات سكانية ضخمة في الدول المجاورة لبلاد الكورد، وتحديداً على أراضي كوردستان مثلما ورد في العهد القديم، وعلى مقربة من الأنهار الأربعة؛ دجلة، خيدكيل، الفرات، بيرات، آراكس، جيحون، أوزيخون، فيسون.

وحسبما كتبت المتخصصة في المسألة الكردية "ت.ف. آريستوفا": (إنّ المساكن المحفورة في سفوح الجبال، والتي تُعدّ عملياً كهوفاً تقابلها منذ مئات السنين لدى الكرد تقريبًا في كل مكان، لاسيما أنّ هناك جبال كوردستان التي تتشكل من نوع الحجر الرملي، على سبيل المثال؛ في منطقة التقاء نهر باطمان- سو مع دجلة وكذلك على امتداد دجلة).

أما الكاتب الآخر" فون مولتكه" متحدثًا حول قرى الكرد في آسيا الصغرى، يشير: (في الجبال العالية وبين غابات البلوط تلوح للأنظار القرى الكردية التي تتشكل في الحقيقة من مجموعة كهوف مقعّرة في أحجارها الرملية).

لا شك أنّ هذا النمط البدائي للبيوت توارثها

الكرد عن أجدادهم الكوتيين. وعلى ما يبدو أن هذه البيوت للكرد في الجبال، إذْ تعود الأساطير المتعددة للإغريق- اليونانيين حول قيام الآلهة الأولمبية بحجز الأغنام الذهبية في الكهوف ليلاً في الشتاء. وحسبما كتب سابقًا أحد المشاهير نهاية القرن التاسع عشر قائلا: في كانون الثاني عام ١٨٨٦م سافرت من كولپار إلى كاكيزشان[١٠]، فجأة تناهى إلى أسماعنا نباح كلاب من حولنا، يبدو أننا قد وصلنا إلى بيوت الكرد الشتوية، على الرغم من أنّنا لم نرَ بيتاً واحداً من حولنا.

أوقفت الحصان وبدأت أنتظر ظهور الكرد، لم تمضِ خمس دقائق حتّى خرج مباشرة من تحت أقدام حصاني رجل كردي ماسكاً بعود مشعّ في إحدى يديه، فأدهشني ذلك كثيراً..وبدا لي أن حصاني كان واقفاً على سقف بيت ذاك الكردي. أمام الحصان وعلى بُعد أرشين[١١]، ونصفه كان يقع الباب إلى الأسفل، ثم أدخلونا إلى الزريبة. هنا في ميان (المعزولة عن المعلف المكان الخاص بالحيوانات في البيت)، جلس على اللباد حوالي ١٥ كردياً حول موقد التدفئة، وقبل كل شيء ضيّفنا صاحب المنزل القهوة، وبعد ذلك قدّم لنا خبز الشعير الذي يخبزه الكرد على الصاج مع اللبن والجبن). وبهذا الشكل نرى أنّ الكرد هم من حافظوا على النمط الأكثر قِدماً للبيوت الخاصة في غابر الزمان للسكان القدامى لزاغروس.

بعد كلّ الدراسات التاريخية والأثنولوجية والأنثروبولوجية واللغوية والشواهد الأثرية، تبين أن أصل الكرد من الشعوب الهندوأوربية وبالأخص من الآرية الميدية، وعاشوا على هذه الأرض قبل الميلاد بعشرات القرون، علماً أن معظم الكُتّاب والمثقفين الكرد وقادة الفكر السياسي ومنظّري الحركات السياسية والوطنية والقومية يميلون إلى هذا الترجيح، ويؤيدونه ويعتمدون عليه. الدكتور عبد الرحمن قاسملو في كتابه «كردستان والأكراد»، والأستاذ سيدو علي كوراني في كتابه «من عمان إلى العمادية»، والمؤرخ محمد أمين زكي في كتابه «خلاصة تاريخ كرد وكردستان»، والمؤرخ شرفخان البدليسي في كتابه «شرفنامه».

## المرأة الكردستانية في معتقد الأديان والمذاهب:

يختلف وضع ومكانة المرأة من دين لآخر، وهذا يكون بناءً على الأوامر العقائدية، وأحياناً يكون بناءً على العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة في المجتمع الذي يكون فيه الدين.

ففي الديانة السومرية، لعبت الآلهة (المرأة) دوراً كبيراً، ما يعكس العلاقات الحقيقية في المجتمع الكردي، حيث كانت للمرأة دوماً مكانة رفيعة على عكس الشعوب السامية الشرقيين، حتى أن دخول الكرد في الإسلام لم يهزّ مكانتها الرفيعة، فالمرأة الكردية أبداً لم تضع غطاء الوجه، تستقبل بنفسها الضيوف ذكوراً أو إناثاً، ترعى جنباً إلى جنب مع الرجل الأغنام في الجبال.

تلعب التقاليد الزرادشتية دوراً هاماً في تحقق الوجود الكردي وتشكل هذه التقاليد حلقة انتقالية تاريخية فيما بين الأديان الإبراهيمية التوحيدية والأديان الوثنية( الطوطمية).

فالزرادشتية تُعدّ أول ثورة دينية أخلاقية كبرى، لأنها أخرجت البنى الطوطمية السائدة كمفهوم ديني راسخ في الثقافية القبلية من كونها مسلمات محرّمة لأول مرة، وصيّرتها أرضية أخلاقية اصطلاحية. إنها تشبه الانطلاقة الإسلامية المرتكزة إلى القبائل العربية، لكن تسبقها زمنياً، وهي تطمح في تأمين اتّحاد أرفع مستوى بين صفوف القبائل الميدية الكردية البدئية، استناداً إلى خلفية عقائدية وأخلاقية متينة، وتصوغ حلاً يطغى عليه الجانب الديمقراطي تجاه أزمة المجتمع القبلي. هذا النظام العقائدي الذي يتبدّى وجوده في أعوام ١٠٠٠ق.م، يطوّر نظاماً مجتمعياً مؤثراً مع زرادشت (القرن السادس

١٠ وادي نهر آراكس في شمال كردستان

١١ مقياس طول روسي قديم يساوي ٧١سنتيمتراً

قبل الميلاد). ما يهمّ في الثورة الزرادشتية، هو تخطّيها الاتحادات القبائلية والسلالاتية الضيقة لأول مرة، وإنشاؤها هوية عليا مشتركة بين جميع القبائل الميدية.

- عندما جئنا إلى الناس
- وجدتهم يتمسكون
- بأفكارهم القديمة، تخيل للجميع
- بأنّهم يعرفون ذلك منذ القدم
- أنا الذي أيقظتهم من هذا السبات
- عندما بدأت أعلمهم: - لم يكن أحدهم ملمّاً بعد
- وأمرتهم بكبّ منابرهم القديمة
- وأمرتهم بالاستهزاء بأساتذتهم العظام
- أمرتهم بالاستهزاء بحكمائهم العابسين
- طموحي إلى الحكمة
- صرخ فيّ وقهقه:
- بأن الحكمة المتوحشة العظيمة
- فعلا ولدت في الجبال[١٢]

زرادشت هو بن بوشب الذي ظهر زمان كشتاسب بن لهراسب الملك، أبوه من أذربيجان، وأمه من الريّ، واسمها دغدوية، وأصل ديانته هو أن النور والظلمة أصلان متضادان؛ النور وجوده وجود حقيقي، وأما الظلمة متبع كالظل بالنسبة إلى الشخص فهو موجود، ولكنه ليس موجوداً حقيقة، والباري تعالى هو الذي مزجهما وخلطهما لحكمة رآها في التراكيب المختلفة، وكان دينه عبادة الله، والكفر بالشيطان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجتناب الخبائث.

وإله الشر( أهريمان)، هو أمير الظلمة وحاكم العالم السفلي، وهو الذي خلق الحشرات المؤذية، والظلمة، الجريمة، الخطيئة، واللواط وغيرها من مصائب الحياة، وقد ثار زرادشت على المجتمع وأعلن بصراحة وشجاعة فائقتين أن ليس في العالم إلا إله واحد وهو( أهورمزدا) إله النور والسماء، وأن غيره من الآلهة ليست إلا مظهراً له وصفة من صفاته، وأن للإنسان إرادة حرة، لأنّ (أهورمزدا)، كان يريدهم شخصيات تتمتع بكامل حقوقها، وفي مقدورهم أن يختاروا طريق النور أو طريق الظلام.

وكما ذكر "بيرثيا حسن" في كتابه: (إيران القديمة) **أن الطبيعة الإنسانية في نظر الزرادشتيين عبارة عن ميدان حرب، يتنازع فيه الخير والشر والنور والظلمة، وتظهر نوعية الإنسان من خوضه لتلك المعارك، وفي عقيدتهم أنّ الإنسان الصالح هو الذي يتمكن من مساعدة المخلوق الخير أكثر وبطريقة أفضل، و يعادي مخلوق الشر، وبناء على مبدأ الفكر الطيب، والقول الطيب والعمل الطيب، يتم معرفة الصفات التي يتصف بها عابد (أهورمزدا)، والفكر الطيب هو عبارة عن محبة أهورمزدا والاعتقاد بأن الخير المطلق منه، وتجنب الكفر والتكبر والحسد والبخل، والقول الطيب هو العمل الذي يساعد على الخير، كبناء المنازل، إصلاح الأرض، بذر البذور بكثرة، حفر القنوات، غرس الأشجار، رعاية الحيوان، حب الأقارب، ومن الآداب الفاضلة: التقوى ويأتي بعدها مباشرة، الشرف والأمانة عملاً وقولا. وحرم الربا، وجعل الوفاء بالدين واجباً يكاد يكون مقدساً.**

**ورأس الخطايا كلها هو الكفر، وإن المرتدين عن الدين يعاقبون بالأعدام، وأول ما يجب على الإنسان في هذه الحياة أن يعبد الله بالطهر والتضيحة والصلاة.**

كان الكتاب المقدس للدين الجديد: هو مجموعة الكتب التي جمع فيها أصحابُه ومريدوه أقواله وأدعيته، وسمى أتباعه المتأخرون هذه الكتب ب(الأفستا- الأبستاق) ويُعرف عند الغرب ب (الزند- آبستا). يقول عباس عبد الهادي: (الكتاب المقدس أفستاق، كان في نصه الكامل يشتمل على ١٢٠٠٠ جلد من جلود البقر).

**ويقول بيريثا حسن:** (يقول الباحثون كانت هذه الأخلاق جديدة في العالم القديم، وعندما قدِم الآريون إلى آسيا الغربية كان حدثاً هاماً وتسببوا في نوع من الثورة الأخلاقية، واعتبروها عاملًا من عوامل تطور الحضارة البشرية في التاريخ. ويؤكد هذا القول وول ديورانت: (وإذا

١٢ فريدريك نيتشه: هكذا تكلم زرادشت

**”لقد بينت السنوات الطويلة من المتابعة والبحث العلمي لعلماء متخصّصين في علم الانتقاء، وعلى رأسهم العالم الروسي المتخصص في علم النبات «نيقولاي فافيلوف» الذي كرّس حياته لدراسة وتحسين القمح والذرة، بأنّ جبال زاغروس وطوروس هي بالذات المناطق الجغرافية التي امتلك سكانها القدامى في الألف الثالث قبل الميلاد القمح البري، مما وضعوا فيما بعد أسسًا لازدهار الحضارة الزراعية الأولى في أودية ميزوبوتاميا“**

نظرنا إلى هذا الدين نجده دينًا رائعاً، وأقل تخريفاً من الأديان المعاصرة له، وكان خليقًا بألا يُقضى عليه هذا القضاء العاجل).

اختلف المؤرخون في تحديد العصر الذي عاش فيه زرادشت، يقول هغ ولز[١٣]: «العصر الذي عاش فيه غير واضح، يرجعه بعض الثقات إلى سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد أي قبل قورش مؤسس الدولة الأخمينية الفارسية».

ويقول وول ديورانت: ( المؤرخون المحدثون يحددون تاريخه فيما بين القرن العاشر والسادس قبل الميلاد، وقيل الذي نشر دين زرادشت هو والد دارا الأكبر). ويؤيد هذا الرأي كل من عباس عبد الهادي في كتابه (المرأة والأسرة) وتوماس بوا في كتابه (تاريخ الأكراد). ويعتقد الكرد اعتقاداً جازماً بأنهم كانوا على الدين الزرادشتي قبل الدين الإسلامي.

وبحسب ماذكره - وول ديورانت- في ”قصة الحضارة“ بأنه لا يوجد أثر للديانة الزرادشتية في هذه الأيام إلا بين عشائر قليلة العدد في ولاية فارس، وبين (البارسيين) من الهنود، ويبلغ عددهم تسعين ألفًا لايزالون يلقون موتاهم داخل أبراج معينة مفتوحة، هي أبراج الصمت والخشوع.

اعتنق الكرد الإسلام في زمن الخليفة عمر بن الخطاب، وذلك في عام ١٦ للهجرة النبوية، فأسلموا وآمنوا بهذا الدين الجديد، وخرجوا من ديارهم لنشر الإسلام وتعاليم القرآن، وبهذا خرج الكرد من الحكم الفارسي ودخلوا في حكم الإسلام، وأصبحوا جزءاً من الأمة الإسلامية، وأخذوا العلم والفلسفة من كبار العلماء والمجتهدين، وشاركوا وساهموا في تكوين هذه الحضارة والدفاع عنها بكل مالديهم من القوة السياسية والعسكرية والاقتصادية في مراحلها المختلفة، من عهد الخلفاء الراشدين مرورًا بالأمويين، فالعباسيين.

تمسّك الكرد بتعاليم الإسلام وشعائره، لذا نرى وجود عدد كبير من التكايا والزوايا للطرق الصوفية المنتشرة في كردستان ولا سيما الطريقة النقشبندية التي تعود إلى الشيخ خالد بن أحمد ضياء الدين النقشبندي المجدوي، والطريقة القادرية التي تعود إلى مؤسسه الشيخ عبد القادر الجيلاني. وبصفة عامة كان الكرد متعصّبون للإسلام تعصّبًا شديدًا اشتهر عنهم إلى درجة أوجبت الاعتقاد بأن هذا التعصب أضحى من تقاليدهم.

يَعتبر الكرد الخلافة الإسلامية في عصورها المختلفة وعاء المسلمين، فعندما سيطر مصطفى كمال أتاتورك على مقاليد الحكم في عام ١٩٢٤م وإلغائه الخلافة الإسلامية، ومطالبة العرب بالدولة القومية بقيادة الشريف حسين ومن ورائهم الإنكليز، حمل الكرد السلاح دفاعاً عن الخلافة الإسلامية مطالبين بإعادتها بعد إلغائها من قبل الطورانيين، وبمساندة القوى الاستعمارية، ففي ١٣ شباط ١٩٢٥م، رفع الشيخ سعيد بيران شيخ النقشبندية راية العصيان على الأتراك، وسرعان ما ضمّنت له صلته الوثيقة بنبلاء الكرد عدداً ضخماً من

١٣ صاحب كتاب معالم تاريخ الإنسانية

المؤيدين والأنصار، وما إن عمّت الثورة الولايات الشرقية حتّى طالبوا بتعيين سليم بن عبد الحميد خليفة وسلطاناً.

أسر الشيخ سعيد وأعدم في عام ١٩٢٧م في أنقرة، وفي سنة ١٩٢٩م، نشبت ثورة كردية أخرى في إقليم آرارات وبحيرة وان. وأُبعد الكرد عن موطنهم الأصلي، ونُقل بعضهم إلى تراقيا الشرقية.

وقد أثّر الإسلام على حياة المرأة الكردية تأثيرًا بالغاً، وغيّر نمط حياتها كاملة ابتداءً من عاداتها وتقاليدها وزواجها، فأصبحت تتفاعل مع الشعائر الدينية الإسلامية بصورة عميقة. وكانت لوقفة الأميرات الأيوبيّات دورٌ كبيرٌ في صنع الحضارة الإسلامية في عهد الأيوبيين، ودورٌ بارزٌ على نشر العلم والخير والإصلاح في تحقيق الازدهار المجتمعي، وقد تحولت دمشق في العهد الأيّوبي إلى مركز للعالم الإسلامي، يقصدها العلماء والطلبة والفقراء، والأغنياء والتجار والصناع، والمعماريون والبنائون من كل الأصقاع. عبّرت الوقفات النسائية الأيّوبية عن نوع من الحراك المتواصل في المجتمع الإسلامي، وذلك في تحسين الأوضاع الاقتصادية، وتعزيز الجانب الأخلاقي في المجتمع من خلال رعاية النساء المطلقات والأرامل والأيتام والعبيد والطبقات المهمّشة، وبالتالي ساعدت على تحقيق الاستقرار الاجتماعي، وتمكّن الفقير كالغني من الحصول على حقّه في المتطلبات الأساسية من خلال نظام الوقف.

## رسائل موثقة للإرث الثقافي والاجتماعي

لدى البحث عن ظروف حياة الكورد وعاداتهم وطباعهم، فإنّنا نجد ثمّة اختلاف كبير بينهما في اللغة والعادات، وبحسب ما يقول شرف خان: - إنّ الكورد ينقسمون إلى أربعة أقسام: ( كرماڭ، اللور، كلهور، كوران)، ويجوز أن نأخذ بعين الاعتبار، في ظل المعطيات الحالية، أن نفرق بين العشائر الكثيرة لهذه الأقسام الأربعة.

الكرماڭ هم من سكان كردستان الوسطى بدءًا من بحيرة (وان) وحتى أردلان في فارس، وهنا فإن طبقة المزارعين تنتمي إلى كوران وتعيش عشائر كوران الرحل إلى الجنوب من أردلان وفي الشمال الشرقي كرمنشاه، وتعيش عشائر كلهور إلى الجنوب منها، وأخيراً عشائر اللور الكثيرة العدد التي تعيش إلى الجنوب من عشائر كلهور. وعلى الرغم من دخول عناصر غريبة كثيرة إلى العشائر الجنوبية الغربية والشمالية الغربية حيث اختلطت مع الجوريين والأرمن والأتراك إلا أن العنصر الكردي ظل سائداً على الدوام في مثل هذه الأحوال.

إذا كان القسم الأكبر من كرد آسيا الصغرى من أصل كرماڭي على الأرجح، فهم مع ذلك يختلفون، حسب شهادة عدد الرحالة، اختلافاً شديدًا عن الكرماڭ وبالذات في نمط الحياة. كما أن كوراني وكلهور يحملان تسمية مشتركة هي (لك) والكورد القاطنين في مقاطعة كرمنشاه آنذاك، والذين لهم لهجاتهم الخاصة فإنه عدّهم ضمن عشائر كلهور و(لك).

تتصف نساء عدد كبير من العشائر الكردية بالجمال، وحسب رأي عدد كبير من الرحالة الذين زاروا كردستان، فإنّ المرأة تنقصها تلك النعومة في ملامح الوجه والتي اعتدَّ أغلب الأوروبيين رؤيتها لدى نسائهم. حسب ما رواه (ريتش) الذي زار السليمانية و(سنو فان): - الأكراد شعب قوي البنيان سليم الجسد، ويعمر الرجال والنساء طويلًا، وملامح الوجه في جهة الجزء الأمامي من الرأس عريضة، والكرديّ حاد المزاج وعيونه غائرة، وفي أكثر الأحيان زرقاء اللون أو رمادية، وماشيتهم ثابتة وراسخة. وهذا ما ينسب حسب أقواله، إلى أفراد القبائل فقط ، والذين يختلفون عن الكورد العاملين بالزراعة من حيث الهيئة والمشي الذين ينتمون هنا في أردان إلى فرع الكوراني. وكما يقول: - إنّ لهؤلاء الآخرين ملامح وجه لطيفة وصحيحة، بل وترى بينهم مرارًا النموذج الإغريقي الخالص.

ويقول المستشرق الروسي بيتر ليرخ: تتمتع المرأة الكردية بحرية أوسع مما هي لدى الشعوب

المجاورة للكرد، بل ويؤكد Southgate[١٤]، على أن علاقات الكرديات بأزواجهن أعادت إلى أذهانه الحياة العائلية في الغرب، فالمرأة الكردية لاتضع الحجاب سواءً كانت أثناء العمل أم في مجتمع الرجال، ويثق الزوج ثقة تامة بإخلاص المرأة. وهي تدير الشؤون المنزلية وتعمل في الحقل وتقوم بتربية الأطفال وحياكة الثياب وصناعة السجاد، ولا تخلو الأقمشة التي تنسجها لأجل أطراف بيوت الشعر من الأناقة والجمال. وعمومًا فإنّ المرأة الكردية تحبّ العمل. وحسب مفاهيم الأراك والفرس يعامل الكرد النساء بحرية تامة، ويقول الأتراك إن الكرد أشبه بالأوروبيين في نواحٍ كثيرة.

ويصف مينورسكي في كتابه (الكرد) المرأة الكردية، بأنها غيورة وشجاعة، فهي تستقبل الضيوف بغياب زوجها وتتحدث معهم وتعد وتحضر لهم الطعام وتقدمه إليهم، إلى أن يأتي زوجها فتدخل خيمتها، ويكون الزوج فخوراً بفعلها هذا (هذه العادة باقية إلى الآن في القرى).

ويقول منذر الموصلي: بلغ الكرد مرتبة عالية بتكريمهم المرأة منذ القدم، وكانوا إذا اشتهرت امرأة وذاع صيتها من حيث الذكاء والشجاعة وغيرها، يضيفون اسمها إلى اسم ابنها فيكنى تشرفاً وفخرًا فيقال فلان ابن فلانة ويشتهر باسم أمه.

نساء الكرد جسورات نشيطات ماهرات، يعملن في صناعة البسط والسجاد والبرادع واللباد. والبيت الذي لا يكون فيه خدم تلعب المرأة فيه أدوار الخادمات، إذ يقمن بكافة الأعمال المنزلية حتى أنهن يشرفن على تربية خيول أزواجهن. أما الرجال فلا مهنة لهم سوى القتال.

كما تقوم النساء بالبيع والشراء ويصل الأمر ببعضهنّ أن يغشين المجالس ويشاركن الرجال في مداولات الرأي وإبداء المشورة. كما يعملن في التجارة، وهنّ يكرمن الضيوف. وعندما يرحل الكرد من موطن إلى آخر، يكون جميع الفرسان في طليعة القافلة وبأيديهم الرماح، بينما تقوم النساء بقيادة القوافل. أما قطعان الغنم والإبل فتكون في آخر القافلة.

ويسمى أولئك الفرسان بيشكوجى (طليعة القافلة)، فإذا صادفوا عدواً قاتلوه، فتقوم النساء بإنزال الأحمال حيث يضعنها في مكان ما، ثم ينصبن المتاريس والحياط ويحمين أطفالهن فيها وبأيديهن البنادق والمسدسات منتظرات رجالهن الذين يقاتلون، فإن ظفر رجالهن بالعدو، عُدْنَ إلى قيادة القافلة، وإن كان الظفر للعدو، أسرع الرجال إلى تلك الحياط والمتاريس التي أقامتها نساؤهم وتحصّنوا فيها ليعودوا إلى القتال، إلى أن تأتي النجدة من جهة ما. فمن عادة الكرد عندما تحتدم المعركة، أن يرسلوا رسلاً إلى الأطراف لطلب المساعدة.

إن نساء كبرائهم يمتطين الجياد الأصيلة ويحملن الرماح ويتسلحن ويسرن في طليعة القافلة. أما نساء الفقراء فإنهن يسرن مع أطفالهن في أطراف القافلة.

لا يميل الكرد كثيرًا إلى القتل ما لم يكن ثمة دماء وثارات، لكن إن كان الأمر يتعلق بالعرض والشرف فلابد من القتل، حتى لو كانت المسيئة أخت الرجل أو أمه أو ابنته أو زوجته، وإذا حدث ذلك فلا أحد يحاسب القاتل ولا يسأله لماذا قتل؟

أما ملابس المرأة الكردية فنلاحظ أنها لم تبقَ على حالة واحدة مدة طويلة في أي عصر من العصور، بل غلب عليها كثرة التغيير والتبديل، من حيث الطول والقصر والاتساع أو الضيق، كما أنّها تختلف بين قوم وآخر، وبين قبيلة وأخرى، وبلد عن بلد آخر، داخل المجتمع الواحد.

وحسب ما كتب ت.آريستوفا:(إن نساء قبائل كلهور وسنجابي وكوران في كردستان الجنوبية يلبسن سراويل منتهية بأكمام مخيطة بقطع نقدية، وقمصان مبرقشة، وفساتين من لون واحد حتى القدمين مع أكمام طويلة مشقوقة من الجوانب ومن الأمام، مشدودة عند الخصر بأحزمة من الصوف). جميع الباحثين والإنتوغرافيين أشاروا إلى أن الحزام لابد منه، وهو عنصر ضروري للزي القومي الكردي. وحول

١٤ انظر Narrat، v. ١١. p ١٣٨.

مكانة الحزام ومعناه الرمزيّ عند الكرد، تؤكد عليه تلك الحقيقة، على أن الحزام بالذات، وبغضّ النظر عن لونه المختار المحدّد، يميّز القبائل والعشائر الكردية عن بعضها البعض، وعند الكردي كما هو الحال عند براهمان الهند، للحزام معنى سحري.

لو قارنا الآن الطقوس القومية - كلبس النطاق الطقوسي عند الكرد مع تقاليد اللباس عند السومريين، عندها نعلم بأن السومريين (سواء أكانوا نساءً أم رجالاً حتى الموت لم يخلعوا من خصورهم الشريط المزدوج السحري أو الرباط الملبوس على أجسامهم العارية).

ويقول الدكتور طاهر المعروف الرباتي عن ملابس المرأة: - [١٥]تتألف الملابس النسائية التقليدية من قفطان طويل وعريض محتشم، يصل عادة إلى الأرض وأكمام القميص تنتهي بأزرار في المعصم، عند العمل تربط هذه الأزرار ببعضهما، وتوضع على الكتف حتى لا يعوق تحركها، وتستعمل في الشتاء أحياناً كمنديل، وطول القميص السفلي نحو متر واحد، أسفله أعرض من أعلاه، ويوجد جيب للعنق، وجيبان للأطراف العليا، وهو يغطي نصف الجسم ويصل إلى الركبة، وهو عريض وليس له أكمام، وتحت القميص تأتي السراويل، ويتكون من قطعتين، القطعة الأولى الفوقانية من قماش أبيض عادي، والقطعة الثانية تتكون من قماش لماع ملون، يصل طوله إلى متر أو أكثر حسب طول الفتاة، وتضم إلى بعضها عند الكاحل بواسطة رباط من الخيط، وفي الأعلى يوجد حزام من الصوف أو من المطاط لضمها، وفوق القميص تلبس الصدرية، تتكون من قماش لماع تكون قصيرة طولها، ولا تصل إلى الخاصر، مفتوحة عند الصدر، وليس لها أكمام، ولونها عادة ورديٌّ أو بنفسجيٌّ أو رمانيٌّ، وتتزين بأزرار معدنية لماعة، وبأشكال وأحجام مختلفة تزيد الملابس جمالاً وزينة، وأحياناً في المناسبات وفي فصل الشتاء تلبس فوق القميص ما أشبه بالحجاب الذي ترتديه المرأة في هذا العصر.

١٥ في كتابه ( المرأة الكردية ودورها في المجتمع )

> **تقع كردستان في موقع جيوسياسي مهمّ، غني بالثروات النفطية وبالموارد المعدنية، لكنّ الأهم بالنسبة للشرق الأوسط هو المياه العذبة، لطالما تنبع تماماً من جبال كردستان، مثل نهرَي دجلة والفرات اللذين على ضفافهما نشأت أولى الحضارات الإنسانية، لذلك قيل دائماً: (من يضع يده على كردستان يضع يده على قلب آسيا)، ونتيجة لذلك؛ حُرم الكرد من إمكانية كتابة تاريخهم القومي بشكل مستقل**

أما غطاء الرأس فيتألف من طربوش يُحاط بأقمشة مزركشة مقصّبة مع حبات من الخرز الملون، وأشكال من القطع المعدنية والنقدية الفضية أو الذهبية، أو قلنسوة حريرية حسب مركز المرأة في المجتمع، وبهذا تكون ثقيلة الوزن وكبيرة الحجم، تُلبس خاصة يوم الزفاف والمناسبات، وهناك الشال العادي من القماش الملون، يوضع على الرأس وتتدلّى أطرافه على الصدر، ويغطي فتحة الصدرية والقميص، وتوجد قطعة أخرى تستعمل للزينة، تسمى بالكردية (كولوانه) قماش حريري مزركش، ومربع الشكل، يوضع على الكتف ويصل جزء منه إلى الصدر والظهر من الخلف، ولا يوجد فرق بين ما تلبسه الغنية أو الإقطاعية أو الفلاحة والفقيرة من عدد أو نوع الألبسة، إنما يكون الفرق عادة في نوع الأقمشة وفي جمالها وسعرها، ولا يوجد لباس خاص للعمل أو لباس خاص لكل مناسبة بل هي غالباً تلبس اللباس نفسه للعمل والنوم والمناسبات في القرى وفي نظام الرحّل.

تتنافس النساء الكرديات على التزين بالملابس الكردية التقليدية بأناقتها وبألوانها المبهجة في عيد نيروز، ويرتسم بذلك مشهد جميل ولوحة فنية بألوانها المتعددة. ويخرجون من البيوت إلى الطبيعة، ويحضرون الأطعمة التقليدية، ويعدّونه عيداً قومياً، ويروون أنه اليوم الذي انتفض فيه الكرد تحت راية كاوا الحداد ضد الملك الضحاك، والتحرر من الظلم، فوفق الروايات كان إشعال النار رمزاً للانتصار والخلاص من الظلم، ويصادف التحول الطبيعي في المناخ، والدخول في شهر الربيع الذي هو شهر الخصب، وتجدد الحياة.

تقول الكاتبة السوفياتية أريستوفا: (إنّ الحكمة والوعي العظيم يبرزان في الحكايات والأمثال والحكم المنتشرة بين الشعب، ففيها نجد صور التأريخ والأحداث، وعادات الشعب الكردي واضحة جلية. وفيها ترى بوضوح علاقات الكردي مع الأطفال، وخاصة مع الأولاد وعلاقاته مع الشيوخ والعجائز، مع عائلته، مع مضيفه وربة بيته، مع المرأة، مع الأصدقاء والمعارف، مع الجيران).

إننا نجد في الأمثال الكردية ذكراً للأسد والنمر والثعلب والضبع وذكراً للطيور والجوارح كالغراب والنسر والعقاب، وذكراً لبعض الحشائش البرية، ولكن في مواقع الذكر أدلة على أن الأمثال وليدة عهد الحضارة، كما أنّ طريقة ذكر مظاهر الراعي توحي لنا بأنّ الأمثال المتداولة بيننا تعود إلى عهد الزراعة. فقد كانت هناك قرى وأرياف ومساكن، رغم أن الرعي يسبق الزراعة في تأريخ المجتمع بقليل، وكدليل على ما نقول نجد الأمثال التالية: (هدية الراعي شنك أو هلكوك) وبحسب المخطوط ١ هما نبتان بريتتان. الأولى تشبه نبتة السلسفيل. (إن أمطرت السماء فطاحونته تدور، وإن لم تمطر فحرثه قائم).

أو يقول: (**إذا جاء أجل الماعز أكل خبز الراعي**).

وهناك عشرات الأمثال والحكم الكردية التي تقتبس جانب معانيها الاجتماعية العميقة من تجارب الشعب الكردي في الحياة. فنجد في الأمثال والحكم مظاهر تعود إلى العهد الذي كان النتاج الزراعي مظهراً من مظاهر تقدم الحياة، فإن غزل الصوف والنسيج والحياكة هي من المشاهد الأخرى لحياة الإنسان في الريف، وبداية بسيطة لنشوء الصناعة. (عاد ما غزلناه صوفاً) أو (هل جعلتك حائكاً كي تسرق).

وأخيرًا تكشف الأمثال والحكم الكردية لنا عن الطبيعة القومية للكرد، في تأريخهم وحياتهم اليومية، ولم يصنعوا في فلسفتهم وفي تجربة سنوات حياتهم صفاء القلب والمحبة في إطار زمان ومكان معينين، بل كانت دليل حياتهم في كل زمان ومكان.

كما تُبرز الامثال والحكم الكردية إلى جانب هذه الطبائع نبل وشرف الناس البسطاء، وترينا أن الأشرار سيزولون ومصيرهم الدمار والهلاك.

## الإرث الاجتماعي بين الماضي والحاضر

تعد سنة ٢٠١٢م بداية مرحلة جديدة أعلنت فيه روج آفا عن الإدارة الذاتية في شمال شرقي سوريا، ضمن نظرية الأمة الديمقراطية.

ومن عظيم الأهمية التبيين أنّ نموذج الحل الديمقراطي ليس منفصلاً كلّيّاً عن الدولة القومية. إذ بمقدور الديمقراطية والدولة القومية أن تلعبا دورهما كسيادتين تحت السقف السياسي عينه. والدستور الديمقراطي هو الذي يرسم الحدود الفاصلة بين مساحتي مناطقها. وبمقدورنا نعت ذلك أيضاً بولادة كينونة مجتمع جديد في الشرق الأوسط، وذلك لمعالجة وجود جميع المكونات الموجودة في سوريا (كرد، عرب، آشور، سريان)، والتخلّص من الذهنية السلطوية الدكتاتورية، وبوسعنا وصف ذلك أيضًا بالعبور من المرأة المضطهدة والجثة الهامدة التي أكل عليها الدهر وشرب، صوب المرأة الحرة والمنتعشة من جديد.

موضوع الحديث هنا ليس ولادة اسمية وذهنية للمرأة، بل هو تحول لشخصية المرأة من حالة

الموضوع الشيء، والماضي العبودي، إلى حقيقة مجتمع يعبر عن نفسه بحرية، وينظم ذاته ويسوقها على المسار الصحيح، وبصورة نموذجية يمكننا تسمية هذا بإعادة التكوين في هيئة مجتمع عصري أو مجتمع أمة ديمقراطية. ينبع الفارق المعاش للمرأة في الشمال السوري- روج آڤا من التجسد في هوية جوهرية جديدة، واكتساب طابع الوجود الثابت والراسخ، والإصرار على الحياة الحرة. أي إن ما حدث للمرأة في أعقاب المراحل السابقة الأليمة والمرحلة الجديدة هي كمرحلة الولادة والنشوء، هو توخي الحيطة والحساسية نفسها المتبعة أثناء عملية الولادة الناجحة، وتحصين كيان المرأة بالدفاع الذاتي، ورعايتها وتنشئتها بالأغذية غير السامة مثلما يربى المولود تمامًا، كي تستطيع التعبير بحرية عن هويتها الذاتية، وحياتها الحرة.

يختلف المجتمع الكردي ثقافيًا عن نظيره العربي، وقد يفسر هذا شيئًا من اختلاف وضع المرأة بين المجتمعين، حيث تعبّر الثقافة عن الذهنية التقليدية والحقيقة العاطفية للمجتمعات، ويشكل الدين والفلسفة والميثولوجيا والعلم ومختلف الحقول الفنية ثقافة مجتمع ما بالمعنى الواضح.

إن نضال المرأة الكردية بشكل خاص في الشمال السوري لما بعد أعوام ٢٠١١م، جعلها رقمًا صعبًا ومميزاً في معادلة الشرق الأوسط، قياسًا بثورات الربيع العربي، موضوع الحديث هنا هو هوية امرأة كردية تتمتع بحياة حرة مستقلة متساوية في الحقوق والواجبات، قادرة على التعبير عن واقعها، وجعله حقيقة، والدفاع عنه، ومما لا شكّ فيه، هو أن هذا الواقع أو الحقيقة في الشمال السوري لم يستطع التعبير عن نفسه في صورة الدولة القومية، بل تخلّت عن نفسها وعن حقوقها.

لم تكن عملية إعادة بناء المرأة الكردية في الأمة الديمقراطية تعني اكتسابها حقوقاً مغايرة، ولكنها لم تكن أيضًا نسخة مطابقة للمراحل التي تسبقها. ما حصل كان تطورًا نوعياً، لا كمياً ساذجاً. لقد كان تحوّلًا نوعيًا لم يقتصر على المرأة الكردية وحسب، بل شمل المجتمع الكردي ومجتمع الشمال السوري بكافة ألوانه.

فتدريب النساء الكرديات في شمال السوري أنفسهن وتصييرهن فلسفة الحياة الحرة نمطًا لحياتهنّ شرط لا بد منه. ومن خلال التحصّن بهويتهن الأيديولوجية والسياسية في الأمة الديمقراطية استطاعت المرأة حماية نفسها، والتحلي بالقدرة على إطلاق الحملة والالتحام بالمجتمع وحمايته في وجه شتى الهجمات الإيديولوجية والسياسية، وتحت كل الظروف، أي أنّها أصبحت القدرة المتحولة إلى الفرد المشبع الذي يسمّى في الثقافة الشرق أوسطية بالإنسان الكامل. واستطاعت إفشال كافة أنماط الحياة، وشلّ تأثير الإيديولوجيات السلطوية والقوموية والجنسوية والدينوية والليبرالية الباعثة على التقزم والتشرذم والمتسببة بالابتعاد عن الحقيقة.

## التمكين السياسي للمرأة في مناطق الإدارة الذاتية

تعيش المرأة الكردية حالة من النضج السياسي لما تقدمها لها المجالس والمراكز المعنية بشؤون المرأة، من دورات تدريبية مكثفة، ومؤتمرات، وندوات، وكتب، وكتيبات، ونشرات، تهدف إلى النهوض بالمرأة، وتمكينها، وتعزيز مشاركتها في الحياة العامة.

فدخول الظاهرة السياسية في الأجندة شرط أولي لذلك. فالسياسة لا تحرر وحسب، بل وتُرتب وتُصنفُ أيضًا. أي إن السياسة قوة تنسيقية وتصنيفية فريدة، وضرب من الفن، وهي تمثل نقيض الترتيبات القمعية للدول والسلطات. وبقدر ما تكون السياسة قوية ووطيدة في مجتمع أو أمة ما، فإن قوى الدولة والسلطة ضعيفة هناك بالمثل، أو يجب أن تكون ضعيفة واهنة. والعكس صحيح، فبقدر ما تكون قوة الدولة أو السلطة راسخة في مجتمع أو أمة ما، فإن السياسة وبالتالي

> **ففي الديانة السومرية؛ لعبت الآلهة (المرأة) دوراً كبيراً، وهذا ما انعكس بدوره على العلاقات الحقيقية في المجتمع الكردي، حيث كانت للمرأة دوماً مكانة رفيعة، على عكس الشعوب السامية الشرقيّة، حتى أن دخول الكرد في الإسلام لم يهزّ مكانتها الرفيعة، فالمرأة الكردية أبداً لم تضع غطاء الوجه، تستقبل بنفسها الضيوف ذكوراً أو إناثاً، ترعى جنباً إلى جنب مع الرجل الأغنام في الجبال**

الحرية ضعيفة هناك أيضًا.

في بداية تأسيس الإدارة الذاتية في الشمال السوري- روج آفا عام ٢٠١٤م تم سن مجموعة من القوانين التي كانت تهدف إلى تعزيز دور المرأة في المجالات السياسية والاجتماعية والعسكرية، كان من بين هذه القوانين المادة /١٢/ وجود كوتا للمرأة مساوية للرجل في جميع الإدارات، واعتماد مبدأ الرئاسة المشتركة في كافة المجالات السياسية والاجتماعية والإدارية وغيرها، الذي يقتضي وجود امرأة ورجل- وتعتبرها مبدأ أساسياً في التمثيل المتساوي بين الجنسين وتساهم في التنظيم الديمقراطي للمرأة ككيان خاص بها. والمادة /١٣/ ضمان حرية وحقوق المرأة في المجتمع والمساواة بين الجنسين. والمادة /١٤/ تتمتع المرأة بإرادتها الحرة في العائلة الديمقراطية التي تؤسس على أساس الحياة الندية المشتركة. والمادة /٢٥/ تعتبر ممارسة العنف ضد المرأة أو استغلالها أو فرض التمييز السلبي عليها جُرم يعاقب عليه القانون. بالإضافة إلى وجود مؤسسات سياسية وإدارية وعسكرية خاصة بالمرأة.

رغم كلّ الظروف التي كانت تعادي المرأة عموماً، والمرأة الكردية بشكل خاص، إلّا أنّ الثراء الثقافي والفلسفي والطبيعة المختلفة للأمة الكردية جعل إرادة المرأة الكردية أقوى. ورغم أن المرأة تعيش حالة من النضج السياسي في شمال شرقي سوريا- روج آفا، لكن قضية النهوض بالمرأة، تُعد من أعقد وأصعب القضايا في مجتمعاتنا الشرقية، نظراً لوجود العديد من العناصر الحاكمة والمؤثرة على مسألة الاعتراف بمشاركة المرأة، وبأن يكون لها دور بارز في المجتمع، كعدم إيمان البعض بدور المرأة خارج النطاق الأسري.

## المرأة في مواقع الإدارة الذاتية الديمقراطية

يستند نظام الإدارة الذاتية الديمقراطية، بحسب الباب الثالث من ميثاق العقد الاجتماعي إلى (الكومينات، المجالس، نظام الإقليم، مؤتمر الشعوب الديمقراطي، مؤسسة الإعلام والنشر، قوات الدفاع المشروع، مجلس العقد الاجتماعي، نظام العدالة، المفوضية العليا للانتخابات). **وفيما يلي التنظيمات النسائية الديمقراطية التي تنظم وتناضل المرأة في ظلها:**

**مؤتمر ستار:** تأسس في كانون الثاني عام ٢٠٠٥م، وكان اسمه حينها (اتحاد ستار)، وذلك بهدف تجميع قوة وطاقات المرأة الكردية في غربي كردستان، من خلال تشكيل تنظيم خاص بالمرأة. في شباط تغير الاسم إلى (مؤتمر ستار)، ليشمل نساءً من كافات مكونات الشمال السوري (عرب، سريان، أرمن، آشوريين، كلدان). كما انضمّ إليه عدد من منظمات المجتمع المدني التابعة للإدارة الذاتية، مثل: **(منظمة سارا)** لمناهضة العنف ضد المرأة، ومنظمات نسائية أخرى لتعمل جميعها تحت

مظلة مؤتمر ستار. تتمثّل أبرز أهداف مؤتمر ستار، بحلّ القضية الكردية ضمن مشروع الإدارة الذاتية، وتنظيم المرأة ذاتها بشكل مستقل وفق نظرية الأمة الديمقراطية، والوصول إلى النظام الكونفدرالي الخاص بالمرأة، في الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية والبيئية والاقتصادية والدبلوماسية وميدان الدفاع الذاتي وغيرها من الميادين الأخرى، ومحاربة كافة أشكال اللا مساواة في المجتمع، وترسيخ إيديولوجية حرية المرأة في المجتمع.

يشارك في كافة النشاطات الاجتماعية وفق مبدأ المشاركة المتساوية والتمثيل المتساوي، كما يشارك في تطوير الحياة التشاركية الديمقراطية من خلال بناء الأمة الديمقراطية، يكافح تجاه البنية العائلية الموجودة ذات السلطة الذكورية، ويتّخذ من العائلة الديمقراطية المرتكزة إلى الاتحاد الحرّ والإرادة المشتركة بين الجنسين أساسًا له.

ينطلق من رؤية الحياة الندّيّة الحرة في نضاله الساعي إلى تجاوز التحكم والسلطوية والتملك والتمييز الجنسي في كافة العلاقات الاجتماعية، ويقوم بتطوير وتكريس الدفاع الذاتي للمرأة في كل مجال ونشاط تجاه شتى الهجمات والبنى الدولتية والجنسوية.

يعترف مؤتمر ستار بالتنظيمات الديمقراطية الحرة لمختلف (العقائد الدينية ،الثقافات والشعوب)، يناضل ضد الذهنية والمواقف والمقاربات الذكورية السلطوية، ويعتمد تغيير وتحويل الرجل وفق معايير الحرية أساسًا له، ويصوغ مشاريعه في هذا الصدد.

يقوم بالريادة في تحويل نموذج الإدارة الذاتية الديمقراطية الذي ظهر مع ثورة روج آفا (ثورة المرأة) إلى أرضية لدمقرطة سوريا بأكملها، ولحماية وتطوير مكتسبات جميع مكونات الشعب السوري.

## اللجان المختصة بالمرأة:

توجد في كافة مؤسسات الإدارة الذاتية لجان خاصة بالمرأة على كل المستويات بدءًا من الكومين إلى الأحياء ومجالس المدن والأقاليم. مهمة هذه اللجان متابعة القرارات التي تخص المرأة بشكل أساسي كي لا تتمكن الأنماط الذكورية المترسخة في المجتمع من تقويض حقوق المرأة. وتقوم بتنظيم وتوعية المرأة في القرية أو الحي، وتهتم بأمورها، كما تقوم بحل كافة الخلافات التي توجهها المرأة، دون تمييز أو تفرقة أو انحياز.

وتسعى أيضاً لتكون فاعلةً في الساحة السياسية بنسبة تخوّلها بأن تشترك مع الرجل في بناء مجتمعها الديمقراطي المتقدم، الذي لا بد وأن يؤمن بأن المرأة بإمكانها القيام بالمعجزات إن مُنحت الثقة والحق بدون استغلال في كل مجالات الحياة وليست السياسية فحسب، بل لتحقيق مبدأ المساواة بينها وبين الرجل على مختلف الأصعدة.

## هيئة المرأة

يوجد في كل إقليم من أقاليم شمال شرقي سوريا- روج أفا- هيئة خاصة بالمرأة تتبع المجلس التنفيذي للإدارة. جميع العاملات فيها من النساء، وهي تتمتع كذلك بحق الفيتو على القرارات التي تخص المرأة الصادرة من هيئات المجلس التنفيذي.

قامت هيئة المرأة بعد فترة قصيرة من تشكيلها في تشرين الثاني عام ٢٠١٤ بصياغة مجموعة من القوانين خاصة بالمرأة، جاء في ديباجة هذه القوانين أنها تهدف إلى الوقوف في وجه المفاهيم الذكورية في المجتمع، ولضمان حرية المرأة والمساواة بينها وبين الرجل، وتفعيل دورها ومشاركتها في بناء المجتمع وتقدمه. وتضمنت هذه القوانين ٢١ بندًا من المبادئ الأساسية، وتسعة من الأحكام العامة، تمت المصادقة عليها من قبل المجلس التشريعي لمقاطعة الجزيرة، ثم اعتمدتها مقاطعتا عفرين وكوباني. وتمحورت حول حقوق المرأة في مسائل الإرث والطلاق وما يترتب عليها، وتفعيل

مشاركتها السياسية والاقتصادية.
من أبرز ما جاء فيها منع تعدد الزوجات، ومنع زواج الفتيات دون سن الثامنة عشر، والمساواة بين المرأة والرجل في مسائل الإرث والمساواة بين شهادة الرجل والمرأة، وتجريم العنف ضد المرأة وجرائم الشرف، وحق المرأة في حضانة أطفالها حتى إتمامهم الـ ١٥سنة، ويكون بعدها حق الاختيار للأولاد، كذلك ألغي المهر باعتباره قيمة مادية هدفه استملاك المرأة ويحل محله مشاركة الطرفين في تأمين الحياة التشاركية، بالإضافة إلى حق المرأة في الترشيح والترشح وتولي كافة المناصب، والجدير بالذكر فقد بلغت نسبة النساء في الإدارة الذاتية الآن ٦٠٪.

## وحدات حماية المرأة YPJ:

لكل نوع في عالم الكائنات الحية نظام دفاعي خاص به، وما من كائن حي واحد فقط يخلو من آلية الدفاع، بل وبالمقدر اعتبار المناعة، التي يبديها كل عنصر أو جُسيم في الكون للحفاظ على وجوده دفاعاً ذاتياً، إذ من الساطع جلياً أن المناعة التي يبديها إزاء أي عطل أو خروج من الكينونة، لا يمكن إيضاحها إلا بمصطلح الدفاع الذاتي، وفي حال فقدان تلك المناعة، فإن ذلك العنصر أو الجُسيم يفسد، ويخرج من كينونته، ويتحول إلى عنصر آخر مغاير، أما في عالم الكائنات الحية، فبمجرد تحطيم جدار حصن الدفاع الذاتي، فإن ذاك الكائن الحي يصبح فريسة سهلة لكائنات أخرى، ويموت، هذا ويسري النظام عينه على النوع البشري والمجتمع البشري .
ويعمل الدفاع البيولوجي من طرف غرائز الحماية والدفاع الموجودة في كل كائن حي، أما في الدفاع الاجتماعي، فجميع أفراد الجماعة يدافعون عن أنفسهم بشكل مشترك، بل ويطرأ التغيير باستمرار على تعداد المجموعة وشكل تنظيمها وفق ما توفره فرص الدفاع عن الذات، وعليه، فالدفاع وظيفة أصيلة في المجموعة، ومحال الاستمرار بالحياة من دونه.

وكما هو معلوم، فالوظيفتان الأصليتان الأخريان في عالم الأحياء، هما تأمين المأكل أو التوالد، والنتيجة الهامة الأخرى التي بإمكاننا استخلاصها من موضوع الدفاع الذاتي لعالَمِ الأحياء، هو أن الدفاع يهدف - فقط وفقط- إلى حماية الوجود، وهو يخلو من نظام الاستعمار وبسط النفوذ على أبناء الجنس الواحد أو الأنواع الأخرى من الكائنات، ولأول مرة طورت أنظمة الاستعمار والحاكمية عند الجنس البشري.
وما يلعب دوره في ذلك هو النماء الذهني لدى النوع البشري، والاستحواذ على فائض الإنتاج ارتباطاً بذلك، مما يفضي إلى توفير فرص الاستغلال، وهذا مايؤدي إلى ضرورة حماية قيم الكدح إلى جانب اللوذ عن الوجود، أي إنه يؤول إلى إشعال فتيل الحروب الاجتماعية.
وحدات حماية المرأة هي قوة عسكرية أساسية وطنية ، تتمحور حول المجتمع الديمقراطي الإيكولوجي وحرية المرأة، وخط الدفاع المشروع ضد كل الهجمات التي يتعرض لها مجتمعنا وشعبنا والمرأة من أجل بناء سوريا ديمقراطية وكردستان حرة، وتناضل ضد نظام التجييش التسلطي الذكوري ونظامه الجنسوي الدينوي والعلموي والنظام البطرياركي الدولتي المرسخ لذاته منذ خمسة آلاف عام، ومغتصب القيم الاجتماعية، فهي القوة المشروعة للمرأة والتي تحمل على عاتقها ضمانة نضال تحرر المرأة.

## المرأة الكردية في قوات الأمن الداخلي(أسايش المرأة)

تشكّل المرأة جزءاً أساسيًا من قوى الأمن الداخلي الذي تأسس عام ٢٠١٣م، بنسبة ٤٠٪، لدرء الانفلات الأمني ومنع تفشي الجرائم في المنطقة، ولقوات الأسايش مؤسسات عدة تابعة لها، (وحدات المهام الخاصةH.A.T)، مديرة الحواجز والطرقات، شعبة مكافحة الجريمة المنظمة، جهاز الأمن العام، مديرية المرور، بالإضافة إلى الأكاديميات التأهيلية والتدريبية.
يكون لقوات آسايش المرأة مراكز مستقلة سواءً في السجون المركزية أو النظارة، ويكون

حراسها حصراً من النساء. وبهذا المشاركة الحيوية للمرأة- فقط- يمكن حماية الجانب الأخلاقي والمعنوي للمجتمع.
ساهمت قوات أسايش المرأة في الحملات ضد تنظيم داعش, حيث كانت المسؤولة عن عمليات التمشيط في المدن والبلدات بعد تحريرها. وكذلك إقامة الحواجز والنقاط لتأمين الوحدات القتالية من الخلف. والدفاع عن المدن من أية هجمات. ومنذ تأسيسها قدمت مئات الشهداء.

## المرأة الكردية في الشتات ومساندتها لثورة روج آڤا

ظهرت مشكلة النازحين واللاجئين الكرد على مدار القرن العشرين في الشرق الأوسط واستمرت في التواجد حتى يومنا هذا. ولقد كانت عمليات تشريد الكرد موجودة بالفعل أثناء عهد الدولة العثمانية. بسبب قمع حالات تمرد السكان المحليين. على مدار فترة سيطرة الأتراك على منطقة الهلال الخصيب الشمالية والمناطق المجاورة من زاغروس وطوروس.
وتحول وضع الكرد في تركيا إلى وضع كارثي على مدار فترة عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين. نتجت عنها عمليات التهجير وتشريد الكرد. وأسفرت عنها مذابح هائلة وطرد مئات الآلاف من قراهم. ومنذ سبعينيات القرن العشرين خلّف العنف المتجدد تجاه الكرد ما يقارب عن ٣٠٠,٠٠٠ نازحٍ. لا يزال منهم في حالة تشرد.
في كردستان العراق. سعى الكرد للحصول على الحكم الذاتي والاستقلال الذي بدأت بوادره تلوح في الأفق بفضل الصراعات المسلحة منذ ثورة محمد البرزنجي ١٩١٩م. ومع ذلك. أصبحت عمليات التشريد أكثر انتشارًا أثناء الصراع العراقي الكردي. وبدأ ظهور برامج التعريب النشطة الموازية التي يتولاها النظام البعثي. والذي هدف إلى تطهير شمال العراق من الأغلبية الكردية. أصبح عشرات الآلاف من الكرد مشردين. وفرّوا إلى المناطق التي كانت

> **"ثار زرادشت على المجتمع وأعلن بصراحة وشجاعة فائقتين أن ليس في العالم إلا إله واحد وهو( أهرومزدا) إله النور والسماء، وأن غيره من الآلهة ليست إلا مظهراً له وصفة من صفاته، وأن للإنسان إرادة حرة، لأنّ (أهرومزدا)، كان يريدهم شخصيات تتمتع بكامل حقوقها، وفي مقدورهم أن يختاروا طريق النور أو طريق الظلام."**

تشهد حروبًا بعد انتهاء حرب كردستان العراق الأولى وحرب كردستان العراق الثانية في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين.
كما خلفت الحرب بين إيران والعراق التي استمرت من عام ١٩٨٠ إلى عام ١٩٨٨م. وحرب الخليج الأولى وحركات الثورة اللاحقة ملايين عدة من اللاجئين الكرد بالدرجة الأولى. حيث وجد معظمهم في إيران ملجأ لهم. في حين تفرق آخرون في شتات أوروبا والأمريكيتين.
ازدادت أعداد الجالية الكردية في أوروبا خلال الثورة السورية. وذلك نتيجة تدهور الأوضاع الاقتصادية وانعدام حالة الأمن و الاستقرار. وعدم الاعتراف به كقومية كردية تعيش على أرضها التاريخية منذ آلاف السنين.
ورغم أنّ النساء الكردستانيات قد هُجّرن من وطنهن. إلا أنهن ما زلن مرتبطات بقضية شعبهن.
فالمرأة الكردستانية في أوروبا هي جزء لا يتجزأ من الشعب الكرديّ داخل كردستان. ويتأثر بما يحدث في أي جزء كردستاني. ويقتصر عملها

**لقد أثّر الإسلام على حياة المرأة الكردية تأثيرًا بالغاً، وغيّر نمط حياتها كاملة ابتداءً من عاداتها وتقاليدها وزواجها، فأصبحت تتفاعل مع الشعائر الدينية الإسلامية بصورة عميقة. وكانت لوقفة الأميرات الأيوبيّات دورٌ كبيرٌ في صنع الحضارة الإسلامية في عهد الأيوبيين، ودورٌ بارزٌ على نشر العلم والخير والإصلاح في تحقيق الازدهار المجتمعي**

على نقل الواقع الكردي الحقيقي ومآسيهم من جميع النواحي إلى الحكومات الأوروبية وبرلماناتها وشعبها. وتعريف الشعب الأوروبي والمهاجرين الأجانب إليها بعدالة القضية الكردية، وحق الكرد في أن يكون لهم برلمانهم وحكومتهم ودولتهم أسوة بالقومية العربية، والتركية، الفارسية، وتشكيل لوبي كردي للضغط على مراكز القرار في الدول الأوروبية لدعم ومساندة الشعب الكردي وحماية وجودهم القومي ولغتهم وثقافتهم وتراثهم وتاريخهم. وتقديم الدعم المادي والمعنوي للكرد في داخل كردستان.

فمع غزو داعش لسري كانيه وتل أبيض وريف الجزيرة، وخاصة كوباني – وسيطرة داعش على ما يقارب ٣٨٦ قرية كردية تابعة لـ كوباني وعلى أكثر من ٧٥٪ من منطقة كوباني- خرجت المرأة الكردية في مظاهرات واحتجاجات في العديد من العواصم والمدن الأوروبية. كما تم جمع التبرعات والمساعدات الإغاثية لإرسالها إلى اللاجئين الكرد في كل من تركيا وإقليم كردستان العراق وللنازحين الكرد في كردستان سوريا.

إن حالة التشتت والاغتراب القومي التي كانت تعاني منها المرأة الكردية والشعب الكردي، باتت حالة شبه زائلة مع ازدياد الوعي القومي والسياسي، بل والتنظيمي أيضاً وذلك بفضل الحراك الوطني الساري لا سيما خلال العقود الأخيرة، ونسف الحدود المصطنعة تلك عملياً، وإزالتها من العقول والقلوب.

ورغم كل هذه الظروف التي مرت بها المرأة الكردستانية، إلا أنني متفائلة بشكل عام، فمهما يكن فإن تصعيد نضال حرية المرأة في كل جزء من أجزاء كردستان عمومًا وفي شمال سوريا- روج آفا- خصوصًا سيزيد من أملها وعزيمتها، ويصبح لديها قناعة بأن هذا القرن هو قرن ثورة المرأة، وبأن النساء أصبحن قادرات أكثر من أي وقت مضى على تجاوز العقبات التي تعترضهن ، وسيتمكنّ من إحراز تطور جدير بتاريخهنّ وهويتهنّ في الخروج من أزمة الشرق الأوسط الراهنة.

---

## المراجع


- بيتر ليرخ/ دراسات حول الأكراد وأسلافهم الخالديين الشماليين.
صلوات كولياموف /آريا القديمة وكوردستان الآبدية (الكرد من أقدم الشعوب).
محمد أمين زكي/ خلاصة تاريخ الكرد وكردستان.
عبد الله أوجلان/ مانيفستو الحضارة الديمقراطية (القضية الكردية وحل الأمة الديموقراطية).
محمود بايزيدي/ رسالة في عادات الأكراد وتقاليدهم.
الدكتور طاهر المعروف الرباتي/ المرأة الكردية ودورها في المجتمع الكردي.
الموقع الرسمي لوحدات حماية المرأة- ypj https://ypjrojava.com
ميثاق العقد الاجتماعي https://pydrojava.net ›
أرشيف مؤتمر ستار
قوات أسايش روجافا/ http://www.asayish.org
لاجئون أكراد/ https://ar.m.wikipedia.org

# جغرافية جبال جنوب كردستان

## (لمحة عامة ) مع ملحق خاص

دلدار ميتاني

تقع جبال إقليم جنوب كردستان في القسمين؛ الشمالي والشمالي الشرقي منه، وترتفع الأرض عن سطح البحر كلما تقدمت من الجنوب الى الشمال ومن الغرب إلى الشرق، وتصل الجبال من ناحية الشمال بجبال شرناخ وهكاري، ومن ناحية الشرق بجبال زاگروس.

يمكن أن تقسم جبال إقليم جنوب كردستان من حيث الوصف الطوبوغرافي العام إلى ثلاثة مناطق؛ المنطقة الشمالية، والمنطقة الوسطى، والمنطقة الجنوبية. {1}.

## أ.المنطقة الشمالية {٢}

تسير بصورة عامة بمحاذاة جبال هكاري وشرناخ وبموازاة جبال زاگروس من الشرق وتشكل هذه المنطقة شبه قوس يسير مع الحدود الشمالية، والشمالية الشرقية من جنوب كردستان سالكاً ملتوياتها و تعرجاتها، و تخترق هذه السلسلة من الجبال الشاهقة عدة أودية تجري في وسط مضايق عميقة تنحدر من أعالي الجبال فتنصب في الأودية الرئيسة لأنهار الخابور والزاب الكبير والزاب الصغير وسيروان داخل حدود جنوب كردستان مؤلفة سلسلة من الأودية العميقة من الداخل، تمتد على طول سفوح سلسلة الجبال المذكورة .

وأولى سلسلة الجبال ابتداءً من الجهة الغربية هي سلسلة (جبال كيره) التي يبلغ ارتفاع قمتها (١١٨٥م) قدماً، فتسير شرقاً ثم تتصل بسلسلة (جبال ديرى) التي يبلغ

ارتفاع قمتها (١٢٣١م)، وتشرف هاتان السلسلتان على وادي السندي، أو وادي الخابور، وبعد أن تتركان ناحية شرناش (منطقة زاخو) على إحدى قممها تصلان سلسلة جبال رشوانى الواقعة إلى الشمال الشرقي منهما، والتي يبلغ ارتفاع أعلى قممها (٢٠٤٣م) وتمتد هذه الأخيرة الى الشمال من منطقة باطوفة (منطقة زاخو) حتى تصل بنهر الخابور الذي يخترق الحدود عند دعامة الحدود المرقّمة (٢٣) شاقاً، طريقه وسط الجبال نحو الجنوب . وتؤلف الزاوية الواقعة بين نهر الخابور ونهر الهيزل من جهة وبين الحدود شمال وجنوب كردستان، ومن جهة أخرى هناك منطقة وعرة ذات قمم شامخة يتراوح ارتفاعها بين (١٢١٩و ٢١٣٣م) وهي تغذي نهر الهيزل بالمياه من جهة الغرب، وتغذّي وادي الخابور بالمياه من جهة الشرق والجنوب، وتتصل هذه المجموعة من الجبال العالية بسلسلة جبال إقليم بوتان في شرناخ، ويشقّ نهر الخابور بنزوله من إقليم بوتان جنوب السلسلة الجبلية الممتدة إلى الشرق فيشكل مضيقاً عميقاً يجري في وسطه، ثم تستمر السلسلة الجبلية في امتدادها شرق الخابور حتى تصل إلى عمود نهر الزاب الكبير، الذي يخترق الحدود الجنوبية عند الدعامة المرقمة (٤٦)، وتعرف هذه المنطقة الواقعة بين الخابور والزاب الكبير باسم (برواري بالا )؛ وتشكل سلسلتين متوازيتين من الجبال يتوسّطهما واد أشبه بحوض منه بواد تتجمع فيه المياه المنحدرة من طرفيهما، فتنقسم إلى قسمين؛ القسم الغربي ينصب في الخابور عن طريق الرافد (سيراروه)، والقسم الشرقي ينصب في نهر الزاب الكبير عن طريق الرافد (بخلافى) الذي يخترق الحدود الى جنوب كردستان عند الدعامة المرقمة (٣٩ ) وهو الرافد الذي تقع عنده ناحية كاني ماسي التابعة لمنطقة آميدية

. وتصل السلسلة الشمالية بجبال شرناخ وأهم قممها قمة جبل زوزان هرور البالغ أرتفاعها (٢٤١٠م).

أما السلسلة الجنوبية فتمتد بين الخابور والزاب الكبير، ويعرف القسم الغربي منها باسم جبل متين، وترتفع قمتها (٢٠٩٣ م)، ويقع على سفحه الجنوبي مصيف بامرني وأرادن، وأمّا القسم الشرقي فيسمّى (سرى آميدية)، ويبلغ ارتفاع قمته: (٢٣٣١ م)، وعلى سفح هذا القسم تقع بلدة آميدية مركز منطقة آميدية.

وتتصل سلسلة آميدية بجبل سري بيزنى ، الذي ينتهي إلى نهر الزاب الكبير ويبلغ ارتفاع قمة الجبل الأخير (١٩٠١م) . وتنحدر السيول من سفوح السلسلة الجنوبية من جهة الجنوب فتشكل وادياً فسيحاً تنقسم عدة مجاري تلك السيول فيتجه بعضها غرباً نحو الخابور عن طريق الرافد (آوى ساركه)، ويتّجه البعض الآخر شرقا نحو الزاب الكبير عن طريق رافد گاره، وفي داخل هذا الوادي المسمّى؛ وادى سبنه، يمتد طريق دهوك - آميدية فترك أرادن، و بامرني

على الطرف الشمالي من الوادي، ومصيف سرسنك على الطرف الجنوبي، وتشرف آميدية على الوادي من الشمال كما تشرف قمة (سوار توكا) عليه من الجنوب، وتستمر سلسلة الجبال المجاورة على طول الحدود مع شمال كردستان في امتدادها نحو الشرق فتخترقها عدة روافد تنحدر من جبال هكاري وشرناخ فتشق طريقها وسط الجبال الوعرة ثم تصب في وادي الزاب الكبير . والرافد الرئيسي الأول من الشرق هو (نهر شمزينان ) الذي يخترق الحدود إلى جنوب كردستان عند دعامة الحدود المرقمة (٨٠) ولهذا الرافد عدة فروع تنحدر كلها من جبال هكاري، وتصل به قبل أن ينصب في وادي الزاب الكبير، وأوّل هذه الفروع (رافد ماركى) ويخترق الحدود الى جنوب كردستان عند دعامتي الحدود المرقمتين (١٠ و ١١ ).

الفرع الثاني: رافد أرتوش ، ويخترق الحدود عند دعامة الحدود رقم (٦٥ )، ويخترق الرافد الثالث الحدود عند دعامتي (٧٠-٧١)، وتسمّى المنطقة الواقعة بين الزاب الكبير ونهر شمزينان (نيروه ريكان ). ومن الجبال البارزة في هذه المنطقة جبل كوهى زير وارتفاع قمته (٢٢٨٢ م) وجبل سوكى، وارتفاعه (١٩٣٩ م)، وجبل لينكى وارتفاعه (٢٢٨٥ م ) وجبل بيمشكوت، وارتفاعه (٢٣٨٥ م)، وجبل سرميدان وارتفاعه (٢٤٠٧م)، ويلي رافد شمزينان من الشرق رافد رئيسي آخر يسمّى نهر حاجي بك، وتقع منابعه عند مرتفعات خواكورك عند الدعامتين المرقمتين (٩٨-٩٩)، ويسير مع الحدود بين شمال وجنوب كردستان في الاتجاه الغربي الجنوبي مسافة حوالي (٣٠ كم ) ثم يترك الحدود عند الدعامة المرقمة (٩١ )، ويتجه نحو وادي الزاب الكبير فينصب فيه بالقرب من قرية ريزان في منطقة بارزان، ويعرف في قسمه الأخير باسم روكوجك. وتقع في هذه المنطقة المحصورة بين هذا الرافد ورافد شمزينان ناحية شيروان مزن، التابعة لمنطقة ميركه سور وأهم الجبال الواقعة في هذه المنطقة سلسلة جبال شيرين البالغ ارتفاع قمتها (٢٢٥٥ م)، أما القسم المحاذى لحدود هكاري فيبلغ ارتفاعه أكثر من (٢٤٠٠ م) . وبانتهاء منطقة الحدود بين جنوب وشمال كردستان، تبدأ جبال المنطقة المحاذية لشرق كردستان، وهذه تمتد بصورة عامة من الشمال إلى الجنوب، رغم تعرجاتها والتواءاتها المتناوبة بين الشرق والغرب.

و نتحول الآن الى روافد الزاب الكبير الأخرى فتنبع من مرتفعات زاگروس مستمدة مياهها من أعالي جبال زاگروس الشاهقة، وأبرزها سلسلة جبال قنديل التي تمتد قممها مع الحدود بين جنوب وشرق كردستان. وأهم هذه الروافد وأكبرها الرافد المسمى نهر راوندوز ، وهو يستمد مياهه من أعالي سلسلة جبال قنديل، ومن القمم المجاورة لها ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن القمم جبال جنوب كردستان المحصورة بين (نهر راوندوز) و(نهر حاجي بك) هي الأعلى القمم الواقعة مثل قمة (حساروست) وقمة جبل هلكورد ، الواقع شمال طريق راوندوز وارتفاعه (٣٦٠٧م )، وتليها في الارتفاع قمة سر كراوة، الواقعة شمال غربي قمة حساروست، وارتفاعها ( ٣٤٠٠ م)، ومن الجبال المهمة في هذه المنطقة (سلسلة جبال برادوست) البالغ ارتفاع قمته (٢٠٨٦ م) وجبل پيران وارتفاع قمته (١٩٠٥م )، وجبل شاكيف وارتفاع قمته (٣٣٠٣ م ).

وهناك سلسلة جبال قنديل التي تمتد على طول الحدود بين جنوب وشرق كردستان وتتراوح قممها في هذه المنطقة بين( ٢١٣٣ م و ٣٥٩٦م )وأعلى هذه القمم قمة حاج إبراهيم ، الواقعة جنوب قرية رايات بقليل وارتفاعها (٣٥٨٧م )، ويلي هذه القمة في الارتفاع قمة سياكو، الواقعة شمال قرية رايات، وارتفاعها (٣٥٧٦ م)، ثم تليها قمة قنديل، الواقعة جنوب قمة (حاج ابراهيم)، وارتفاعها (٣٤٥١ م)، ثم قمة گلالة؛ الواقعة جنوب قمة قنديل، وارتفاعها (٣٠٩٤ م)، ويقع هنا مصيف حاج عمران

البالغ ارتفاعه (١٧٨٠م). ويعدّ نهر رواندوز الحدّ الفاصل بين المنطقة الجبلية المحاذية لشرق كردستان ومنطقة الجبال الداخلية. فيستمر في امتداده بموازاة الحدود مع شرق كردستان عن طريق الرافد المسمّى (دلمان)، ثم يبدأ وادي الزاب الصغير عند دشت بتوين (سهل رانية) فيصبح الحد الفاصل بين المنطقتين. فيسير جنوباً تاركاً منطقة قلادزة إلى الشرق منه حتى اذا ما وصل إلى جنوب دوكان بقليل تحول الحد الفاصل إلى (وادى چقلاوة) الذي يتجه نحو مدينة السليمانية. فيترك هذا الوادي سلسلة جمال سورداش، وپيره مگرون وياخيان وأزمر و گويزه ومدينة السليمانية إلى الشرق منه. ومن ثم يتصل رافد تاجرو وسهل شهرزور ثم بنهر سيروان تاركاً حلبجة الى الشرق منه. ويستمر في سيره مع نهر سيروان إلى الجنوب حتى يصل إلى بحيرة دربنديخان.

ويتضح مما تقدم أنّ الخط الذي يبتدئ بوادي الخابور، ويمتد إلى وادي الزاب الكبير ثم إلى وادي الزاب الصغير، ومنه إلى وادي شيروان، يؤلف شبه حوض متسلسل يمتد بصورة موازية تقريباً لحدود جنوب كردستان مع شمال كردستان ومع شرق كردستان، ويفصل هذا الحوض جبال إقليم جنوب كردستان العالية عن مجموعات الجبال الداخلية بحيث يصحّ أن تعتبر الأولى جزءا متمّماً لسلسلة جبال شرناخ وهكاري، وسلسلة جبال زاگروس من الشرق. ويستخلص مما تقدم أيضاً أنّ وادي الخابور يستمدّ مياهه كلها من جبال إقليم بوتان المتصلة بجبال جنوب كردستان من الناحية الشمالية، بينما يستمد وادي الزاب الكبير قسماً من مياهه من جبال هكاري و شرناخ، وقسماً آخر من جبال زاگروس المتصلة بجبال جنوب كردستان من ناحية الشمال والشرق.

**أما واديا الزاب الصغير وسيروان فيستمدان مياههما من جبال زاگروس وشرق كردستان و جبال جنوب كردستان المتصلة بها.**

## ب ـ المنطقة الوسطى {٣}.

هذا فيما يختص بالمنطقة الجبلية الشمالية والشمالية الشرقية المتصلة بجبال هكاري وشرناخ و زاگروس أما فيما يختص بالمنطقة الوسطى، ونعني بها المنطقة الجبلية الداخلية، فتبدأ جبالها من ملتقى الخابور بدجلة، وتمتد شرقاً بمحاذاة وادي الخابور جنوباً وذلك مقابل سلسلة (جبال كيره)، وجبال ديرى الواقعة في المنطقة الشمالية على الطرف الشمالي من الوادي المتّجه من جنوب زاخو نحو دهوك، تاركة وادي الخابور وسهل السندي في الوسط السلسلة الشمالية وما بينها.

وتسع في قمم هاتين السلسلتين المتقابلتين مجموعتان من المجاري تنحدر أولها من سفوح

السلسلة الشمالية، متّجهة نحو وادي الخابور جنوباً وتنزل الثانية من سفوح السلسلة الجنوبية فتتجه شمالاً نحو وادي الخابور أيضاً. ووادي الخابور هذا هو مبدأ الخط الفاصل بين جبال المنطقة الشمالية، وجبال المنطقة الوسطى، وتعرف السلسلة الجنوبية التي تبدأ من ملتقى الخابور بدجلة باسم جبل بيخير أو جبل زاخو، ويتراوح ارتفاع قممها بين (٩١٤م و١٣١٠م)، وتخترق هذه السلسلة فتحة ضيقة يسير فيها طريق دهوك - زاخو ثم يخترقها طريق دهوك - أميدية بين قمة جبل كمكه

البالغ ارتفاعها (١٢٢٤ م ) من جهة الغرب، وبين قمتي جبل پيرس و حم بكر البالغ ارتفاعهما (١١٢٤م و ١٣٣٠م) على التوالي من جهة الشرق، كما يخترقها وادي أتروش (نهر كومل) وطريق عين سفني - أتروش ، ثم تترك هذه السلسلة وادي الخابور، فتمتد شرقاً تاركاً دهوك وأتروش الى الجنوب منها وسوار توكا وسرسنك إلى الشمال منها، فتسير مقابل جبال متين وآميدية وشيرين وبموازاتها تقريباً تاركة في الوسط وادي سنه، وفيه مجرى مائي يسمى (آوى سركه ) الذي يصب في نهر الخابور، ووادي نهر گارة الذي ينصب في نهر الزاب الكبير، ووادي نهر الزاب الكبير نفسه بعد أن تصل نهر گاره به. وتتكون هذه من مجموعة الجبال الشاهقة تمتدّ إلى الشمال سلسلة جبل بيخير فتسير في الاتّجاه الشرقي أيضاً متجهة نحو منطقة آگرى، وأهم جبال هذه المجموعة كيره ربتكى، وجبل خيرى، وباكرمان، وآكرى، ويبلغ ارتفاع قمة الاول (١٥٩٢م )، وارتفاع قمة الثاني ( ١٦٧٦م)، وارتفاع قمة الثالث (١٠٢٤م)، وارتفاع قمة الرابع (١٥٤٨م).

تقع مدينة آكرى في الطرف الجنوبي من هذه السلسلة على سفح جبل آكرى، ويخترق هذه السلسلة وادي نهر الخازر، في نقطة تقع بين جبل خيرى، وجبل باكرمان، وتمتد إلى الشمال من هذه المجموعة سلسلة أخرى تسير في نفس الاتّجاه الشرقيّ، وبصورة موازية لها، وهذه تحاذي وادي سنه، وهو الوادي الفاصل بين المنطقة الجبليّة الشمالية، والمنطقة الوسطى، وهي جبل كارة وپيرس و برات، ويمتد كارة بمحاذاة وادي كارة مقابل سلسلة جبل آميدية، وارتفاع قمته (٢٢٢٥ م) كما يمتد پيرس بمحاذاة وادي الزاب الكبير مقابل جبل شيرين، وارتفاع قمته (١٩٥٠ م) أما برات فيبلغ ارتفاع قمته (١٦٥٢ م) وهو يسير بمحاذاة وادي الزاب الكبير، أيضاً مقابل سلسلة برادوست الواقع على الطرف الشمالي من الوادي، وينتهي إلى نهر الزاب الكبير عند مضيق بخمه، فيؤلف هنا جرفاً عمودياً في الجانب الغربي من نهر الزاب الكبير، يقابله في الجانب الشرقي سلسلة أخرى من الجبال العالية، تمتدّ بموازاة نهر رواندوز جنوباً، حتى تنتهي إلى وادي الزاب الصغير.

وتعرف السلسلة التي تبدأ من الجانب الشرقي لمضيق بيخمة باسم حرير وجل شاور، وتمتد هذه السلسلة في الاتّجاه الشرقي مع انحراف قليل إلى الجنوب، حتى تنتهي إلى وادي الزاب الصغير.

وتمتد بموازاة هذه السلسلة من الجنوب سلسلة أخرى من الجبال العالية بين الزاب الكبير والزاب الصغير، منها جبل بيرمام، وعلى قمته مصيف صلاح الدين، وارتفاعه (١٠٩٠م) وجبل سفين، الذي تقع في السفح الشمالي منه بساتين شقلاوة، وقرية نازنين الجميلة، ثم يتصل جبل سفين بسلسلة أوه گرد، فتسير هذه السلسلة في الاتّجاه الشرقي أيضاً مع انحراف قليل إلى الجنوب حتى تصل بجبل هيبت سلطان البالغ ارتفاع قمته (١٢٠٦م)، وهو الجبل الذي تقع عنده مدينة كويسنجق على سفحه الجنوبي، ويمتد جبل هيبت سلطان في نفس الاتّجاه المذكور، حتّى إذا ما اجتاز كويسنجق اتّصل بجبل كوسرت الذي تنتهي عند الساحل الغربي من نهر الزاب الصغير جنوب مرزا رستم عند بحيرة دوكان.

وتمتد من الساحل الشرقي لبحيرة دوكان سلسلة أخرى تتجه نحو الجنوب الشرقي أيضاً فتسير بموازاة سلسلة جبال سورداش، وپيره مگرون وياخيان جنوباً تاركة وادي چقلاوة في الوسط فيقطعها طريق جمجمال - السليمانية عند مضيقي بازيان وطاسلوجة. وتستمر هذه السلسلة بامتدادها نحو الجنوب الشرقي بموازاة جبل أزمر جنوب مدينة السليمانية ثم تسير بموازاة وادي چم چقلاوة بين رافد داقوق وسيروان، وتعرف هنا باسم سگرمه البالغ ارتفاعه (١٧٢٧م) وقره داغ البالغ ارتفاعه (١٨٧٣ م) فترك مدينة قره داغ إلى

الشمال منها، وبعد أن تتّصل بجبل زردة البالغ ارتفاعه (١٧٩٣ م) قدما تمتد بموازاة جبل برانان جنوباً، حتى تنتهي إلى بحيرة دربنديخان .{٥}.

## ت. المنطقة الجنوبية {٦}

أمّا المنطقة الجنوبية فهي المنطقة شبه الجبلية المتموجة التي تحاذي المنطقة الوسطى من الجنوب، فتتخلّلها عدة جبال وتلال منفردة ومتباعدة عن بعضها، ويمكن القول بصورة عامة: إنّ حدود هذه المنطقة تنتهي في الخط الذي يبدأ الحدود في نقطة تقع مقابل جبل شنگال، ويمتد شرقاً بمحاذاة سلسلة جبل شنگال، وتلعفر، وجبل إبراهيم، مشكّلاً شبه قوس، ثم ينحرف الخط الى الجنوب، فيتّصل بجبل مكحول، ومن ثم يقطع نهر دجلة عند مضيقة الفتحة، ويسير مع حدود سلسلة جبل حمرين، فيقطع النهر العظيم عند السد القديم المعروف باسم بند العظيم، وبعد أن يقطع نهر سيروان يتصل بالجبال الممتدة على الحدود بين شرق وجنوب كردستان. وأهمّ ما في هذه المنطقة الجنوبية من الجبال المنفردة جبل شنكال البالغ ارتفاعه (١٤٦٠م )، وجبل إبراهيم البالغ ارتفاعه (٥٣٤ م)، وجبل مكحول البالغ ارتفاعه (٤٨٧ م)، وهذه تقع غرب دجلة بين الحدود السورية و نهر دجلة.

أمّا المنطقة الواقعة شرقاً بين نهرَي دجلة والزاب الكبير، ففيها من الجبال مثل جبل بعشيقة البالغ ارتفاعه (٦٦٣ م)، وجبل مقلوب وارتفاعه (١٠٦١م)، وجبل عين الصفرة، وارتفاعه (٦٧٧ م)، وجبل برده رش وارتفاعه (٥٠٠ م)، ومن الجبال الواقعة بين نهر الزاب الكبير ونهر الزاب الصغير جبل قره جوغ وارتفاعه (٨٧٥ م)، وجبل كفرى، وارتفاعه (٣٦٠ م).

### الملحق الخاص .{٧}

**أسماء بعض المصايف والمواقع السياحية في محافظة دهوك.**

**أ-منطقة زاخو :** ١- شرانش

هي إحدى المصايف التابعة لناحية السندي في شمال شرق قضاء زاخو، تتميز بمناظرها الطبيعية الخلابة، ولا تتجاوز درجة حرارتها في الصيف (٣٢) درجة مئوية ، يشتهر المصيف بشلاله الرائع، والمتدفق مياهه من أعالي جبال خامتير و كيره، يبلغ ارتفاع الشلال أكثر من ٢٥ م، وتكسو جباله غابات طبيعية كثيفة، وعيون مائية عديدة، يبعد المصيف حوالي (٤٠) كلم عن مدينة زاخو، يوجد بالقرب منه كهف صخري كبير يدعى كهف بهيري، حيث يقع عند الأجزاء السفلية من جبل شرانش الواقع في الجهة الجنوبية الغربية من مصيف شرانش، يستغرق الوصول إليه من المصيف بنحو نصف ساعة مشياً على الأقدام.

٢- كشاني

تقع هذه المنطقة الجميلة في شرق مدينة زاخو، على بعد (٣٧كم)، في وادي محاط بغابات كثيفة من الأشجار دائمة الخضرة، وتمر بها نهر عذب حيث تتميز المنطقة بالهواء البارد، والنقي وتعتبر من أهم المعالم السياحية التي يقتصدها الزوار في مدينة زاخو.

٣-جسر دلال

جسر "دلال" من أبرز المعالم الأثرية والتاريخية في مدينة زاخو، وقد شهد الجسر الذي يربط بين ضفتي نهر الخابور غرب المدينة، عبر التاريخ، تمّ عبور جيوش وقوافل تجّارية وأفواج عديدة، وأصبح صلة وصل بين الأحبة والفرقاء، وبقي شاهداً على الكثير من الأحداث التي جرت في مدينة زاخو. ويبلغ طول الجسر الإجمالي ١١٤ متراً، وعرضه ٧٠,٤ متراً، وهو مشيد بالحجارة المنحوتة. يقع هذا الجسر في الجهة الشرقية من مدينة زاخو، ويتألف من قنطرة واسعة وعالية في الوسط، وأخرى أصغر منها على جانبيه وعددها خمس قناطر، شيدتْ جدرانه بقطع كبيرة من أحجار الكلس المنحوتة، ومرصوفة إلى بعضها بنسق جديد ومتداخل ببعضها... المعروف أنّ أكثر الآثار تركت نقوشاً أو تماثيل تدل

على تاريخ بنائها. إلّا أنّ جسر "دلال" لم يترك ما يحدّد ذلك. فهو لا يحمل أيّة تماثيل أو نقوش. ومن أجل ذلك تضاربت الروايات في أمر تشييده. فمنهم من يقول: إنّه رومانيّ. ومنهم من يقول: إنّه يوناني. وأمر بتشييده "سلوقس" أحد قواد الإسكندر المقدوني.

### ٤- شلين و شيلان

من احدى المناطق التي تتميز بالهواء البارد النقي. واعتدال درجات الحرارة. حتى في فصل الصيف. وتقع ضمن منطقة (كوليا). وتتميّز بالمناظر الجذابة. والرائعة متمثلة بالحدائق. والبساتين. وأشجار الجوز. والجنار والمياه العذبة.

### ٥- كهف بهيري

هو عبارة عن كهف صخري أثري سياحي كبير. له منفذ على شكل قنطرة صخرية. وهو دائريّ الشكل تقريباً. تكونت عبر أزمنة جيولوجية مختلفة. توجد في وسط الكهف عين طبيعيّ تتدفق منها مياه باردة وعذبة بشكل مستمر. وعلى مدار السنة تعدّ أحدى الأماكن السياحيّة الجميلة. ويقع عند الأجزاء السفلية من جبل شرانش الواقع في الجهة الجنوبية الغربية من مصيف شرانش.

### ٦- هابي بارك

يعتبر هذا المشروع من أهم المراكز السياحية في مديمة زاخو و يتضمن هذا المشروع عدداً من الألعاب المختلفة. وكذلك يوجد فيه سدّ مشيد عليه مجموعة من الألعاب المائية. وتتوفر فيه الزوارق. بالإضافة الى تواجد حدائق عديدة. وأماكن استراحة وترفيه وكافتريات. ويقع هذا المشروع بالقرب من جامعة زاخو.

**ب- منطقة آميدية :**

آميدية هي بلدة صغيرة. وعتيدة. شيدت بطريقة مشابهة للقلعة عند قمة جبل شاهق منذ عهد قديم. وبتصميم دائري. تبعد آميدية حوالى ٩٠ كم عن شمال شرق مدينة دهوك. هناك عدة أماكن أثرية في آميدية منها. بوابة آميدية القديمة. المنارة الكبيرة. القبّة. والبوابة الزرادشتية وغيرها. أمّا مدرسة قبهان. ومصيف سولاف فيقعان قرب آميدية.

### ١- آثار مدرسة قوبهان

تقع آثار هذه المدرسة الإسلامية القديمة في الجزء الشمالي الشرقي من قلعة آميدية. وشمال مصيف سولاف ضمن حديقة مكتظة

بلدة آكرى (عقرة) شيّدها الأمير الكردي زند سنة ٥٨٠ ق.م. على سفوح جبال تقع بين أربيل و مدينة دهوك وهي بلدة سياحية فيها العديد من المواقع الأثرية التي لاتزال بقاياها شاخصة و شاهدة عليها، منها: كلا كفن، كلا عقره، كلا شوش، المعبد الزردشتي، تمثال بوكا جوا، رزى ميرى و غيرها

بالأشجار.

كانت "قوبهان" مدرسة للعلوم الإسلامية إبان القرن السابع عشر الميلادي يخرج منها المئات من الأئمة والخطباء، ومنحتهم الإجازات الشرعية. أمّا اليوم فلم يبق منها إلا بعض الجدران شاهداً على ذلك الصرح التاريخي.

### ٢- مصيف سولاف (سيلاف)

يبعد هذا المصيف مسافة ٤ كم عن بلدة آميدية ضمن واد مليء بالأشجار، وتجري فيه مياه عذبة أطلق عليها اسم "سولاف". تنبع من سفح الجبل، وتنحدر باتجاه رياض العمادية مكونة ما يشبه الشلال. وقد تمّ بناء العديد من الفنادق، الموتيلات، الجرادخ لحسن الضيافة وخدمة لراحة الزوار والسياح.

**ت- منطقة آكرى** : آكرى هي بلدة تاريخية تعود الى سنة ٥٨٠ ق.م.

شيّدها أمير كوردي، يُدعى الأمير زند، على سفوح جبال عدة منها سبيلك، كه لا كه ڤن، وكرى توبا. تقع آكرى بين عاصمة الإقليم (أربيل) ومدينة دهوك، وعلى بعد ١٥٢ كم شرقاً. تحتوي البلدة على العديد من المواقع التاريخية، المعابد، الكهوف، والينابيع المعدنية. يتوجه الكثير من السيّاح سنويّاً نحو هذه البلدة ومحيطها. ومن المواقع الأثرية التي لاتزال بقاياها شاخصة و شاهدة عليها، نذكر كلا كفن، كلا عقره، كلا شوش، المعبد الزردشتي، تمثال بوكا جوا، رزى ميرى وغيرها.

### ١- قلعة آكرى

تقع القلعة في شمال البلدة على جبل شاهق و على ارتفاع ٤٥٠ م عن سطح الأرض. للقلعة اربعة أعمدة، كل عمود بطول ١١٠ متر، شيّدها الأمير زند سنة ٥٨٠ قبل الميلاد. تتكوّن القلعة من عدة أقسام: فالطابق العلوي مخصص لإقامة الأمير، الطابق الأوسط مخصص للأرزاق. أما المكان المخصص للاجتماعات فشيّد بشكل دائري، حيث تتوسطه صخرة مفلطحة في الجزء السفلي من القلعة. هذا فضلا عن بئر و غرفة بمدخل شبيه بشكل صقر يطلق عليه تسمية "سجن"، إضافة إلى غرف فسيحة بنيت وفق أشكال هندسية. تتزوّد القلعة بالمياه من ينابيع (رزي ميري) وعين باشا عن طريق قاعدة أرخميدس.

## ٢- شلال سيبه بجيل

يقع هذا الشلال وسط "بجيل»، على بعد ٥٠٠ م من طريق أربيل - عقرة الرئيسي، وشمال غرب قضاء عقرة، وعلى بعد ١٣ كم. نجد هذا المصيف وسط واد تحيط به بساتين متنوعة من الفاكهة، وتكسوه الأشجار المختلفة من الجهات الأربع. أمّا مصادر مياهه فتتشكل من ينابيع عدة تتدفق من الجبال المطلة عليه، وتنحدر لتشكّل في نقطة التلاقي شلال"سيبه بجيل». وفي الجهة الخلفية للشلال، وفي كنف البساتين تم بناء كهف صناعي، ومرافق سياحية.

## ٣- شلال سيبه - آكرى

يقع شلّال سيبه على بعد كيلومتر واحد من مركز بلدة أكرى، وبارتفاع ١٨ متر. منطقة الشلال جميلة وجذابة، ويضفي تدفق مياهه على الموقع مزيدا من الجمالية. لا تتجاوز درجة الحرارة في محيطه ، في فصل الصيف، ٣٢ درجة مئوية. تم بناء العديد من المرافق السياحية وأماكن الراحة، وهذا ما يدفع بأعداد غفيرة من الزوار لارتياده بهدف قضاء أوقات سعيدة، والتمتع بطبيعتها الخلابة.

## ٤- الينابيع المعدنية

هي إحدى المواقع السياحية التي يرتادها الآلاف من السياح للمعالجة من الأمراض الجلدية. نجد في قضاء عقرة بعض الينابيع مثل "كاني زَرك" الذي يقع شمال شرق بلدة عقرة، و "كاني مَيى» الكائن في جنوب غرب بلدة آكرى و»كانيا اشكفتا شيخ ماف". ولا بدّ من الاشارة إلى أنّ العديد من الأشخاص قد استفادوا من تلك الينابيع صحّيّاً، إذ أنّ كلّ ينبوع يفيد في علاج مرض معين.

## ٥- وادي زنته

يقع هذا الوادي عند حدود بلدة بجيل، وشمال قضاء آكرى بحوالى ١٢ كم، ضمن واد سحيق، ومحاط بجبال شاهقة، حيث يحدّه من الشرق جبل "سري سادا»، غرباً "جبل كويسكي» ويخترقه نهر "بري ". هذا فضلاً عن العديد من الينابيع الباردة، والعذبة على طول الوادي التي تصب مياهها في النهر.

## ٦- ضريح الشيخ عبد العزيز الكيلاني

يقع هذا المزار غرب بلدة آكرى، وعلى قمة واد محفوف بالأشجار، الأعناب والبساتين. يرتاد المزار عشرات الآلاف من الزوار من بلدان عدّة كالهند، باكستان، إيران، أفغانستان وتركيا، كون صاحب الضريح الشيخ عبد العزيز هو أحد أولاد الشيخ عبد القادر الكيلاني، قدّس سره قطب الطريقة القادرية. شارك الشيخ عبد العزيز في عام ١١٨٧ في تحرير القدس بقيادة صلاح الدين الأيوبي. أمّا زيارة الضريح، والتكية في عقرة فمستمرّتان على مدار السنة.

## ٧- كربيش

تقع قرية كربيش عند سفح جبل بيرس و تبعد مسافة ٢٤ كم عن بلدة عقرة و ٢ كم عن غرب ناحية دينارتي. يتميّز هذا الموقع بكونه

يقع مزار الشيخ عبدالعزيز الكيلاني غرب بلدة عقرة و على قمة واد

غنيّاً بمصادر المياه العذبة، الأشجار والخضرة اليانعة. تتدفق من أعلى القرية، وتحت أشجار الجوز ستة ينابيع للمياه العذبة، جعلت ظلال تلك المساحات مناسبة، ومهيّئة للاستجمام، والتمتع بالأجواء المنعشة والهواء النقي.

٨- سيلي

تقع قرية سيلي على سفح سلسلة جبال بيرس، حيث تبعد مسافة ٨ كم شرق قصبة دينارته و٣٨ كم من بلدة آگرى، ونلاحظ في وسط الجبل وجود فالق (شق)، يعدّ مصدراً أساسيّاً للمياه العذبة، ولعدد من الأشجار.

تنحدر تلك المياه مكوّنة شلالاً بارتفاع ٥٠ م، ينهمر وسط مجموعة من أشجار الصفصاف. يُذكر أنّ هناك مصدراً مائيّاً آخر ينبع من السفح نفسه، وينحدر ليلتقيا في نقطة معينة. فضلا عن جرادخ خُصّصت كأماكن خاصة للجلوس والراحة للتمتع بجمال الموقع.

## ث- منطقة سرسنك

بلدة سياحية تقع عند سفح جبل كاره على مسافة تبعد ٥٠ كم عن مدينة دهوك. وتقع هذه البلدة ضمن سلسلة مناطق سياحية نذكر منها: آشاوا، آنيشكي و سولاف. وتضمّ عدداً من الفنادق، الموتيلات، المطاعم، وسوقاً كبيرة، وتحيطه الجبال الشاهقة المكسوة بالأشجار. يذكر أنّ الملك فيصل كان قد شيّد فيها قصرٌ بهدف الاستجمام والراحة.

١- سوارتوكا

مصيف راقٍ وجميل يقع على بعد ٣٠ كم شمال مدينة دهوك و يرتفع ١٠٧٥ م عن مستوى سطح البحر. يتميّز هذا المصيف بالتفاف الأشجار من حوله، و انشاء العديد من المرافق السياحية من مطاعم و استراحات.

٢- مصيف آشاوا

يبعد هذا المصيف مسافة ٤ كم عن شرق مصيف سرسنك الذي يقع في القسم الشمالي من سفح جبل كاره. تكتسي هذه المنطقة العديد من الأشجار، و تنحدر منها مياه جارية تؤلف شلالاً صغيراً . تم بناء بعض الموتيلات، وعدداً كبيراً من الجرادخ أو السقيفات لأهداف سياحيّة، فضلاً عن سدّ يسهم بتراكم المياه بين مصيفي آشاوا و سرسنك. يعدّ هذا المصيف منطقة سياحية بامتياز تؤمن كافة متطلبات زوّاره.

٣ -جبل كاره

يبلغ ارتفاع قمة جبل كاره ٢١٥١ م عن مستوى سطح البحر، ويقع في شمال شرق مدينة دهوك. ظلت قمة جبل كاره موقعاً سياحياً طبيعياً ، حيث يُشرف شمالاً على مصايف سولاف ، آشاوه ، آنيشكي و بامرني.

يُذكر أنّ الطاغية صدام حسين كان قد شيّد له قصراً في هذه المنطقة طمعا بالراحة والتمتع بالطبيعة الخلابة. هذا فضلاً عن طريق يكسوه الإسفلت، ويربط بين سفح الجبل، وأطلال القصر.

## المصادر و المراجع.


{1} - هذه الدراسة جزء من مخطوطة (كردستان : دراسة جغرافية عامة) وهي ثمرة بحث ميداني توثيقي قمت به مابين أعوام 2008 و 2014 وهو قيد العمل حتى الآن.

{2} - مخطوطة (كردستان : دراسة جغرافية عامة) ص152.

{3} - نفس المصدر السابق ص168.

{4} - دكتور أحمد سوسه : أطلس العراق الحديث - مطبعة مديرية المساحة العامة - ص30 - الطبعة الاولى 1953 - بغداد .

{5}

{6} - مستل من الموقع الرسمي للهيئة العامة للسياحة كوردستان العراق.

{7} - للمزيد عن روافد نهر دجلة و الزاب الأعلى ينظر: الدكتور عبدالرحمن صالح مزوري : الوزن الجيوبولتيكي لمياه أنهار كوردستان - الطبعة الاولى 2012 - ص-139 مؤسسة سبيريز لطباعة والنشر- دهوك.

{8} -هاشم السعدي : جغرافية العراق الحديثة - الطبعة الاولى (1924م/1342ه ) طبع في مطبعة دار السلام - بغداد.

# بإيجاز مبسّط عن الشرق الأوسط

أحمد عاشور

سمّي الشرق الأوسط نظراً لموقعه الجغرافي من شرق الأرض، حيث أنّ منطقه الشرق الأوسط تربط بين ثلاث قارات؛ (آسيا وأفريقيا وأوروبا) وجميعها تطل على البحر الأبيض المتوسط وتربطهم حضارات.

ومعظم دول الشرق الأوسط من الوطن العربي، ويعد مقرّاً للكثير من الديانات؛ منها اليهودية، والمسيحية، والإسلامية، ويشكل العرب أكبر مجموعة عرقيّة في الشرق الأوسط، وبعدها الأتراك واليهود والأقباط، ويتميّز الشرق الأوسط بالجو المعتدل والحار، مع الكثير من الأنهار الكبيرة التي توفر المياه للريّ والزراعة، يعد الشرق الأوسط من أقوى الاقتصادات في العالم؛ وذلك بسبب موقعه الاستراتيجي، وأهمّيته للتجارة والسفر، ويحتوي على موارد طبيعيّة ضخمة في كل أنحائه.

يحتوي الشرق الأوسط على مجموعة كبيرة من الحضارات والإمبراطوريات التي نشأت وتشكلت به، حيث بدأت بالحضارات القديمة في بلاد ما بين النهرين والإمبراطورية الفرعونية في مصر التي شكّلتْ أولى وأقدم الحضارات في العالم، لكن بعد عدد من الغزوات والحروب ظهرت عدد من الإمبراطوريات القديمة الأوسع والأقوى، ومنها حضارة الفرس والإغريق، ومن بعدها ظهرت الحضارة الرومانية، ونشأت جميعها في قلب الشرق الأوسط، وبعد مرور عدة قرون ولد السيد المسيح - عليه السلام - في فلسطين، ونشأت الديانة المسيحية وانتشرت في الشرق الأوسط ومع ظهور الدين الإسلامي في شبه الجزيرة العربية في الشرق الأوسط، بدأت الفتوحات الإسلامية والتوسع ضمن الشرق الأوسط، وبدأت الإمبراطورية الإسلامية في الانتشار والتوسع، واستمرّت إلى عهد الإمبراطورية العثمانية، التي تعد آخر إمبراطورية حكمت الشرق الأوسط.

وبعد هزيمة العثمانيين من قبل المملكة البريطانية وحلفائها في الحرب العالمية الأولى، جاء الاستعمار الغربيّ، وبدأ التقسيم والانتداب البريطاني الفرنسيّ، وفي هذه الفترة تم إطلاق مصطلح الشرق الأوسط، وبعد الاستقلال التامّ الأوروبيّ، وتقسيم الشرق الأوسط إلى عدد من الدول، وظهر مصطلح دول العالم الثالث أو الشرق الأوسط الذي يشمل الآن مخزوناً نفطيّاً هائلاً يساعد في تحسين مستوى الحياة في بعض دول الشرق الأوسط، وهذا ما جعله مطمعاً للدول الاستعمارية.

إنّ السؤال الذي قد يتراود إلى الأذهان هو: ما هي دول الشرق الأوسط؟ دول الشرق الأوسط بعد عمليات الاستعمار الأوربي وتقسيم الشرق الأوسط: إذْ ظهرت دول وأقاليم بتعريفات جديدة منتشرة على قارات العالم القديمة، وهي ١٨ دولة متفرقة معظمها من العالم العربي حيث يطل الشرق الأوسط على القارة الأوربية ويضم تركيا وأحيانًا يتم ضم دول اليونان قبرص إلى دول الشرق الأوسط، وفي المقابل يضم الشرق الأوسط عدداً من الدول الآسيوية؛ وهي سوريا ولبنان والعراق وإيران، وقطّاع غزة والأردن والمملكة العربية السعوديّة والكويت واليمن وعمان والبحرين وقطر، ويمتد الشرق الأوسط إلى قارة أفريقيا ليضمّ مصر وليبيا والسودان، ومن شمال أفريقيا يضم تونس والجزائر والمغرب العربيّ والتعريف الثابت لمصطلح دول الشرق الأوسط هو دول الإمبراطورية العثمانيّة، والتي كانت تحكمها، وبعد انهيار الدولة العثمانية ظهر مصطلح الشرق الأدنى، أو الشرق الأوسط وفي رأيي فإنّ الموقع له أهمّيّة استراتيجية تربط العالم أجمع.

كان لحضارات الشرق الأوسط العديد من المعابر إلى أوروبا، ومنها الأندلس، وقد درس طلاب أوروبا في جامعات الأندلس الإسلاميّة، ونقلوا علومها إلى بلادهم، ودرّس الأساتذة المسلمون في الجامعات الأوروبيّة، وكانت هذه الجامعات ذات طراز إسلاميّ، مثل جامعة مونبيليه في فرنسا.

الحروب الصليبية: احتكّ الأوروبيون بالمسلمين في الحروب التي دارت بين العالم الإسلامي والعالم الأوروبي، وتعلّموا منهم التجارة ما بين العالمين؛ الإسلامي والأوربي، وكشفت أعمال التنقيبات عن وجود عملات إسلاميّة في أوروبا الشماليّة وفنلندا. من خلال انتشار الإسلام في بعض مناطق أوروبا الشرقية وغيرها من المناطق. والفتوحات الإسلاميّة وما تمّ نقله إلى البلدان المفتوحة، ومن خلال الرحّالة المسلمين الذين طافوا في العالم الأوروبي.

تأثر عدد كبير من علماء الغرب بالحضارة الإسلاميّة الراقية، حيث تعرّفوا على علماء المسلمين، واستفادوا منهم، وكان من أهم هؤلاء العلماء: أديلا ردأوف الذي زار بلاد المسلمين، واطلع على كثير من العلوم في البلاد الإسلامية، ونقل معلومات مهمّة عن الحضارة

الإسلاميّة، وتأثر علماء أوروبا بالإسلام، فاهتمّوا بالترجمة من الثقافة العربيّة الإسلاميّة إلى اللغات الأوروبيّة، وكان للمفاهيم الإسلاميّة الوقع والأثر الكبيرَين في نفوس الأوروبيين، وانتشرت في الممالك الأوروبيّة العديد من الكلمات العربيّة.

علاقه الشرق بالغرب: بالنسبة للحضارات، فقد كانت العلم الذى أضاء العالم، وتمّ البناء عليه في تطوير العالم، أما الصراع بين الغرب والشرق فقد تمثّل بالصراع بين الإسلام والمسيحية، فبعد أن انتشر الإسلام، ووصل إلى الصين آسيوياً، وفرنسا أوربياً، فكان لا بدّ من مواجهته. وكانت أولى المواجهات: هي بالحروب الصليبية التي جعلت من الصليب شعاراً للقضاء على الإسلام والمسلمين، ومعروف لنا كيف صدّ القائد "صلاح الدين الايوبي" للصليبيين.

لسنا في مقام التعريض بالمسيحيّة، لكنّ شعار هذه الحملة كان الصليب، أمّا المسيحيون فقد كانوا ولا زالوا يعيشون في المجتمع الإسلامي، ومعروف دورهم ومشاركتهم في بناء الحضارة الإسلامية، فأغلب المترجمين في العصر العباسي وأهم الأطباء كانوا من المسيحيين، وكانوا يحصلون على مكانة متميزة عند الخليفة العباسي يحسدهم عليها المسلمون أحياناً.

أيضا تمثّل الصراع في العصر الحديث في الاستعمار، وقد تكلّمنا آنفاً عن دور الاستعمار في تشكيل صورة الغربي في ذهن الشرقي والعربي، والذي تمثّل في الاستشراق بكل إيجابياته رديفا له، الاستشراق الذي كان من أهم أهدافه التخلص من الإسلام. مثل هذه الرؤية تبناها أغلب المستشرقين لا سيما "رينان" و"كارل هنريش بيكر (م ١٩٣٣) وسنوك هيرفونيه (م ١٩٣٦). فضلاً عن المدارس والحركات التبشيرية في كل من لبنان والعراق وسوريا وليبيا والمغرب وتونس والجزائر.

**ختاماً**، لا يفوتنا أن نذكر بالطروحات المعاصرة التي سادت في الفكر الغربي متمثلة بأطروحة نهاية التاريخ لفوكوياما وصدام الحضارات لهنتكتون، فضلا عن أطروحة توفلر حول حضارة الموجة الثالثة، والتي تصب كلها في خدمة فكرة "العولمة" التي لم تبق في إطار كونها فكرة، بقدر ما كان الغرب بات ساعياً، ولا زال إلى تطبيقها، والتي تذهب إلى تكريس المقولة السابقة المؤمنة بمركزية الغرب، وهامشية الشرق، أو التي تقسّم العالم إلى بلدان شمال وبلدان جنوب، سادة وعبيد، ضمن مفهوم "القرية الكونية" الذي يكرس مفهوم التبعيّة، ومحاولة خلق مجتمعات استهلاكية تدين باستهلاكها للمجتمع المنتج متمثلا بالمجتمع الغربي والأمريكي تحديدا، والذي يجعل مفهوم "الدولة الرخوة" قابلاً للتطبيق، بقصد إلغاء الهويّات الوطنية، وتذويبها ضمن دولة المركز، وذلك عبر نشر ثقافة وتقاليد وحضارة هذه الدولة التي تتمحور حول محاولة المرادفة بين "العولمة" و"الأمركة"، من خلال تقزيم أوربا، وتهميشها، متمثلة بفرنسا وبريطانيا وألمانيا، وبناء رؤية عن الإسلام لا تبتعد كثيراً عن الإسلام الذي صوّره المستشرقون سابقاً، وهو إسلام متطرّف يلغي الآخر بوصفه يشكّل خطراً على الثقافة المسيحية، لذلك لا بدّ من مواجهته؛ كونه يشكل آخر معاقل التهديد للثقافة الليبرالية الغربية لا سيما الأمريكية، بالخلاص منه نصل إلى أنّ نهاية التاريخ متمثلة بتتويج الليبرالية على عرش العالم، كما يقول فوكوياما. فالعلاقة بينها كانت على مر العصور صراعاً إمّا دينيّاً، أو من أجل ثروات الشرق.

## المصدران


- موسوعة الحضارات القديمة / هاشم عبود الموسوي
- الحضارة الإسلامية وتأثيرها العالمي / عبد الحميد حسن

# الشرق الأوسط الديمقراطي

عندما سما ماركس وأنجلز بالدولةِ القوميةِ الألمانيةِ المُشادةِ في مطلعِ العقدِ السابعِ من القرنِ التاسع عشر، وعرَضاها كنموذجٍ مثاليّ؛ كانا قد اقترفا بذاتَيهما وبعَقلَيهما أفظعَ خطأ بحقّ الاشتراكيةِ العلميةِ. ولو أنهما أخذا الانتقاداتِ التاريخيةَ التي وجَّهَها الفوضويون (بالأخصّ باكونين وكروبوتكين) على مَحملِ الجدّ، لَكان مصيرُ الاشتراكيةِ العلميةِ مختلفاً وناجحاً بكلّ تأكيد، ولأصبحَت القِيَمُ الاشتراكية المُفعمةُ بالحريةِ والديمقراطيةِ والمساواةِ نظاماً بديلاً مُوفّقاً ومُستَداماً في وجهِ الحداثةِ الرأسمالية. ونحن على معرفةٍ بأنّ كارل ماركس وفريدريك أنجلز انتَبَها في أواخرِ حياتَيهما لهذا الخطأِ الأوليّ، وأدرَكا عدمَ حتميةِ المرحلةِ الرأسمالية، كان ماركس قد سعى في مؤلَّفِه "رأس المال" إلى إتمامِ تحليله بصددِ الدولة. والكلُّ يعلمُ أنّ عمرَه لَم يَكفِه لإنهاءِ ذلك. كما كان أنجلز قد أضفى بُعداً تاريخياً أعمق على الاشتراكيةِ العلميةِ في مأثورِه الشهيرِ "أصل العائلة والمُلكية الخاصة والدولة". ويكمنُ سوءُ الحظِ الأكبر لنظريةِ الاشتراكيةِ العلمية في أنْ يَقومَ برنشتاين بالتعديلِ فيها، بدلاً منهما. فتَجذّرَت الأخطاءُ بدلاً من الحقائق. ونخصُّ بالذِّكرِ أنّ التناوُلَ الليبراليَّ البورجوازيَّ لكلٍّ من برنشتاين بشأنِ الديمقراطية، ولينين وستالين بشأنِ الدولةِ والقضيةِ الوطنية؛ شَكَّلَ أفظعَ انحرافٍ وأَفدحَ خطأٍ في تاريخِ الاشتراكيةِ العلمية.

**فصلية فكرية تحليلية حرة تعنى بشؤون الشرق الأوسط**

**رقم الاعتماد**

لدى نقابة الصحفين العراقيين 148

**رقم الإيداع**

دار الكتب و الوثائق في بغداد 868 لسنة 2005

**لدى وزارة الثقافة المصرية**

دار الكتب و الوثائق في القاهرة

رقم 24217